د. محمد رجب الشتيوي



الطبعة الأولى

١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م

دار الطباعة المحمدية
٣ درب الأتراك بالأزهر / القاهرة


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، وأصلى وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد :

فإن الغاية من الرسالات السماوية التى تنزلت من قبل الحق تبارك وتعالى واختص بها أنبياءه ورسله هى: أن يعرف الناس أن لهذا الكون إلها واحدا مالك الملك خالق كل شىء واجب الوجود واحدا فى ذاته وصفاته وأن هذا الإله هو الذى يجب أن يتوجه إليه الناس بالعبادة فيعبدوه ولا يشركوا به شيئا .

ومن أجل هذه الغاية توالت رسالات الله تترى على البشرية كما قال الحق تبارك وتعالى « ثم أرسلنا رسلنا تترا »[1] فما من نبى ولارسول إلا وقال لقومه « ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره »[2] وهذا ما أخبر الحق تبارك وتعالى به نبيه ﷺ بقوله : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون »[3] .

---

(١) سورة المؤمنون من الآية ٤٤

(٢) سورة هود من الآية ٥٠

(٣) سورة الأنبياء ٢٥

والمسيح عيسى بن مريم عليه السلام . واحد من هؤلاء المصطفين الأخيار الذين كلفوا بتبليغ الدعوة إلى الناس ، كانت رسالته شأن من سبقها من الرسالات السماوية — الدعوة إلى التوحيد المطلق لله رب العالمين ، والإيمان به وحده ، وإفراده سبحانه بالربوبية وتنزيهه عز وجل عن الشريك والصاحبة والولد . فقد دعا عيسى عليه السلام قومه بنى اسرائيل إلى التوحيد قائلا : يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم»[1] . وبين لهم عاقبة الشرك قائلا : إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار»[2] .

ولما كان عيسى عليه السلام آخر أنبياء بنى اسرائيل ، فقد جاء يمشى على شريعة موسى عليه السلام كما هو ظاهر من نصوص القرآن الكريم حيث قال المسيح لبنى اسرائيل : «يابنى اسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة»[3] . وماجاء أيضا من نصوص إنجيلية حيث يقول المسيح لتلاميذه : «لا تظنوا أنى أتيت لأحل الناموس والأنبياء إنى لم آت لأحل لكن لأتمم»[4] .

وكان الناموس الموسوى يرتكز أساسا على : التوحيد ، فجاء عيسى ليتمم ماجاء به موسى وليكمل ذلك الناموس الموسوى الداعى إلى التوحيد المطلق لله رب العالمين وأخذ عيسى عليه السلام ينشر دعوته مبينا لبنى إسرائيل أن الحياة الأبدية أن يعرف الناس الإله الحقيقى الواحد الأحد ، وهذا الإله هو الذى أرسله إليهم كما جاء ذلك فى إنجيل يوحنا حيث قال المسيح : إن الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك والذى أرسلته يسوع المسيح»[5] .

(١، ٢) سورة المائدة ٧٢ (٣) سورة الصف من الآية ٦

(٤) إنجيل متى ٥ : ٧ (٥) إنجيل يوحنا ١٧ : ٣

بل إن أول وصية كانت من المسيح إلى الناس هى : أن يعرف الناس أن لهم إلها واحدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وهذا الإله يجب عليهم أن يعرفوه ويتوجهوا إليه بالعبادة والحب ، حيث أجاب المسيح على من سأله . أية وصية هى أول الكل : «إن أول الوصايا كلها : اسمع ياإسرائيل إن الرب إلهنا رب واحد فأحبب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك»[1] .

تلك كانت دعوة المسيح عليه السلام كما هو ظاهر من نصوص القرآن الكريم ، والأناجيل المعتمدة لدى النصارى ، الدعوة إلى التوحيد المطلق لله رب العالمين .

وكما هو ظاهر أيضا من أقوال أساتذة اللاهوت ورجال الكنيسة

إذ يقول الدكتور نظمى لوقا . لقد سار أتباع المسيح إلى القول بألوهيته ، وأنه ابن الله ... الخ ولم يرد على لسان المسيح فى أقواله الواردة ولا فى بشارات حوارييه — الأناجيل — إشارة من ذلك ، بل كان يدعوا نفسه على الدوام «ابن الإنسان»[2] .

أما التثليث فيقول عنه علماء اللاهوت «إن التثليث لم يرد فى دعوته «يعنى المسيح» بل إن هذه الكلمة نفسها «التثليث أو الثالوث» لم ترد فى الكتاب المقدس مطلقا ، بل إن الذى وضعها هو إثناسيوس فى عقيدة الإيمان النيقاوى سنة ٣٢٥م[3] .

وإذا كان المسيح عليه السلام ، لم يرد على لسانه شىء من هذه الكلمات

---

(١) انجيل متى ٤ : ١٠

(٢) محمد الرسالة والرسول ص ٦٥

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٢٢

« البنوة لله ، التثليث ، الثالوث ... تلك الكلمات التي تعد هي وغيرها عقيدة عند القوم ، فمن أين جاء النصارى بها ، ومن الذي جاءهم بها ، ومن الذي نقلها إليهم وأحاطها بالرعاية والعناية ، حتى نمت وترعرعت حتى أصبحت عقيدة يدين بها النصارى .

وهذا الكتاب - « النصرانية » دراسة مقارنة - يلقي الضوء على العقائد النصرانية المعاصرة ، مبينا وجه العقيدة الصحيحة التي جاء بها رسول الله عيسى عليه السلام ، وما آل إليه أمر تلك العقيدة بعد رفعه عليه السلام بالدراسة والبحث والتحليل العلمي الدقيق الذي يرتكز أساسا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والمنهج القويم الذي وضحه القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب في قوله تعالى : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن »[1] وقوله تعالى « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن »[2] .

وذلك ببيان ما عند القوم من مصادر عدوها مقدسة لديهم ، وعقائد زعموا أنها دين المسيح عليه السلام ، وبيان الواقع الديني والتاريخي وما كتبه علماء اللاهوت وآباء الكنيسة القدماء منهم والمحدثون في المراجع والكتب الخاصة بهم ووضع الحقيقة كاملة أمام العقل البشري ليعمل فكره فيه ، ويتدبر معانيه ، فالعاقل المنصف يرى الحق حقاً فيتبعه ، ويرى الباطل باطلا فيجتنبه .

وعلى الله قصد السبيل وما توفيق إلا بالله عليه توكلت ؟

د . محمد رجب الشتيوى

---

(١) سورة النحل ١٢٥

(٢) سورة العنكبوت ٤٦

تمهيد

(أ) أهمية دراسة مقارنة الأديان

تأتى أهمية دراسة مقارنة الأديان كمنهج إسلامى فى الدعوة إلى الله تعالى إذ يرتكز هذا المنهج فى دعوة غير المسلمين إلى الإسلام على الجدل بالتى هى أحسن كما قال تعالى: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن»[1]

ولا يستطيع الداعية الناجح أن يدعوا غير المسلمين بالتى هى أحسن إلا إذا درس ماعندهم من ديانات ووقف على الملل والنحل التى يدين بها غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى.

ولذلك كان من واجب الداعية ذى البصر النافذ، والبصيرة النيرة أن يقف على الأمور من حوله يتبصرها ويرقبها حتى يعلم الحق من الباطل، والهدى من الضلال، فإذا علم ذلك استطاع أن يدفع الباطل ويرده عن دعوته، وأن يناصر الحق والصواب على المنهج القويم الذى رسمه الله للدعاة إلى الله فى قوله تعالى: قل هـذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيره أنا ومن اتبعنى»[2].

وتأتى أهمية دراسة مقارنة الأديان على أنها واجب على تقتضيه الضرورة الملقاة على عاتق الدعاة إلى الله إذ بهذه الدراسة يستطيع الداعية أن يزيح الستار عن الرسالات التى تنزلت من قبل الحق تبارك وتعالى خاصة

---

(١) سورة العنكبوت ٤٦

(٢) سورة يوسف ١٠٨

تلك الرسالات التى أسدل الباطل عليها ستاره . حتى أذهب بها . وجاء الناس لأنفسهم بعقائد وتشريعات جديدة تبتعد كل البعد عن دين الله وشرعه .

وبدراسة مقارنة الأديان أيضا يستطيع الداعية أن يقف أمام دعوة المبشرين الذين غلوا فى نشر سمومهم ضد الاسلام وبلغ من غلوهم أنهم أخذوا يعملون على تشكيك البسطاء والعامة من المسلمين فى دينهم وزعزعة عقيدة التوحيد عندهم آملين أن يكون ذلك التشكيك مقدمة لنشر عقائدهم الفاسدة وأفكارهم الماكرة وهادفين من وراء ذلك أيضا — خلق فكر دينى يقف أمام المسلمين وأمام الفكر الإسلامى فى جميع الميادين.

وها نحن — خاصة فى العصر الحديث . نرى نشاط المبشرين فى المجتمعات الإسلامية حيث كرس هؤلاء نشاطهم وجهودهم لنشر عقائدهم بكل الطرق ، وأنفقوا الكثير من أموالهم فى سبيل هذا الغرض حتى امتد نشاطهم التبشيرى فى شتى البلاد الإسلامية فأوفدوا المبشرين ينطلقون فى كل مكان يدعون إلى دينهم ومذاهبهم وزادوا فى بناء مدارسهم ومعاهدهم فى هذه البلاد ليتخذوا من ذلك ذريعة لبث تعاليمهم ومذاهبهم ونحلهم فى نفوس المسلمين ، وليفسدوا بذلك الأجيال القادمة منهم ، كما نشطوا فى تأليف الكتب والمجلات الدينية وتوزيعها بدون ثمن ، وأكثروا من إيفاد البعثات التى يمنح أعضاؤها أعلى الشهادات ، وتعدهم لأسمى المناصب التبشيرية للرد على الإسلام والمسلمين .

من كل ما تقدم تأتى أهمية دراسة مقارنة الأديان حيث ينتفع بهذه الدراسة طلاب جامعة الأزهر عموما وطالب كليات أصول الدين والدعوة خاصة من يتصدى منهم للدعوة إلى الله تعالى ، إذ من واجب طالب العلم أن يكون على علم بالديانات والمذاهب المنتشرة حوله حتى يستطيع أن

يقارع غيره ممن يخالفونه فى الدين الحجة بالحجة، والبينة بالبينة، والدليل بالدليل، ويستطيع أيضا أن يؤمن الأجيال الحاضرة والمقبلة من خطر المبشرين وإن يأمن على دينه مما يحيط به من أخطار وأهوال.

(ب) علم مقارنة الأديان وجذوره الإسلامية

يقال: قارن الشىء بالشىء، وازنه به: وقارن بين الشيئين أو الأشياء وازن بينها فهو مقارن: والإقتران كالإزدواج فى كونه إجتماع شيئين أو أشياء فى معنى من المعانى [١] ومن هنا صح أن يقال: الأدب المقارن أو التشريع المقارن أو مقارنة الأديان — فالمقارنة: موازنة بين شيئين اشتركا فى معنى من المعانى بقصد إدراك وجه الصواب فيهما أو فى أحدهما حقيقة أو معنى.

وعلم مقارنة الأديان بهـــذا المفهوم وجد مع الإسلام حيث إن الرسول ﷺ بدأ دعوته لأهل مكة إلى التوحيد ونبذ الشرك — ولكن القوم جادلوا النبى ﷺ وقالوا كما أخبرنا القرآن الكريم «أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا الشىء عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشىء يراد ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق» [٢].

كما جادلوه أيضا فى أمر البعث والحياة الآخرة وقالوا له: كما أخبر القرآن الكريم عنهم «هذا شىء عجيب أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد» [٣]

---

(١) معجم مقاييس اللغة مجلده ص ٧٦، معجم مفردات ألفاظ القرآن ص ٤١٦ ومختار الصحاح جـ ٢ ص ٦٨٦

(٢) سورة ص ٥ — ٧ (٣) سورة ق (٣)

«وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديداً»(١) ويأمر الله نبيه ﷺ بالرد على هؤلاء: قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا(٢) ويقص علينا القرآن الكريم كثيرا من هذه المجادلات والمقارنات الدينية بين الرسول ﷺ وبين أهل مكة واستمر هذا الجدل حتى هاجر الرسول من مكة إلى المدينة حيث كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى يسكنون المدينة مع أهلها: وجاء وفد نصارى نجران وجادلوا النبى ﷺ فى أمر عيسى عليه السلام وقالوا له كما جاء فى كتب التفسير والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامى كيف تقول فى إلهنا: إنه عبد الله ورسوله؟! ماهو إلا إله تولد من مريم الإلهه: إنه إله لأنه ولد من غير أب: لقد ولد من أم بلا أب فنزل قول الله تعالى «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين» سورة آل عمران ٥٩ — ٦٣ .

يقول ابن كثير رحمه الله — كان سبب نزول هذه الآية وما قبلها من أول السورة إلى هنا فى وفد نجران: أن النصارى لما قدموا فجعلوا يحاجون فى عيسى ويزعمون فيه ما يزعمون من النبوة والألوهيه فأنزل الله صدر هذه السورة آل عمران ردا عليهم(٣) .

(٢،١) سورة الإسراء (٤٩ — ٥١)

(٣) تفسير القرآن العظيم جـ ١ صـ ٣٦٨

يقول ابن اسحاق فى سيرته وكانوا ستين راكبا (١) وقد جادلوا النبي ﷺ فنزلت الآيات من الله تبين للنبي كيفية الرد عليهم حيث علم الله نبيه مجادلتهم بالحسنى والرد عليهم بالبينة المفحمة المبهتة قائلا له : قل لهم يا محمد إن كنتم تعتقدون أن عيسى إله لأنه خلق من أم بلا أب فإن آدم عليه السلام خلق بلا أب ولا أم فإن كنتم تألهون عيسى لأنه خلق بدون أب فأولى بكم أن تألهو آدم عليه السلام لأنه أعجز فى الخلق من أمر عيسى عليه السلام أما وإنكم لاتعتقدون ذلك فبطل قولكم أن عيسى إله ومن ثم نزلت الآيات «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (٢) فقدرة الله لاتتوقف على الأسباب والمسببات ولاترتبط بالعلل والعلات بل إن قدرته دائما بين الكاف والنون فسبحانه يقول للشيء كن فيكون .

وهذا العلم الذى علمه الله لنبيه إنما هو علم المجادلة والمقارنة ومما سبق يتبين لنا مدى أصالة هذا العلم فهو علم يستمد أصوله من القرآن الكريم والسنة النبوية . وقد طبقة الرسول ﷺ عملا بقوله تعالى: «ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن »(١) .

وعليه فحق للمسلمين أن يفخروا ويعتزوا بهذا العلم الذى يعد ابتكارا علميا لم يسبقنا غيرنا فيه بل «إن الإسلام وحده هو الذى ضمن وجود هذا العلم لما حوى من تشريع إلهى حكيم ، وإن القرآن الكريم هو الذى وضع جذور هذا العلم فالمجادلة بالتى هى أحسن هى مفهوم هذا العلم وقد دون هذا العلم فى القرن الثانى الهجرى كغيره من العلوم والمؤلفات فى

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٥٨

(٢) سورة آل عمران الآية ٥٩

(٣) سورة العنكبوت من الآية ٤٦

ذلك خير شاهد ودليل[١] وإذ تبين لنا أصول هذا العلم وجذوره فلا معنى إذن لهذا التشدق من هؤلاء المحدثين الذين يدعون أن هذا العلم إنما يستمد أصوله من علوم الغرب .

ونقول لهؤلاء كلمة حق : أيهما أقدم حضارة وأيهما وجد أولا : الإسلام بعلومه وأحكامه وآدابه وحضارته أم هذه العلوم والمعارف التى وجدت حديثاً ..

أما تكفى شهادة علماء « الإسلام الذين أسسوا العلوم الإسلامية . نقصد علماء الإسلام الأولين الذين كتبوا عن نشأة هذا العلم وأصالته

لقد كتب السلف الصالح من علماء المسلمين فى هذا العلم منذ القرن الثالث الهجرى حتى العصر الحاضر : وتقرأ من هذه الكتابات الإسلامية فى هذا الميدان — علم مقارنة الأديان : شفاء العليل فى بيان ماوقع فى التوراة والإنجيل للإمام الجوينى ، والرد على النصارى للجاحظ ، والآثار الباقية عن القرون الخالية) للبيرونى — والمقالات فى أصول الديانات للمسعودى والفهرست: لابن النديم — ومقالات الإسلاميين — للأشعرى والفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسى والملل والنحل للشهرستانى — وإظهار الحق : للشيخ رحمة الله الهندى ، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، للإمام ابن تيميه، وهداية الحيارى لتلميذه ابن القيم والفرق بين المخلوق والخالق العلاقة عبد الرحمن الباجى زاده — والأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة — للقرافى والفاصل بين الحق والباطل لأبى عبيدة الخزرجى ، وتخجيل من حرف الإنجيل — لأبى البقا صالح بن حسين الجعفرى .

من هذا الكم الهائل وغيره الكثير من التراث الإسلامى فى هذا المجال

---

(١) اليهودية أحمد شلبى ص ٢٥—٢٨ بتصرف

نرى أن علم مقارنة الأديان فى منهجه وجوهره علم إسلامى أصل «وقد قدم القرآن الكريم الدرس المنهجى الموضوعى الأول فى مجال مقارنة الأديان حيث حفل القرآن الكريم بالحديث المفصل المستوعب عن الأديان والعقائد والملل والنحل والمذاهب المختلفة المتنوعة وعرض مقالاتهم بدقة واستقصاء ثم ناقشها وبين وجوه الزلل والخطأ والبطلان والزيف فيها وقارن بينها وبين الدين الصحيح الذى أرسل الله به رسله عليهم الصلاة والسلام »[1] .

إن الصراع بدأ مع الدعوة من جانب المخالفين والمكابرين والمنافقين لذلك نرى القرآن الكريم قد ناقش عقائد الوثنيين والمشركين وجادل أهل الكتاب وعقد المقارنات فى شتى الأفكار وجعل الحق وحده هو القائم والأجدر بالقبول وركز القرآن الكريم فى مجادلته لأهل الكتاب على محاور ثلاثة يدخل تحتها مادونها وهى :

١ — رد افتراءاتهم فى شتى المفاهيم .

٢ — بيان الضلالات التى اعتقدوها وجعلوها دينا .

٣ — دعوة القرآن لأهل الكتاب للإذعان للحق وقبول الإسلام[2]

وكانت الدعوة إلى الحق هى « الدافع والسبب الموجه لأعلام علماء المسلمين قديما للكتابة فى هذا الميدان[3] .

ومن أجل ذلك أيضا اتجه علماء المسلمين المحدثين إلى الكتابة فى هذا العلم .

---

(١) الرد الجميل للإمام الغزالى ص ١٨ — ٢٠

(٢) اسباب النزول للسيوطى ص ١١٢ جـ ١ أسباب النزول للواحدى ص ٢٢٠ تاريخ الجدل للإمام أبو زهرة ص ٤٦

(٣) الإعلام للقرطبى ص ٤٢٨ [illegible]

الفصل الأول

التعريف بالدين
والفرق بين الأديان السماوية والوضعية

التعريف بالدين :

أولا فى اللغة : جاء فى لسان العرب : جمع دين أديان : يقال دان بكذا ديانة وتدينت به فهو دين ومتدين ، ودينت الرجل تديناً إذا وكلته إلى دينه »[1] .

فكلمة الدين تشتق من الفعل دان الذى يتعدى بنفسه وبحرف الجر كما هو ظاهر .

يقال دانه ديناً بمعنى ملكه ، وقهره ، وحاسبه ، وجازاه ، ومنه قوله تعالى : «مالك يوم الدين »[2] : أى يوم الحساب : والكيس من دان نفسه» بمعنى ملكها وقهرها وحاسبها أولا بأول . على حد قوله تعالى : « بل الإنسان على نفسه بصيرة »[3] .

ويتعدى بحرف الجر اللام يقال : دان له : بمعنى خضع له ، وانقاد واستسلم .

ويتعدى بالباء يقال : دان بالإسلام بمعنى : التزم به .

---

(١) لسان العرب جـ ٢ مادة : دين ص ١٤٦٩

(٢) سورة الفاتحة آية ٤ (٣) سورة القيامة آية ١٤

والذى يدقق النظر فى تلك المعانى يجد أن المادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد .

ومعنى اللزوم هو المحور الذى تدور عليه كلمة «الدين» بالفتح والتشديد أو «الدين» بالكسر والتشديد . والفرق بينهما أنه فى الثانى يتضمن إلزاما أدبياً أو شرعياً ، والأول يتضمن إلزاماً مالياً .

وهذا شأن اللغة العربية حين تفرق بين المعنويات والحسيات من جنس واحد إذ تكتفى بتغيير يسير فى شكل الكلمة مع إبقاء مادتها مثل العوج والعوج ، والكبر والكبر — والخلق ، والخلق .

واللزوم والإلتزام يفيد أن المادة التى تشتق منها كلمة الدَّين أو الدِّين تشير إلى علاقة بين طرفين وواسطة بينهما فى الدِّين : الطرف الأول بمثابة الآمر أو المعبود أو المعظم ، والطرف الثانى هو المأمور أو العابد أو المعظم . والرباط الجامع بين الطرفين هو المنهج الذى ينظم تلك العلاقة.

وفى الدَّين : الطرف الأول هو الدائن والطرف الثانى المدين والعلاقة بينهما هى الدَّين الذى هو المال .

وتستطيع بعد هذا البيان أن تقول أن مادة دان : تفيد الخضوع والاستسلام والانقياد بمعنى أن هناك أمر بالخضوع من الطرف الأول للثانى ، وهناك خضوع وقع من الطرف الثانى للأول والمنظم لذلك وهو العلاقة بين الطرفين والمنهج الذى جاء من الأول للثانى فسار عليه[1] .

---

(١) انظر الدين د . محمد عبد الله دراز ص ٢٦ وما بعدها .

ثانياً — الدين فى الاصطلاح الإسلامى :

إن المدقق الفاحص للمعنى اللغوى للدين يجد أن هذا المعنى اللغوى للدين ينطبق تمام الانطباق على التعريف الذى سمى الله به الدين ، لأن الدين بمعناه الصحيح لا يكون إلا من خالق الإنسان الذى يعلم مالا يعلمه الإنسان ويعلم ما يصلح الإنسان فى دنياه ، وأخراه « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »(١) .

وقد عرف الله الدين فى القرآن الكريم بأنه هو الإسلام، قال تعالى: « إن الدين عند الله الإسلام »(٢) والإسلام فى اللغة : الخضوع والانقياد ، ومعناه القرآنى الإنقياد والإستسلام ، وإسلام الوجه لله تعالى : « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى »(٣) ... ومعنى إسلام الوجه لله أن ينقاد العبد بالكلية لخالقه جل شأنه لتكون حركاته وسكناته كلها لله رب العالمين قال تعالى لنبيه ومصطفاه ﷺ : « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين »(٤) .

وما دام الإنسان قد انقاد لربه وخالقه فى جميع شئونه وتصرفاته ، وأحواله ... كان معنى ذلك أن الإنسان أصبح عبدا لربه ، وخالقه ، وحققا أتم وصف للعبودية لله رب العالمين تلك العبودية التى مدح الله بها المصطفين الأخيار من الأنبياء والرسل عليهم السلام : قال تعالى : « واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار » [سورة ص ٤٥]

---

(١) سورة الملك آية ١٤ (٢) سورة آل عمران آية ١٩
(٣) سورة لقمان آية ٢٢ (٤) سورة الأنعام آية ١٦٢

وقال تعالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) أول سورة الإسراء .

ذلك لأن معنى العبودية الصحيح : إنقياد الإنسان لله وطاعته لربه وإفراده وحده بالربوبية والطاعة والعبادة فإن فعل العبد ذلك كان موحدا لله رب العالمين :

لذا عرف بعض العلماء الدين بأنه « الإسلام والتوحيد وإسلام الوجه لله والدين فهذه أربع كلمات . مترادفات يفسر بعضها بعضا ، وأصدق دليل على ذلك قوله تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا »[1]

والدين بهذا التعريف : هو الإسلام : الذى من أجله كان إرسال الرسل وبعثهم إلى البشر قال تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا » « سورة الشورى ١٣ »

وهو الدين الذى فطر الله البشرية عليه فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » سورة الروم ٣٠

وهناك تعريفات كثيرة لعلماء الإسلام فى معنى الدين منها : الدين وضع إلهى يحسن الله تعالى به إلى البشر على لسان واحد منهم لا كسب له فيه ولا صنع ولا يصل إليه بتعلق ولا بتعلم « إن هو إلا وحى يوحى»[2] سورة النجم (٤)

ومنها « وحى من الله لأنبيائه الذين يختارهم من عباده ويرسلهم أئمة يهدون بأمر الله وهذا الدين واحد لا يختلف فى الأولين والآخرين : هذا

---

(١) الإسلام والإيمان د . عبد الحليم محمود ص٢٧ ، الآية من سورة المائدة ٣

(٢) تفسير المنار جـ٢ ص٦٩

الدين الواحد هو المعبر عنه فى آيات القرآن بالإيمان وعن أهله بالمؤمنين والذين آمنوا »[١]

ومنها : الدين : وضع إلهى يرشد إلى الحق فى الإعتقادات وإلى الخير فى السلوك والمعاملات[٢] .

وكل هذه التعريفات الإسلامية تتفق مع التعريف الأول وهو أن الدين هو الإسلام والتوحيد واسلام الوجه لله .

فكلها تفيد الإلتزام من الإنسان بما جاء من عند الله والإنقياد لأوامر الله عزوجل .

ثالثا : آراء غير المسلمين فى المراد من الدين : أما تعريف الدين عند غير المسلمين فإن غير المسلمين اختلفوا اختلافا بينا فى معنى الدين ذلك لأنهم لم يتفقوا على إله واحد ، ومن ثم اختلفوا فى معنى الدين فكل من يعبد حجراً أو قمرا أو إنسانا ، حيا أو ميتا .. كل واحد من البشر وضع تعريفا للدين يتفق وهواه وعلمه وتصوره للإله الذى يتوجه إليه بالعبادة .

ومن أجل ذلك اختلف الفلاسفة والمفكرون الغربيون فى المراد من الدين وجاء تعريف كل منهم على أساس ما يؤمن به ويعتقد فكانت التعريفات تبعا للمذاهب فهناك المذهب التطورى ، والمذهب الأخلاقى ، والمذهب الإجتماعى والمذهب النفسى ، والمذهب الروحى . . الخ فكل من يعتقد فى مذهب من المذاهب عرف الدين بما يتفق مع هذا المذهب ... ولما كانت هذه المذاهب لا تتفق مع الوحى والدين الإسلامى من أجل ذلك أعرضنا عنها صفحا ، ومن أراد الرجوع إليها فليرجع إلى

---

(١) الأديان فى القرآن ص٢١

(٢) الدين : د . محمد عبدالله دراز ص٢٩

كتاب الدين للأستاذ الدكتور : محمد عبدالله دراز والمدخل إلى دراسة الاديان والمذاهب للأستاذ الدكتور / محمد فتح الله بدان .

رابعا «الدين الذى ارتضاه الله للعالمين»

قال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » سورة آل عمران ١٩

« إن الذى يقرأ القرآن ويتدبر معانية : يجد أن الإسلام هو دين كل الأنبياء والمرسلين فالإسلام فى لغة القرآن ليس اسما لدين خاص ، وإنما هو اسم للدين المشترك الذى هتف به كل الانبياء والرسل ، وانتسب إليه كل أتباع رسل الله وأنبيائه عليهم السلام »[1] .

والأدلة على ذلك واضحة وصريحة : فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه : « وأمرت أن أكون من المسلمين »[2] ، والإسلام كان وصية أنبياء الله ورسله : قال تعالى ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » سورة البقرة ١٣٢

ويقول : أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذا قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون » سورة البقرة ١٣٣ .

وموسى عليه السلام يقول لقومه : « يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين » يونس ٨٤

والحواريون الذين آمنوا بعيسى عليه السلام يقولون له : «آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » آل عمران ٥٢

بل إن فريقا من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن : قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين » سورة القصص ٥٣

---

(١) الدين ص ١٨٣ (٢) سورة يونس ٧٢

ويوسف الصديق يدعو ربه قائلا «رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين» [سورة يوسف ١٠١]

وبلقيس ملكة سبأ يخبر القرآن أنها حينما آمنت بالله ودخلت فى دين سليمان عليه السلام : قالت «وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين»[1] .

ويخاطب الله عزوجل أمة محمد ﷺ باعتبارها الأمة الوسط التى تكون شاهدة على الناس يوم القيامة فيقول : «ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس» . [سورة الحج ٧٨]

ويأتى الرسول ﷺ فيعلن أنه أول المسلمين قال تعالى: قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين» . [سورة الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣]

هذا هو الإسلام الذى هو دين الأنبياء والرسل جميعا من لدن آدم إلى محمد ﷺ وخلاصة هذا الدين :

«التوجه إلى الله عزوجل فى خضوع خالص لايشوبه شرك وفى إيمان واثق مطمئن بكل ما جاء من عنده على أى لسان وفى أى زمان وأى مكان : إنه إسلام الوجه لله دائما «ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى» . [سورة لقمان ٢٢]

فالإسلام هو الدين الذى ارتضاه الله للعالمين .

وصح لنا أن نسمى ما جاء به الرسل جميعاً نسميه دينا : باعتبارين :

الأول : أن المرسل لهؤلاء الرسل جميعاً واحد : وهو الله رب العالمين

---

(١) سورة النمل (٤٤) .

وإذا كان المرسل واحداً فإن ما جاء به الرسل لهداية البشرية إنما هو دين واحد وليست أديانا متعددة .

الثانى : أن هؤلاء الرسل جميعاً كما ثبت بنص القرآن الكريم كانوا يدعون الناس إلى دين واحد هو الإسلام .. الذى يرتكز أول مايرتكز على الدعوة إلى توحيد الله عزوجل .. تلك الدعوة التى أثبتها كل رسول ودعا إليها أول مادعا .

قال تعالى : مخاطبا نبيه ﷺ : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » . [سورة الأنبياء ٢٥]

ويقول الله عن نوح عليه السلام : « يا قوم إنى لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه » . [سورة نوح ٢ ، ٣]

ويقول عن هود « وإلى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره » . [سورة هود ٥٠]

ويقول عن صالح :[وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره[1] .

ويقول الله لموسى عليه السلام [وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى » .
[سورة طه ١٤]

ويقول الله على لسان عيسى على السلام يوم يأتى يوم القيامة شاهداً على قومه « ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم » .
[سورة المائدة ١١٧]

---

(١) سورة هود (٦١) .

ويقول الله لمحمد ﷺ : « فاعلم أنه لا إله إلا الله » .

[سورة محمد ١٩]

فرسل الله المصطفين الأخيار الذين اختارهم لهداية البشر بعثهم الله بدين واحد هو دين الإسلام ، ولذا كانت الآية صريحة : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام »

[آل عمران ١٧ ، ١٨]

فالأنبياء والرسل جميعاً كانت دعوتهم تتفق فى أصلها وهى الدعوة إلى توحيد الله : التوحيد فى الربوبية ، والتوحيد فى الذات ، والتوحيد فى الصفات ، توحيد منزه عن الشرك ، والصاحبة والولد ، ومشابهة الله لخلقه : إنه التوحيد الكامل ومن أجل ذلك نستطيع أن نفهم قول الحق تبارك وتعالى حينما يخاطب أمة محمد ﷺ مبينا لهم أنه لم يشرع لهم دينا جديدا ، وإنما هو دين الأنبياء من قبلهم :

قال تعالى : شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

[سورة الشورى ١٣]

ونستطيع أن نفهم أيضا قول الحق تبارك وتعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم وإسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

[سورة البقرة ١٣٦]

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا »

[سورة البقرة (٢٨٥)

وكما يصح أن نطلق على ماجاء به الرسل والأنبياء — ديناً — يصح أيضاً أن نعتبر ماجاء به الرسل والأنبياء (أديانا) وذلك باعتبار أن كل رسول من الرسل السابقين لمحمد ﷺ كانت رسالته خاصة والخصوصية كانت للقوم والزمان « والمكان فكل رسول كان يبعث فى قوم مخصوصين وفى زمان غير الزمان الذى بعث فيه غيره وكذلك المكان . كما أن كل رسول كان يأتى لقومه بكتاب غير الذى جاء به من سبقه فوسى جاء بالتوراة وعيسى جاء بالإنجيل ومحمد بالقرآن وهكذا .. كما أن كل رسول كان يأتى لقومه بما يناسبهم من التشريعات قال تعالى : لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا] . « سورة المائدة من الآية (٤٨)

من أجل هذه الاعتبارات السابقة صح أن نقول إن كل رسول جاء لقومه بدين من عند الله عز وجل ولذلك جاز للبعض أن يطلق على الرسالات السماوية « الأديان السماوية »

وجاز للبعض أن يسمى مانزل من السماء ديناً واحداً بالاعتبارات السالفة الذكر . وصدق رسول الله ﷺ إذ يصور لنا الرسالات السماوية كلها أحسن تصوير وأجمله فيقول : « مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين »

صحيح البخارى كتاب المناقب باب خاتم النبيين »

خامساً : الأديان الوضعية :

مما تقدم يتبين لنا أن الأديان قسمان : سماوية — ووضعية والأديان السماوية كل ماجاء به الأنبياء والرسل من عند الله عز وجل فمنذ أن بدأت الرسالات بآدم عليه السلام إلى أن ختمت بمحمد ﷺ هذه الرسالات كلها تسمى أديان سماوية أو رسالات سماوية على نحو ماتقدم بيانه .

أما الأديان الوضعيه : فتشمل كل دين وضعه البشر من عند أنفسهم لاعن طريق الوحى بل عن طريق العقل والهوى على حد قوله تعالى «ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه» (١٧٦) الأعراف .

فرغم أن رسالات الله توالت على البشريه تترا منذ أول إنسان خلق على وجه الأرض وهو آدم عليه السلام .. إلا أن البشرية أبت إلا أن تكذب الرسل وتعرض عن آيات الله ودينه وكان الأمر كما أخبر القرآن الكريم [ثم أرسلنا رسلا تترا كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لايؤمنون] . [واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه » [الأعراف ١٧٥، ١٧٦]

فلما حاد الإنسان عن الطريق السوى واتبع شيطانه وهواه اتخذ لنفسه آلهة متعددة : فمنهم من عبد الحجر ومنهم من عبد البقر ومنهم من عبد الشمس والنجوم والكواكب بل ومنهم من عبد الإنسان نفسه ومنهم من اتخذ إلهه هواه كما أخبر القرآن الكريم حتى وجدت الديانات الوضعية المختلفة على وجه الأرض . وكان لكل بيئة آلهتها ، ولكل قوم مذاهب وعقائد فانتشرت الديانات الوضعية فكانت ديانة قدماء المصريين وكانت

---

(١) سورة المؤمنون (٤٤)

ديانة الفرس، والرومان : واليونان وعباد الأصنام والبوذية والكونفشيوسية إلخ ... تلك الديانات التى سجلها لنا واقع البشرية وتاريخها أمع الدين ولما كانت هذه الديانات الوضعية لا تتفق مع الغرض الذى من أجله خلق الله البشرية لذلك اقتضت حكمة الله ورحمته بخلقه أن يرسل إليها من يصحح لها عقيدتها ويهديها إلى الطريق السوى . . ولكن البشرية أبت ذلك حتى تتم إرادة الله « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم »   [سورة هود (١١٧، ١١٨)]

حتى الديانات السماوية السابقة على الإسلام حرفها أهلها حيث حرفوا وغيروا وبدلوا صورتها الصحيحة حتى جعلوها ديناً لا يستطيع العقل أن يقبله فضلا عن أن يعمل به »

ولم ينته وضع الديانات البشريه الوضعية حتى بعد أن تمت رسالات الله واكتمل الدين ببعثة الرسول الخاتم محمد ﷺ ا فإنا نرى البشرية مازالت فى ضلالها المبين فمن الناس حتى إلى الآن من يعبد البقر ومنهم من يعبد الإنسان ومنهم من يعبد مع الله آلهة أخرى . بل ومنهم من أنكر وجود الإله مرة واحدة ... إلخ

بل وجدنا من البشر فى العصر الحديث من حرف الدين الذى جاء به أنبياء الله ورسله مما يعرف فى العصر الحديث : بالقاديانية ، والبهائية والدروز والنصيرية ، والباطنية ... إلخ ، تلك المذاهب الهدامة التى يرى أصحابها أنهم أصحاب الدين القويم :

فهؤلاء جميعاً أصحاب ديانات وضعية : لأنهم وضعوا لأنفسهم ديناً من عند أنفسهم، ولذلك سميت الديانات الوضعية بهذا الاسم لأنها من وضع البشر ، ولأنها تضع الإنسان فى الدرك الأسفل حيث تحط به فى الدنيا والآخرة . وصدق الله [ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه «الأعراف (١٧٦)

أما الديانات السماوية فإنها تسموا بأصحابها فى الدنيا والآخرة . لأنها رحمة الله إلى البشرية وهدايته التى من سار عليها نجا ومن أعرض عنها خسر قال تعالى : « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكى ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » [١٢٣ - ١٢٧]

الفصل الثاني

التعريف بالنصارى والنصرانية

من هم النصارى :

يقول الإمام الشهرستانى فى تعريف النصارى هم : « أمة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام »[1] .

وسموا بهذا الإسم نسبة إلى قرية : الناصرة وهى قرية المسيح من أرض الجليل إذ من المعلوم أن المسيح عليه السلام ولد فى بيت لحم بفلسطين كما تقول النصوص الإنجيلية فى زمن هيرودوس » ـــ الحاكم الرومانى [ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودوس الملك][2] ولما كان الوقت وقت إضطهاد هاجرت به أمه كما أخبر القرآن الكريم . إلى ربوة ذات قرار ومعين . قال تعالى : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين[3] » .

ومكث المسيح مع أمه فى هذا المكان مدة من الزمن ثم رجعت به إلى فلسطين واستقر بها المقام مع ولدها فى قرية الناصرة بالجليل بفلسطين . يقول متى فى إنجيله : « انصرف إلى نواحى الجليل وأتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة لكى يتم ما قيل بالأنبياء سيدعى ناصريا[4] » .

---

(١) هامش الفصل لابن حزم ج ٢ ص ٥٩

(٢) إنجيل متى [ح ٢ : ١]   (٣) سورة المؤمنون (٥٠)

(٤) إنجيل متى [١٤ : ٢٣]

فلما بعث يسوع فى هذه القرية أطلق القوم عليه « يسوع الناصرى » ومن ثم أطلقوا على أنفسهم — النصارى نسبة إلى قرية الناصرة التى جاء منها يسوع كما تقول النصوص الإنجيلية «جاء يسوع من ناصرة الجليل[١]».

« ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة[٢] » . وفى إنجيل لوقا « جاء يسوع إلى الناصرة حيث كان قد تربى ودخل المجمع وقام ليقرأ[٣] » .

فمن هذه النصوص وغيرها الكثير التى وجدت فى الأناجيل المعتمدة لدى القوم يفهم أن النصارى سموا بهذا الإسم نسبة إلى قرية الناصرة التى بعث فيها المسيح وجاءهم منها وفيها ابتدأ دعوته .

وبعد رفع المسيح عليه السلام : أطلق القوم على أنفسهم هذا الاسم حتى أصبح علمـــا عليهم ، ولكن لا يعرف على التحديد متى أطلقوا على أنفسهم هذا الاسم ، ولكن وجدت هـــذه اللفظة بهذا المعنى فى أوائل القرن الثانى الميلادى إذ كتب « بلين » وكان واليا على آسيا إلى الامبراطور الرومانى « تراجان » سنة ١٠٦م كتابا يشرح فيه طريقة تعذيبه للمسيحيين فقال : جريت مع من اتهموا بأنهم نصارى على الطريقة الآتية : وهى أنى أسألهم إذا كانوا مسيحيين فإذا أقروا أعيد عليهم السؤال ثانية وثالثة مهددا بالقتل .

فإذا أصروا أنفذ عقوبة الإعدام فيهم — ثم يقول بلين : « وقــد وجهت التهمة إلى كثيرين بكتب لم تذيل بأسماء أصحابها فأنكروا أنهم نصارى[٤] » .

---

(١) إنجيل مرقص [ح ١ : ٦]
(٢) ، (٣) إنجيل لوقا [ح ٣ : ٢٣] ، [ح ٤ : ١٦]
(٤) الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ٣٠

وقد يفهم من القرآن أنهم أحدثوا هذا الاسم إذ يقول تعالى : « ومن الذين قالوا إنا نصارى » [سورة المائدة ١٤]

ولا يصح أن يقال أن النصارى سموا بهذا الاسم نسبة إلى قول الحواريين ردا على عيسى عليه السلام حين سألهم كما أخبر القرآن «من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله » فلا تصح التسمية نسبة إلى الأنصار : لأن الأنصار مفردها نصير وهى تجمع على أنصار، والنسب إليها : أنصارى :

أما النصرانية . فمفردها : نصران ، والنسب إليها نصرانى وتجمع على نصارى ، وقد نبه على ذلك صاحب لسان العرب حيث قال : «ونصرى ، وناصره ، ونصورية قرية بالشام ، والنصارى ينسبون إليها ، والتنصر الدخول فى النصرانية ، ونصره جعله نصرانيا ، وفى الحديث الشريف «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه[1] » .

هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى : إن الحواريين قد أجابوا عيسى عليه السلام بما سألهم عنه وقد سألهم ليعرف هل هم أتباعه وأنصاره أم أنه ليس له نصير من القوم ولذلك جاءت الإجابة على قدر السؤال : نحن أنصار الله أى أتباعه وناصروا دينه ومتبعوك فسموا بذلك أنصار عيسى وأتباعه كما أطلق على الذين نصروا رسول الله ﷺ وآووه هو ومن معه من المهاجرين « الأنصار » قال تعالى « والأنصار الذين اتبعوه »[2] .

---

(١) لسان العرب مادة : نصر مجلد ٦ ص ٤٤٤٠

(٢) سورة التوبة ١١٧

ولم يقل أحد بأن الذين نصروا رسول الله «إنهم نصارى .. ولو صح ذلك لأعلن على جميع المسلمين هذا الاسم «النصارى» ولم يقل به عاقل .. بل ولم يقل به النصارى أنفسهم .. فبطل هذا الزعم .. وصح نسبتهم إلى «نصرانه» التى جاءهم منها يسوع .. ولذلك أطلق مؤرخوا النصارى هذه التسمية على النصارى .

يقول هـ . ج . ويلز «والأولون يعدون يسوع الناصرى شيئا عظيما ثم يقول : والناصريون الأول وهو الاسم الذى كان يطلق على أتباع المسيح»[1] .

أما المسيحية : فهى نسبة إلى يسوع . اسم المسيح باللغة العبرية وقد عرف فى الأناجيل بهذا الاسم : «ولد يسوع فى بيت لحم ..» «جاء يسوع من الجليل إلى الأردن» «أصعد يسوع إلى البرية» وإذ كان يسوع ماشيا» ... إلخ تلك النصوص التى وردت فى إنجيل متى تبين اسم المسيح بالعبرية»[2] .

على أنه لا ينبغى إطلاق المسيحية على النصارى الآن : لأن النصارى فى الواقع الآن وبعد أن حرفوا وبدلوا وغـيروا ما جاءهم به عيسى أصبحوا بذلك لا يتبعون المسيح عليه السلام .. ومن ثم نستطيع أن نعرف النصارى أو المسيحيين الآن بأنهم «القوم الذين يزعمون أنهم أتباع عيسى عليه السلام والمسيحية أو النصرانية هى الملة التى يزعم أهلها أنها الدين الذى جاء به عيسى عليه السلام .

وحتى يتضح المقال نتحدث أولا عن المسيح فى القرآن الكريم لنبين

---

(١) معالم تاريخ الإنسانية جـ ٣ صـ ٧٤٠ .

(٢) إنجيل متى [ح ٢ ، ٣ ، ٤] .

عقيدة المسيح ودعوته التى جاء بها إلى بنى إسرائيل والتى من أجلها خاطبهم الله بأهل الكتاب ، وأهل الإنجيل . وناداهم عيسى قائلا : « يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم »[1] .

ثم بعد ذلك نتحدث عن عقائد القوم ومذاهبهم المعاصرة ... !

---

(١) سورة المائدة [٧٢] : أطلق القرآن الكريم على القوم الذين أرسل إليهم عيسى عليه السلام : أهل الكتاب ، وأهل الإنجيل ، وذلك للبقية الباقية من الكتب المنزلة على بنى إسرائيل والتى لم يؤمن بها النصارى مثل بشارة الإنجيل بمحمد ﷺ . حتى تكون ذلك شهادة من القوم على أنفسهم وسماهم بنى إسرائيل لأن عيسى عليه السلام هو آخر أنبياء بنى إسرائيل .

الفصل الثالث

المسيح فى القرآن الكريم

تمهيد

تحدث القرآن الكريم عن المسيح - عليه السلام مبينا أنه إنسان بشر رسول . ووضح القرآن هذه الحقيقة بما لا يدع مجالا لشك ولا ريب فى بشرية المسيح وإنسانيته إذ أماط القرآن الكريم اللثام عن شخصية المسيح عليه السلام مبينا الأسرة التى ينتسب إليها وهى أسرة « آل عمران » وتحدث القرآن عن هذه الأسرة مبينا مكانتها وطهارتها وعفتها وعبادتها لله عز وجل وذلك بذكر الحديث عن جد المسيح وهو عمران وجدة المسيح وهى زوجة عمران ثم النبت الذى نبت من الزوجين وهو هذه الفتاة الطاهرة « مريم » أم المسيح التى نشأت فى بيت من بيوت الله وهو بيت المقدس ، وقام على تربيتها نبى من أنبياء الله هو زكريا عليه السلام - كما تحدث القرآن الكريم عن بشرية أم المسيح - مريم - مبينا أن أمها زوجة عمران حملت بها وفى أثناء حملها - نذرت أن يكون ما فى بطنها محرراً لبيت الله كما تحدث القرآن عن بشرية مريم مبينا أنها كانت تأكل وتشرب وأن زكريا النبي كان يجد عندها الطعام والشراب .

كما تحدث القرآن الكريم عن مريم بعد ذلك مبينا أنها حملت بعيسى الإنسان على النحو الذى أراده الله عز وجل .. ثم ولدته . وأفاض القرآن بشأن مريم والمسيح بما لم يفض به عن أحد من الرسل السابقين .. لماذا ؟ لأن البشر غيروا الحقائق وزيفوها بشأن المسيح وأمه ومن ثم جاء القرآن بالحقائق كاملة أمام البشرية إلى يوم القيامة فمن هى مريم ؟ ومن هو المسيح ؟؟ فى القرآن الكريم .

١ — مريم أم المسيح — فى القرآن الكريم

قال تعالى : « ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ، اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم ، فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب هنا لك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ، قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار ، واذ قالت الملائكة يا مريم ان اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين » الآيات من سورة آل عمران ٣٣ — ٤٢ .

آيات بينات من كتاب الله العزيز جاءت ردا علــى تلك الدعاوى والأكاذيب والافتراءات التى تقول بها النصارى على مريم أم المسيح وادعوا أنها كانت الها . . جاء بها القرآن الكريم ليرد على هذا الزعم الباطل واضعا الحقائق أمام الرسول ﷺ وكل من يقرأ القرآن الكريم .

فريم أم المسيح عليه السلام بريئة كل البراءة مما نسب اليها ، وكيف يصح من القوم أن يتقولوا عليها بهذا الكلام ، وهم الذين كانوا يتخاصمون

ويتكالبون عليها وعلى كفالتها وكل من القوم يريد أن يقوم على تربيتها وخدمتها ، وما ذلك إلا لأنها كانت يتيمة وقد نذرت أمها حينما اشتاقت الولد أن يهبها الله ولدا فاستجاب الله دعاءها فواقعها زوجها[1] فحملت منه فلما تحققت الحمل نذرت أن يكون ما فى بطنها محررا أى مفرغا للعبادة لخدمة بيت المقدس : فقالت « رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم ، فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وانى سميتها مريم » .

وفوق ذلك بين القرآن الكريم أن مريم هذه كانت معروفة بين القوم باسمها حينما اسمتها بذلك أمها ، فلم تك إلهاً قط ، وكيف وقد رأوها جميعا حينما وضعتها أمها وكانت تريدها ذكرا فكان ما كان من أمر الله أن جاءت بها أنثى . وكأن القرآن الكريم يصف المشاهد كلها والمواقف التى شاهدها القوم من مريم وأمها حتى قبل أن تولد مريم ، انه يقص علينا تاريخ ميلاد مريم هذه وحال أمها حينما أشتاقت الى الولد وأعطاها الله مريم وكيف أوفت بنذرها وكانت تريد أن يكون المولود ذكرا لا أنثى لأن الذكر يكون أقدر على التحمل والخدمة أكثر من الأنثى .

والقرآن الكريم حينما يذكر مريم وأمها انما يدفع تلك الأكاذيب والدعاوى التى افتراها النصارى على مريم بأنها كانت الها أو أنها ولدت عيسى الاله . . وكيف يتأتى ذلك وقد تخاصم القوم على كفالتها فكان ما كان من إلقاء الأقلام وإجراء القرعة بينهم وكان أن خرجت القرعة

---

(١) أم مريم هى « حنة بنت فاقوذا » وزوجها « هو عمران بن ياشم بن ميشا بن حزقيا ابن ابراهيم ... ويصل النسب الى سليمان بن داود عليهما السلام . تفسير بن كثير جـ١ ص ٣٥٨

بالكفالة لزكريا إزوج خالتها أو أختها ، وكان زكريا نبياً صالحاً ويحكى القرآن الكريم ماكان من شأن زكريا ومريم حيث كانت مريم تعكف على خدمة بيت الله لا تغادره إلا لقضاء حاجتها ، انها ملازمة للمحراب وكان كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا . وبهذا نستطيع أن نفهم قول الله عز وجل عن مريم : فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا .

« فقد كانت مريم ثمـــرة دعوة الله عز وجل من أم طاهرة نقية ، وإستجاب الله دعاء هذه الأم وأعطاها هذه الفتاة الطاهرة النقية العفيفة التى لازمت المحراب لا تغادره ، وأنبتها الله نباتا حسنا بكفالة نبى من أنبياء الله لها ، وتربيتها فى رعايته وتحت عنايته ، وأنبتها نباتا حسنا بأن رزقها من حيث لا تحتسب فكان كلما دخل عليها زكريا وجد عندها رزقا فيسألها من أين جاءك هذا .. فتقول إنه من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب .

فالبيت الذى تربت فيه مريم إنما هو بيت الله ، والذى قام على تربيتها وتنشئتها نبى من أنبياء الله ، والطعام الذى تغذت به إنما هو من عند الله : فأى نبات أطيب وأحسن من هذا النبت الكريم .

ومن هذا يأتى الخطاب من الملائكة لمريم « يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » انه طهر بين اصطفاءين .

الإصطفاء الأول : أن الله تقبلها فى أن تكون خادمة لبيته ، والله عز وجل لا يختار لخدمة بيوته إلا الأطهار ، ولا يتقبل العبادة إلا من الأطهار قال تعالى لابراهيم واسماعيل عليهما السلام : « طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود »[1] .

---

(١) سورة البقرة ١٢٥

والطهارة شرط لصحة العبادة وأمر لازم لها لاتصح العبادة إلا بها . وقد كانت مريم كذلك تقبل الله نذر أمها فى أن تكون ابنتها التى وضعتها خادمة لبيته المقدس وماذاك إلا لطهارتها وعفتها وبعدها البعد الكامل عن كل مايشينها ويدنسها .

أما الإصطفاء الثانى فإنه كان لأمر عظيم جليل فقد أراد الله عز وجل أن تكون مريم هذه العابدة الطاهرة العفيفة النزيهة أما لإنسان يولد على غير ما يألف البشر . إنسان يولد بدون أب ، هذا الإنسان سيكون له الشأن الكبير : إنه آخر أنبياء بنى إسرائيل : عيسى بن مريم ومن هنا كان النداء من الله لمريم « يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين .

ولما كان هذا حال مريم فإن الله قد رفع ذكرها وخصها بسورة كاملة فى القرآن الكريم لتكون قصتها آيات من كتاب الله تتلى على مر الدهور والأعوام ، وما كان ذلك إلا إعلاناً لبراءتها ونزاهتها عما نسب إليها .

٢ — كفالة زكريا عليه السلام لمريم

إن زكريا عليه السلام كان نبياً من أنبياء الله الذين أرسلهم الله إلى بنى إسرائيل . وكان كما قال المفسرون زوج خالة مريم أو زوج أختها ، ولما كانت مريم يتيمة وقد نذرتها أمها لتكون خادمة لبيته المقدس لذلك لما وضعتها تخاصم القوم جميعاً على تربيتها وخدمتها وكان الجميع يريد أن يكون له شرف الخدمة عليها حتى تكبر وتتأتى منها الخدمة ، ولما اختلفوا أجروا القرعة بينهم وكان زكريا واحداً منهم : فخرجت القرعة لزكريا فكان كفيلها والمربى لها الذى يخدمها ويقوم على تربيتها قال تعالى لرسوله ﷺ : « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون »(سورة آل عمران ٤٤) .

وكان زكريا كما أخبر القرآن الكريم : قد تقدمت به السن وكانت زوجته عاقراً لا تلد وكان قد اشتاق الولد وتمنى أن يرزقه الله إياه فكان يدعو ربه «إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقيا ، وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقراً فهب من لدنك ولياً يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا » .

فكان يتمنى أن يكون له ولد يرثه فى النبوة والعلم ويرثه فى الدعوة لبنى إسرائيل . . وفى يوم من الأيام دخل زكريا على مريم فوجدعندها رزق الصيف فى الشتاء ورزق الشتاء فى الصيف فعجب من ذلك عجباً شديداً فتوجه بالسؤال إلى مريم قائلا «يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » هنالك وفى هـــذه اللحظة بالذات استغرق زكريا فى الدعاء لربه أن يرزقه الله الولد : موقناً أن الذى يرزق مريم بالطعام فى غير أوانه ، قادر على أن يرزقه الولد فى غير أوان أيضاً — فسبحانه جل شأنه لاتتعلق قدرته بالسبب ولا بالمسبب ، ولا تتوقف قدرته على العلة والمعلول : قال تعالى : « هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء » .

فاستجاب الله دعاء نبيه زكريا عليه السلام ، وأعطاه الله الولد وجاءته البشرى من الله وأصلح الله له زوجه مبيناً سبب هذا الإصلاح واستجابة الدعاء ، قال تعالى « وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فرداً وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ، إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين[1] » فاستجاب الله لزكريا لتلك الأسباب الثلاثة هذه :

(أ) المسارعة فى الخيرات ،

---

(١) سورة الأنبياء / ٨٩ ، ٩٠ .

(ب) والدعاء رغباً ورهباً .

(جـ) والخشوع لله عز وجل ، وكلها صفات ليست خاصة بالأنبياء ولكن إذا سار عليها البشر جميعاً أعطى الله لكل سؤله ومسألته .

« فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحي مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين » (سورة آل عمران ٣٩) .

وفى سورة مريم : « يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحي لم نجعل له من قبل سمياً[1] » ويتعجب زكريا من إنجابه الولد وهو فى هذه السن المتقدم وقد بلغ من الكبر عتياً ، ويزيد الأمر عجباً أن زوجته كانت عقيما لا تلد «قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل مايشاء (سورة آل عمران ٤٠) .

وفى سورة مريم «قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً » (٨ ، ٩) .

وهذا هو السر فى أن الله عز وجل يأتى بقصة زكريا وإنجابه الولد وهو فى هذه السن المتقدم والزوجة عاقراً لاتلد .. فالقوم كانوا يربطون المسببات بالأسباب والمعلولات بالعلل ، وكان فى مفهومهم وعلمهم . أن كل سبب لابد له من سبب ، وكل معلول لا بد له من علة ، وكان قد وقر فى علمهم أن الإنسان إذا بلغ من الكبر عتياً ، والزوجة إذا كانت قد بلغت سن اليأس وانقطع حيضها أصبحت عاقراً ، وإذا اجتمعت تلك الصفات فى إنسان مالا يتأتى منه الولد .. فأراد الله أن يبين لهؤلاء الذين ساد عندهم هذا التعليم وللبشرية جميعاً ، أن هذا إذا كان جائزاً بالنسبة لعلم الإنسان وقدرته

---

(١) سورة مريم / ٧ .

فإن علم الله وقدرة الله فوق كل العلوم وكل القدر ، وقدرته عزوجل لاتتوقف على السبب والمسبب والعلة والمعلول ، لأنه هو الذى خلق العلل والعلات والسبب والمسببات ، وأراد الله أن يجعل هذا التعليم قرآنا يتلى على الناس جميعاً .

فكانت قصة زكريا وأعطاء الله له يحيى فى القرآن الكريم تمهيدا لقصة عيسى عليه السلام …

وكأن الله عزوجل يقول للبشر جميعاً أن قدرة الله لاتتناهى، ولاتتوقف قدرته عزوجل على العلل والأسباب ، ومن ذلك أيضاً ماوقع لابراهيم عليه السلام وزوجته سارة: حيث أعطاهما الله الولد بعد أن شاخ إبراهيم عليه السلام وكان شيخا كبيرا ، وكانت زوجته سارة عجوزا لايلد من كان مثلها وفى سنها وكبرها ولذا لما جاءت البشرى إليها وبشرتها الملائكة باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب قالت كما أخبر القرآن الكريم «ياويلتى أألد وأناعجوز وهذا بعلى شيخا إن هذا لشىء عجيب ، قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد . سورة هود (٧٢،٧٣) .

وبعد ذلك تأتى قصة عيسى عليه السلام معلنة أن قدرة الله لاتتعلق بالمسببات ولا بالعلات بل أن قدرة الله عزوجل لاتتناهى وسبحانه إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون . فأمره دائما بين الكاف والنون : قال تعالى :«إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون» سورة آل عمران (٥٩) .

آيات بينات نقرأها فى القرآن الكريم عند الحديث عن عيسى عليه السلام وخلق الله له من غير أب لتعطينا الحكمة من وراء ذلك .

فقول الله عزوجل: «إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب»

إعلان لقدرة الله عز وجل فالله الذى خلق آدم من التراب بدون أب وأم والله الذى خلق حواء من ضلع آدم بدون أم ، قادر على أن يخلق إنساناً بدون أب ، وهو عيسى عليه السلام ، كما خلق الناس جميعاً من أب وأم، وكما أعطى زكريا الولد وقد بلغ من الكبر عتيا وكانت زوجته عاقرا لا تلد ، وكما أعطى إبراهيم وزجته « اسحاق ويعقوب » وكان الأبوان شيخين كبيرين .

وقول الله عز وجل بعد قصة عيسى عليه السلام « سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون »[1] بيان على أن قدرة الله لا تتعلق بالأسباب والمسببات ، ولا بالعلل والعلات فإن الله هو الذى خلق السبب والعلة ، والمسببات والعلات وقدرته عز وجل دائما بين الكاف والنون ، « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون »[2] .

يقول المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة :

لقد أشار القرآن إلى الحكمة من خلق عيسى عليه السلام بدون أب فى قوله تعالى « ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا » سورة مريم ٢١) .

قال :

« وإنا نتلمس تلك الآية الدالة فى ولادة عيسى عليه السلام من غير أب ، فنجد أنه يبدو أمام أنظارنا أمران جليان :

(ا) أن ولادة عيسى عليه السلام من غير أب تتعلق بقدرة الله عز وجل وأنه الفاعل المختار المريد ، وأنه سبحانه لا يتقيد فى تكوينه للأشياء

---

(١) سورة مريم ٣٥ (٢) سورة يس ٨٢

بقوانينا لأسباب والمسببات التى نرى العالم يسير عليها فى نظامه الذى أبدعه الله ، والذى خلقه ، فالأسباب الجارية لاتقيد إرادة الله لأنه خالقها وهو مبدعها ومريدها ، فإن الأشياء لم تصدر عن الله جلت قدرته كما يصدر الشيء عن علته ، والمسبب عن سببه ، من غير أن يكون للعلة إرادة فى معلولها بل كانت بفعله سبحانه وبإرادته التى لايقيدها شيء مهما يكن شأنه ، وخلق عيسى من غير أب هو بلاريب إعلان لهذه الإرادة الأزلية بين قوم غلبت عليهم الأسباب المادية ، وفى عصر ساده نوع من الفلسفة، أساسها أن خلق الكون كان من مصدره الأول كالعلة عن معلولها ، فكان عيسى آية الله على أنه سبحانه لايتقيد بالأسباب الكونية ، وأن العالم كان بإرادته ، ولم يكن سبحانه بمنزلة العلة من المعلول ... تعالى عما يقولون علوا كبيرا [١] .

(ب) أن ولادة المسيح عليه السلام من غير أب إعلان لعالم الروح بين قوم أنكروها حتى لقد زعموا أن الإنسان جسم لاروح فيه ، وأنه ليس إلا تلك الأعضاء والعناصر التى يتكون منها ولا يقرون أنه جسم وروح فقد قال رينان فى بيان سبب الحقد الذى تغلغل فى النفس اليهودية «لو كان الشعب الاسرائيلى يعرف التعاليم اليونانية التى كان من مقتضاها اعتبار الإنسان عنصرين مستقلين .

أحدهما الروح والآخر الجسد ، وأن الروح إن تعذبت فى هذه الحياة تستريح فى الحياة الثانية ، لسرى عنه شيء كثير من عذاب النفس ، واضطراب الفكر ، بسبب ذله وخضوعه ، مع ما كان يراه فى نفسه من الإمتياز الأدبى والدينى عن الشعوب التى كانت تذله [٢] .

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٧

(٢) السابق ١٨

ولما أنكر اليهود الروح أنكروا مايترتب عليها من البعث والحساب والجنة والنار...

وتحدثنا الأناجيل الموجودة بين أيدى النصارى عن طائفة الصدوقيين التى كانت تنكر القيامة أيام المسيح ، وكان لها نفوذ وسلطان فتقول : « وجاء إليه قوم من الصدوقيين الذين يقولون ليس قيامة وسألوه»[1] .

ومع بولس فى رحلاته التبشيرية حدثت منازعة بين الفريسيين والصدوقيين وانشقت الجماعة ، لأن الصدوقيين يقولون إنه ليس قيامة ولاملاك ولاروح »[2] .

وقالوا كما أخبر القرآن الكريم ، «نحن أبناء الله وأحباؤه »[3] ، وقالوا : لن يدخل الجنة إلامن كان هودا أو نصارى[4] ، وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة »[5] ، وأباحوا لأنفسهم كل شىء لدى غير اليهود ، وقالوا : « ليس علينا فى الأميين سبيل »[6] فكان إيجاد عيسى من غير أب إعلانا لعالم الروح بين قوم أنكروها ، ولم يعرفوها وهذا مانستشعره من قوله تعالى : والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا

---

(١) إنجيل مرقس / ١٢ : ١٨ — ومتى / ٢٢ : ٢٣ — ولوقا / ٢٠ — ٢٧

(٢) أعمال الرسل / ٢٣ : ٧—٨

(٣) سورة المائدة / ١٨

(٤) سورة البقرة /١١١

(٥) سورة البقرة / ٨٠

(٦) سورة آل عمران / ٧٥

وجعلناها وابنها آية للعالمين »[1] ، وقوله تعالى « ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين»[2] فما كان النفخ إلا من جبريل حيث نفخ فى جيب مريم فكان ذلك الايجاد لعيسى عليه السلام من غير بذرة الإنسان وجرثومته وكان خلق عيسى عليه السلام إعلاناً لقدرة الله وأمره التى لاتتعلق بالأسباب والعلات وصدق الله العظيم : « إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون» .

لقد كان خلق عيسى مثلا ملموساً على قدرة الله عزوجل على الخلق وذلك فى زمن طغت فيه المادية على بنى اسرائيل فأنكروا إعادة خلق الإنسان وبعثه للحياة مرة أخرى وذلك يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ...

كما كان خلقه إعلاناً لقدرة الله عز وجل لذا شبه الله خلق عيسى بخلق آدم عليه السلام قال تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب »[3] .

يقول الإمام ابن تيمية فى هذه الآية : إنه كلام حق فإنه سبحانه خلق هذا النوع البشرى على الأقسام الممكنة ليبين عموم قدرته ، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ، وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى كما قال : « وخلق منها زوجها »[4] وخلق المسيح من أنثى بلا ذكر ، وخلق سائر الخلق من ذكر وأنثى وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح فإن حواء خلقت من ضلع آدم .

---

(١) سورة الأنبياء / ٩١

(٢) سورة التحريم / ١٢

(٣) سورة آل عمران / ٥٩

(٤) سورة النساء / ١

وهذا أعجب من خلق المسيح فى بطن مريم ، وخلق آدم أعجب من هذا وهذا ، وهو أصل خلق حواء فلهذا شبهه الله بخلق آدم الذى هو أعجب من خلق المسيح ، فاذا كان الله سبحانه قادرا أن يخلقه من تراب ، والتراب ليس من جنس بدن الإنسان ، أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة هى من جنس بدن الإنسان ؟ وهو سبحانه خلق آدم من تراب ، لما نفخ فيه من روحه ثم قال له كن فيكون، فكذلك المسيح نفخ فيه من روحه، وقال له كن فيكون [١] » .

٣ — حمل عيسى وولادته :

قلنا إن بنى اسرائيل كانوا قد تقولوا على عيسى وأمه ، وجاءوا بمفتريات وأباطيل حيث أدعوا أن عيسى الها ، وابن اله ، وأن مريم كانت اله ، وأنها ولدت عيسى الاله ، وكانوا فى أول الأمر قد أتهموا مريم بالبغاء ، وقالوا لها « يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا [٢] » .

وبينا أن القرآن الكريم فى سورة آل عمران قد نزه مريم أم المسيح عما نسبه القوم إليها من أنها كانت الها، وأن القرآن الكريم أثبت طهارتها ونزاهتها ، وأنها لم تكن هى وعيسى إلا إنسانين من البشر : كانا يأكلان الطعام ويشربان الشراب والذى يأكل الطعام ويشرب الشراب لابد وأن يخرج الفضلات والنجاسات من قبله ودبره والذى يكون كذلك هل يكون إلها .. !!

ولذا قال القرآن الكريم « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت

---

(١) الجواب الصحيح جـ ٢ ص ٢٩٤

(٢) سورة مريم / ٢٨

من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنى يؤفكون (١) » .

فاذا ما جاء القرآن الكريم فى سورة مريم « وأبان قصة خلق عيسى وحمل مريم أمه به وولادته أمام القوم فإنه بذلك يبطل هذه الشبهة ويرد تلك الأكاذيب والضلالات التى افتراها اليهود والنصارى فى أمر عيسى وأمه مريم من اتهامهم لها بالزنا والبغاء حينما جاءتهم بعيسى حاملا ، واعتقاد النصارى فى عيسى أنه اله أو ابن اله أو ثالث الثلاثة ... الخ تلك الافتراءات الباطلة .

من هنا يأتى القرآن الكريم فيخبرنا بكيفية الحمل وما حصل من القوم آنذاك ، وماذا كان من شأن مريم ، وكيف جاء جبريل ونفخ فى جيب قميصها : قائلا لها : « إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ، قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا : قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا » سورة مريم (١٩ — ٢١) .

وفى قول مريم « أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا » دليل لما قلناه سابقا حيث كان البشر لا يتصورون أن يكون إنسان بدون لقاح وبدون التقاء الذكر والأنثى وسواء كان الالتقاء شرعيا أم غير شرعى ، ولذا تعجبت مريم أول الأمر وقالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ، أى لم أتزوج برجل كما تتزوج النساء بالطريق الشرعى ، ولم أك بغيا : أرتكب الحرم ، وهذان هما الطريقان اللذان كانا معروفين حتى ذلك الوقت ، ولذلك كان الرد عليها من جبريل عليه السلام لاتتعجبى فهذا أمر الله ، وهو عليه هين « قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله

---

(١) سورة المائدة / ٧٥

آية للناس (١) ، ثم تأتى الآيات تتضمن أنه بسبب هذا النفخ لا غيره تم الحمل : فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ، فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا، وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا » سورة مريم (٢٢ — ٢٦) .

وسواء تم الحمل فى ساعات تسع ، أو فى تسع شهور ، أو غير ذلك فالذى يبغيه القرآن الكريم : أن القوم قد شاهدوها وهى حامل بعيسى ، وأنها وضعته هناك فى هذا المكان تحت الشجرة ، وأن مريم لما تخوفت من هذا الإنجاب وذلك الوضع أوحى الله اليها أن تهز النخلة وتأكل من رطبها ، ولتقر عينا ولا تحزن فان كلمها أحد فى هذا الشأن فلا ترد عليه بل تشير إلى ولدها عيسى عليه السلام فانه سيجيبهم ويرد على أسئلتهم واستفساراتهم .

وبعد بيان تلك الحالة النفسية التى كانت عليها مريم ورعاية الله لها تأتى الآيات : فتصف ما كان من اليهود آنذاك حين اتهموا مريم بالبغاء قال تعالى : « فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا (٢) . أى شيئا منكرا ، وأن هذا الذى جئت به لايناسب قومك ، فأنت من أسرة أصيلة لا ترتكب المنكر ولا تقرب الزنا ، فلا أخوك ، ولا أبوك ، ولا أمك كذلك ، « يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا ، فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا » سورة مريم ٢٨ ، ٢٩) .

---

(١) سورة مريم / ٣١ (٢) سورة مريم / ٢٧

كلام عيسى فى المهد :

أنطق الله عيسى عليه السلام وهو فى المهد ليرد على تلك الافتراءات والأكاذيب التى نسبت اليه وإلى أمه سواء ما كان منها حين حمله وولادته وما نسب اليه بعد ذلك مما افتراه النصارى عليه وليعلن الحقائق التالية :

١ ــ أنه إنسان بشر « لا يرتفع فوق بشريته وعبوديته لله عز وجل وأنه لا يرضى لنفسه إلا أن يكون عبدا لله ، وأنه ينزه الله عن الشريك والولد ، ويفرده بالألوهية ولذا كان أول ما تكلم به عيسى : « قال إنى عبد الله وصفة العبودية إنما هى تجريد للإنسان عن كل ما يرتفع به فوق بشريته ، ولذا كانت تلك الصفة أولى الصفات التى يتقرب بها الإنسان إلى الله ، وكانت من أحب الصفات التى يمدح الله بهـــا رسله وعباده المؤمنين به : قال تعالى : «لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون» سورة النساء (١٧٢).

وقال تعالى فى شأن الرسول ﷺ : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا [1] » وفى سورة ص : يمدح الله يمن على رسله المصطفين الأخيار بهذه الصفة قال تعالى فى شأن داود عليه السلام : واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب» سورة ص (١٧).

وفى شأن سليمان عليه السلام ووهبنا لداود سليمان نعم العبـــد إنه أواب» (سورة ص ٣٠).

وفى شأن أيوب عليه السلام : « واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب » (سورة ص ٤١).

---

(١) أول سورة الاسراء .

إلى قوله تعالى : إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب » (سورة ص ٤٤).

وفى شأن ابراهيم وذريته : « واذكر عبـادنا إبراهيم واسحاق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار . إنا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار » وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار، واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار » (سورة ص ٤٥—٤٨).

فأعلن عيسى عليه السلام وهو فى المهد أنه إنسان بشر وأنه كغيره من رسل الله وخاتمه لا يرتفع ببشريته فوق ذلك — كأنه بذلك يرد على تلك الافتراءات والأكاذيب التى نسبت اليه من البشر ومن هـذه الطوائف وأنه برىء من كل ذلك ، وانا لنرى القرآن الكريم يخبرنا عن كل رسل الله وأنبيائه انهم كانوا جميعا من البشر والفرق بين الرسول وغيره من الناس ليس إلا أنه يوحى اليه ، ولذا يقول الله لنبيه ﷺ : «قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى[1] » حتى إن الرسول عليه السلام لما وقف القوم منه موقف العناد والجحود وقالوا كما اخبر القرآن الكريم «لن نؤمن لك حتى تفجر لنـا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالهـا تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه[2] .

لـما كانت هذه شروطهم للإيمان بدعوته والدخول فى الإسلام . وكلها مطالب فوق طاقته البشرية . . كان رد الرسول ﷺ هو أن

---

(١) سورة الكهف / ١١٠

(٢) سورة الأسراء / ٩٠ — ٩٢

عرفهم بنفسه وأنه ليس ملكا ولا يعلم إلا ما علمه الله إياه عن طريق الوحى قال : سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا[1]»، أى ليس ذلك فى قدرة أحد وإن كان رسولا ، لأن الرسالة لا تخرج الرسول عن طور البشر فى صفاتهم البشرية كالقدرة والاستطاعة فهم لا يستطيعون إيجاد شيء مما يعجز عنه البشر ولا يقدر عليه غير الخالق تعالى[2].

٢ — ولذا لما أعلن عيسى عن بشريته وعبوديته لله عز وجل وأراد أن يعلن رسالته ويظهرها للناس قال « آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت[3] » فهذا اخبـــار عن رسالته وأنه رسول من رب العالمين إلى بنى إسرائيل قال تعالى : « ورسولا إلى بنى إسرائيل[4] » ، وأن الله أنزل عليه كتابا هو الإنجيل مصدقا لما بين يديه من التوراة ومبشرا فيه بالرسول ﷺ : قال تعالى « وإذ قال عيسى بن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى أسمه أحمد[5]».

٣ — وفى قوله مباركا ، أى أن الله أيده بمعجزات كانت آية لبنى إسرائيل على صدق دعوته ورسالته قال تعالى: ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم[6] ... إلخ» .

٤ — وفى قول عيسى عليه السلام : « وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا[7] » بيان للشريعة التى تضمنتها دعوة عيسى عليه السلام

---

(١) السابق ٩٣
(٢) تفسير المنار جـ ٧ ص ٣٨٢
(٣) سورة مريم / ٣
(٤) سورة آل عمران / ٩
(٥) سورة الصف / ٦
(٦) سورة آل عمران/٤٩
(٧) سورة مريم / ٣١

بعد بيان عبوديته الخالصة وتنزيهه لله عز وجل مما نسبه القوم إليه من أن يكون له ولد وحاش لله عز وجل أن يكون له ولد .

٥ — وفى قوله « وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا[1] إعلان البراءة لأمه وبيان طهارتها ونقاوتها وعفتها واصطفاء الله لها لأن تكون أما له على هـــذا النحو الذى أراد الله عز وجل أن يكون حيث قال الله لها « يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين[2] » لأنك ستكونين خادمة لبيت الله من ناحية ، ومن ناحية أخرى ستكونين أما لإنسان سيأتى على نحو لم يكن للناس عهد به قبل ذلك فأنت الطاهرة النقية « يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين[3] » .

٦ — وفى قوله « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا[4] » آية جامعة مانعة : فهو أولا ينزه أمه مما نسب إليها ساعة الولادة والوضع حينما جاءت به تحمله : وقالوا لها « يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كنت أمك بغيا » فهذا إعلان للبراءة من كل ما نسب القوم لعيسى ومريم ساعة الولادة ويوم أن خرج إلى الحياة وهو ثانيا ينزه نفسه عن قضية الصلب التى افتراها النصارى على عيسى عليه السلام حينما قالوا : إنه صلب تكفيرا للخطايا ، فالله عز وجل يعلن على لسان عيسى عليه السلام إنه ما مسته يد بشر ساعة أن ذهب من هذه الحياة وكيف وقد كان هذا اليوم « سلاما على عيسى » وقد جاءت الآيات تبرىء عيسى من هذا الكذب البين والإفتراء المبين : قال تعالى « وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا

---

(١) سورة مريم ٣٢ (٣،٢) سورة آل عمران ٤٢، ٤٣
(٤) سورة مريم ٣٢

حكيما[1] ، وفى قوله تعالى « ويوم أبعث حيا » إعلان عيسى البراءة أمام الله عز وجل مما تقول النصارى عليه وقالوا إنه وأمه الهين من دون الله .. فيكون التثبيت والتأييد من الله لعيسى يوم الجمع « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم » فيكون هـــذا السؤال من الله لعيسى يوم القيامة : « يا عيسى أأنب قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله » فيأتى الجواب من عيسى بتأييد من الله عز وجل « ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولاأعلم مافى نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد : إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » سورة المائدة (١١٦—١١٨).

والآيه ثانيا :

وقبل كل شىء تنفى عن عيسى نفيا قاطعا أنه اله ، أو أنه ابن اله أو أنه تولد من مريم الاله : لأن الذى يولد لايكون الاحادثا والحادث لايكون الها قط لأنه مادام حادثا فان له مدة معينة سيقضيها على هذه الدنيا ثم يرتحل عنها بالموت إذا الموت نهاية كل محدث ، والذى يولد ، ثم يموت ... ثم يبعث مرة أخرى للحساب .. لا يكون إلها قط .

ولما كانت هذه حقيقة عيسى عليه السلام أنه : —

١ — إنسان بشر عبدلله عز وجل — وقد حملته مريم ووضعته على هذا النحو الذى أراده الله .

٢ — وأنه رسول أرسله الله إلى بنى إسرائيل .

٣ — وأنه جاء بكتاب هو الانجيل .

---

(١) سورة النساء ١٥٦—١٥٨

٤ — وجاء لبنى اسرائيل بشريعة الصلاة والزكاة على نحو ما جاءت به التوراة .

٥ — وأنه برىء مما نسب القوم إليه وإلى أمه : من الزنا — ومن الألوهية والتثليث والصلب وغير ذلك ... الخ ما نسب القوم .

لما كانت هذه الحقائق فى أمر عيسى عليه السلام وأمه : جاء ختام الآيات بعد ذلك : « ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه » فهذا تنزيه لله عز وجل من أن يكون له ولد وقوله : « إذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » : أعلان لقوة الله عز وجل كما سبق بيانه ولذا خاطب الله نبيه ﷺ فى سورة آل عمران وأنزل عليه قوله تعالى: إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين . فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم[1] : أى إذا جاءك النصارى وجادلوك فى أمر عيسى بعد أن تبينت لك كل الحقائق . وظهرت لك حقيقة أمر عيسى وأمه من الله عزوجل وتعليم الله لك ذلك ، فما كنت شاهدا لهذه الحقائق ولكن علمناك أياها وبينا لك حقيقة الأمر « فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين[2]

(٢،١) سورة آل عمران ٥٩ — ٦١

٥ — اسم عيسى عليه السلام فى القرآن الكريم

وبعد الحديث من شأن مريم أم المسيح وبيان أنها كانت إنسانا وأنها حملت بعيسى الإنسان الذى استقر فى بطنها بعضا من الزمان ثم ولدته بسمى الله هذا المولود وتأتى الملائكة بأمر الله يقولون لها « يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه إسمه المسيح عيسى بن مريم »[1] .

فذكر القرآن اسمه ولقبه وكنيته ليشير إلى بشريته وإنسانيته ثم بين مكانته بأنه رسول الله وأنه لا يرتفع فوق هذه المرتبة ولذلك لما بعثه الله إلى بنى إسرائيل قال لهم « يا بنى إسرائل إنى رسول الله إليكم »[2] فاسمه فى القرآن : المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وكلمة المسيح وصف كان يطلق على ملوك بنى إسرائيل وقد وصف به يسوع وغدا علما عليه أو إسما ثانيا له بدل : عيسى[3] :

---

(١) سورة الإعراف ٤٦ (٢) سورة الصف ٦

(٣) تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص ٣٥٧

الفصل الرابع

رسالة عيسى إلى بنى إسرائيل
فى القرآن الكريم

١ - عيسى عليه السلام آخر أنبياء بنى إسرائيل:

بعث الله عز وجل عيسى - عليه السلام - رسولا إلى بنى إسرائيل قال تعالى: « ورسولا إلى بنى إسرائيل[1] ».

وقال تعالى: « وإذ قال عيسى بن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد[2] ».

ولم يرد فى القرآن الكريم ولا فى السنة النبوية الشريفة بيان للسن التى بعث عند بلوغها عيسى - عليه السلام -، ولكن العلماء أخذوا بما جاء فى أناجيل القوم واعتبروا ذلك بياناً للسن التى بعث عيسى عند بلوغها وهى سن الثلاثين.

« ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة[3] ».

---

(١) سورة آل عمران من الآية / ٤٩

(٢) سورة الصف / ٦

(٣) إنجيل لوقا (إصحاح ٣ - ٢٣)

وعليه أخذ بعض علمائنا : يقول الإمام الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل فى الكلام عن عيسى — عليه السلام — « وقد أوحى إليه انطاقا فى المهد وأوحى إليه إبلاغاً عند الثلاثين وكانت مدة دعوته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام[١]

٢ — معجزات عيسى — عليه السلام — إلى قومه :

أيد الله رسوله عيسى — عليه السلام — بمعجزات جعلها الله آية له لتكون حجة على بنى إسرائيل إذ هم لم يؤمنوا بعيسى — عليه السلام —: وعن هذه المعجزات يقول الإمام الشهرستانى :

كانت له آيات ظاهرة ، وبينات زاهرة ، مثل إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ونفس وجوده وفطرته آية كاملة على صدقه وذلك حصوله من غير نطفة سابقة ، ونطقه من غير تعليم سالف[٢]

وقد بينا كيفية خلق عيسى — عليه السلام — والحكمة من خلقه من غير أب فيما سبق ، أما المعجزات الأخرى التى أيده الله بها فهى فى القرآن الكريم خمس : جاءت أربعة منها فى سورة المائدة ، والخامسة فى سورة آل عمران ، قال تعالى : —

« وإذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا ، وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل . وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذنى . وتبرىء الأكمه والأبرص بإذنى . وإذ

---

(١) انظر الفصل لابن حزم ج ٢ ص ٦٠ هامش .

(٢) الفصل ج ٢ ص ٥٩ هامش .

تخرج الموتى بإذنى ... إلى قوله تعالى : « إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ، قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله إنى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين » .

[سورة المائدة (١١٠ — ١١٥)

وفى سورة آل عمران : فوق ذلك : « وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين »

[سورة آل عمران (٤٩) .

فآيات عيسى الخمس التى جاء بها لبنى إسرائيل هى :

١ — أن الله خلق على يديه طيراً من الطين : صوره عيسى على هيئة طير ثم نفخ فيه فكان الطين طيراً بإذن الله عز وجل ، فالخالق هو الله ولكن أجرى ذلك على يد عيسى عليه السلام .

٢ — إحياء الموتى على يد عيسى — عليه السلام — بإذن الله عز وجل فالمحيي فى الحقيقة هو الله عز وجل ، ولكنه عز وجل أجرى الإحياء على يد عيسى رسوله — عليه السلام — . ليكون آية على نبوته ورسالته

٣ — إبراء الأكمه والأبرص ، وهما مرضان يستعصى على الطب قديمه وحديثه العثور على دواء لهما ، ولكن عيسى عليه السلام شفاهما بقدرة الله عز وجل ،

٤ — انزال المائدة من السماء بطلب من الحواريين الذين آمنوا بعيسى : لتطمئن قلوبهم . ويزدادوا إيمانا بنبيهم عيسى عليه السلام .

٥ — إنباء عيسى لبنى إسرائيل بما يأكلون ومايدخرون — أى بأشياء وأمور لم يعاينها ولم يعلم عنها شيئاً .

٣ — الحكمة من معجزات المسيح عليه السلام :

وإذا ما تساءلنا ، لماذا كانت معجزات عيسى عليه السلام على هذا النحو ، فأننا نجد الإجابة عند كثير من العلماء : بأن الله يبعث كل نبى من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه ، فلما كان الغالب على زمان موسى السحر وتعظيم السحرة ، بعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار ، وحيرت كل سحار ، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار إنقادوا للإسلام ، وصاروا من عباد الله الأبرار .

وأما عيسى عليه السلام فبعث فى زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيداً من الذى شرع الشريعة ، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد ، أو على مداواة الأكمه والأبرص ، وبعث من هو فى قبره رهين إلى يوم التناد . وهكذا محمد ﷺ بعث فى زمن الفصحاء والبلغاء وتجاريد الشعراء فأتاهم بكتاب من الله عز وجل ، فلو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبداً ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وما ذاك إلا لأن كلام الله عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبداً[1] .

من هذا يستفاد أن عيسى عليه السلام جاء لبنى إسرائيل بمعجزاته على هذا النحو لأن القوم كانوا على علم بالطب ، وكانوا علماء بالطبيعة ،

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٦٥

فناسب أن يأتيهم بمعجزات من جنس ما يعلمون ليكون عجزهم حجة عليهم .

ولكن المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة ينقل رأياً جميلا حيث ينقل عن المؤرخ الفرنسي رينان قوله : إن اليهود ما كانوا على علم بالطب الطبيعي إذ يقول : « كانت صناعة الطب فى المشرق فى ذلك الزمان كما هى اليوم ، فإن اليهود فى فلسطين كانوا يجهلون هذه الصناعة التى وضعها اليونان منذ خمسة قرون قبل ذلك التاريخ ، وكان قد ظهر قبل ذلك بأربعة قرون ونصف كتاب لأبقراط أبى الطب موضوعه «العلة المقدسة» يعنى الهستيريا، وفيه وصف هذه العلة ، وذكر دواءها إلا أن اليهود فى فلسطين كانوا يجهلون صدور هذا الكتاب ، وكان فى اليهودية فى ذلك الزمان كثيرون من المجانين ، وربما كان ذلك ناشئاً من شدة الحماسة الدينية[1] .

وعلى ذلك فاليهود الذين بعث إليهم المسيح لم يكونوا على علم إذن بالطب أو الطب الطبيعى على رأى ذلك الفيلسوف الفرنسى المؤرخ ثم يضيف المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة تعليله قائلا :

وفى الحق الذى نراه تعليلا مستقيما لكون معجزات السيد المسيح عليه السلام جاءت على ذلك النحو هو مناسبة ذلك النوع لأهل زمانه : لا لأنهم أطباء فناسبهم أن تكون المعجزة مما يتصل بالشفاء والأدواء ، بل لأن أهل زمانه كان قد سادهم إنكار الروح فى أقوال بعضهم، وأفعال جميعهم ، فجاء عليه السلام بمعجزة هى فى ذاتها أمر خارق للعادة مصدق لما يأتى به الرسول ، وهى فى الوقت ذاته إعلان صادق للروح ، وبرهان قاطع على وجودها ، فهذا طين مصور على شكل طير ، ثم ينفخ فيه فيكون حياً ، ما ذاك إلا لأن شيئاً غير الجسم وليس من جنسه فاض

---

(۱) محاضرات فى النصرانية ص ۲۱

عليه، فكانت معه الحياة، وهذا ميت قد أكله البلى، وأخذت أشلاؤه فى التحلل، وأوشكت أن تصير رميما، أو صارت يناديه المسيح عليه السلام، فإذا هو حى يجيب نداء من ناداه، وما ذاك إلا لأن روحا غير الجسم الذى غيره البلى حلت فيه بذلك النداء: ففاضت عليه بالحياة ... وهكذا كانت معجزة عيسى عليه السلام من جنس دعايته، وتناسب أخص رسالته، وهو الدعوة إلى تربية الروح، والإيمان بالبعث والنشور ... وأن هناك حياة أخرى يجازى فيها المحسن بإحسانه والمسىء بإساءته إن خيراً فخيراً وإن شراً فشرا ... خاصة وأن اليهود كان يسود تفكيرهم عدم الاعتراف بوجود الآخرة: وعدم الإيمان باليوم والآخر ... فكان احياء الموتى صوتا قويا يحملهم على الإيمان حملا[1] ولكنهم كانوا بآيات الله يجحدون ... فحقت عليهم اللعنة ... «لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون[2]».

٤ – أساس دعوة عيسى عليه السلام :

ينص القرآن الكريم على أن عقيدة المسيح هى التوحيد الكامل، التوحيد بكل شعبه، التوحيد فى العبادة، فلا يعبد إلا الله، والتوحيد فى التكوين، فخالق السماء والأرض وما بينهما هو الله وحده لاشريك له، والتوحيد فى الذات والصفات، فليست ذاته بمركبة، وهى منزهة عن مشابهه الحوادث، سبحانه وتعالى.

وهذا ما يقوله الله تعالى عما يكون من عيسى يوم القيامة مجاوبة بينه

---

(١) السابق ص ٢٢ (٢) سورة المائدة / ٧٨، ٧٩

وبين ربه «وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم»[1] .

فهذا نص يفيد بصريحه أن عيسى ما دعا إلا إلى التوحيد ، فغير التوحيد إذن دخل النصرانية من بعده[2] .

وقال المسيح كما بين القرآن الكريم «يا بنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة»[3] فالمسيح أمرهم بعبادة الله وحده معترفا بأنه جل شأنه ربه وربهم فاعترف بأنه عبد مربوب لله تعالى ، ودعا بنى إسرائيل الذين أرسل إليهم — ورسولا إلى بنى إسرائيل»[4] .

أن يعبدوا الله الذى يعبده هو . . فدين المسيح بنى على التوحيد المحض كما أخبر المسيح عليه السلام فى قوله لربه كما أخبر القرآن — ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم — إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، فأمرهم عليه السلام بالتوحيد الخالص ، وقفى عليه بالتحذير من الشرك والوعيد عليه ببيان أن الحال والشأن الثابت عند الله تعالى هو أن كل من يشرك بالله شيئا ما ، من ملك ، أو

---

(١) سورة المائدة آيات «١٦٦ ، ١٦٧» .

(٢) محاضرات فى النصرانية / للشيخ محمد أبو زهرة /طبع ونشر دار الفكر العربى الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٢ هـ سنة ١٩٧٢ ص ١١ ، ١٢

(٣) سورة المائدة «٧٢» .

(٤) سورة آل عمران من الآية «٤٩» .

بشر ، أو كوكب ، أو حجر ، أو غير ذلك ، بأن يجعله نداً له ، أو متحدا به ، أو يدعوه لجلب نفع ، أو دفع ضر ، أو يزعم أنه يقربه إلى الله زلفى .. من يشرك هذا الشرك ونحوه فإن الله يحرم عليه الجنة فى الآخرة بل هو قد حرمها عليه فى سابق علمه ، وبمقتضى دينه الذى أوحاه إلى جميع رسله . فلا يكون له مأوى ولا ملجأ يأوى إليه إلا النار[١] .

وعلى هذا كانت دعوة القرآن لأهل الكتاب إلى التوحيد : قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله »[٢] .

فالمراد بهذا تقرير وحدانية الألوهية ، ووحدانية الربوبية ، وكلاهما متفق عليه بين الأنبياء فقد كان إبراهيم موحدا صرفا «ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين »[٣] .

وقد كان الأساس الأول لشريعة موسى قول الله له فى التوراة « الرب إله رحيم .. لاتسجد لإله آخر .. »[٤] « وعلى هذا : درج جميع أنبياء بنى إسرائيل حتى المسيح نفسه إلى التوحيد وفى إنجيل يوحنا وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيق وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته »[٥] وغير ذلك من عبارات التوحيد .

إن التوحيد هو أساس دين الله الواحد منذ أقدم رسول ، والقرآن يقرر هذه الحقيقة فى هذه الصورة الفريدة صورة الرسول ﷺ يسأل

---

(١) تفسير المنار/ للإمام محمد عبده / تأليف / السيد محمد رشيد رضا / الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٢ م . ج ٦ ص ٤٠٠

(٢) سورة آل عمران من الآية « ٦٤ » .

(٣) سفر الخروج ٣٤ — ٦ ، ١٤

(٥) إنجيل يوحنا (١٧ — ٣) .

الرسل قبله عن هـــذه القضية[١] واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون »[٢] .

وهى صورة طريفة حقا : فهناك أبعاد الزمان والمكان بين الرسول ﷺ والرسل الكرام قبله .. ولكن هذه الأبعاد تتلاشى أمام الحقيقة الثابتة المطردة . حقيقة وحدة الرسالة المرتكزة كلها على التوحيد ، وهى كفيلة حين تبرز أن يتلاشى مع ثبوتها الزمان والمكان وسائر الظواهر المتغيرة .. على أنه بالقياس إلى النبى ﷺ وإخوانه من الرسل الكرام مع ربهم لا يبقى شيء بعيد أو قريب فهناك دائماً تلك اللحظة اللدنية التى تزال فيها الحواجز ، وترتفع فيها السدود ، وتتجلى الحقيقة ، وهى وحدة متصلة بعد أن سقط عنها حاجز الزمان والمكان والشكل والصورة ... وعندئذ يسأل الرسول ﷺ إخوانه الأنبياء عليهم السلام . « أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » ويقع السؤال دون حاجز ولا حاجب .. والجواب كما سيقوله سيدنا عيسى عليه السلام يوم يجمع الرسل يوم القيامة ، « ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم »[٣] .

وإذا كانت نصوص القرآن الكريم قد بينت ووضحت أن دين الله فى جميع الأزمان هو إفراده سبحانه بالربوبية ، والإستسلام له وحده بالعبودية ، وطاعته لما أمر به ونهى عنه ، وقد ضمنها كتبه التى أنزلها على المصطفين من رسله «[٤] شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى

---

(١) يا أهل الكتاب تعالوا : د/رءوف شلبى/ الطبعه الأولى ١٩٧٤م ١٣٩٤ هـ الناشر مكتبة الأزهر ص ٢٣

(٢) سورة الزخرف آية « ٤٥ » .

(٣) يا أهل الكتاب ص ٢٣ وما بعدها .

(٤) رسالة التوحيد ص ١٥١ بتصرف .

أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين »[١] فعيسى عليه السلام واحد من هؤلاء الرسل كانت دعوته إلى الدين الحق دعوته إلى التوحيد المطلق لله رب العالمين ، دعوته إلى التوحيد النقى المشرق الخالص من كل شائبة من شوائب التحديد أو التجسيد لذات الله والتى عرفته الإنسانية فى رسالات الرسل السابقين من نوح إلى عيسى كما حدث بذلك القرآن الكريم [٢] .

هذه هى الدعوة التى دعابها المسيح عليه السلام ، والتى آمن بها الكثيرون حتى بعد رفع المسيح عليه السلام بذلك وقد جاءت النصوص الإنجيلية مشاهدة على ذلك كما شهد القوم بذلك أيضا .

---

(١) سورة الشورى الآية ١٣

(٢) المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص ٦٦ .

الفصل الخامس

رسالة عيسى إلى بنى إسرائيل

من خلال الأناجيل

(أ) المسيح يشهد : أن لا إله إلا الله

« إذا رجعنا إلى الكتاب المقدس ، نرى أنه شهد بوحدانية الله بكل وضوح وجلاء[1] . وإذا رجعنا إلى أقوال المسيح فى نصوص العهد الجديد لا نجده إلا مؤمنا داعيا للتوحيد الحقيق وحده .. أما التثليث فلم يخطر ببال ابن مريم مطلقا[2] . والدليل على ذلك : تلك الشهادة التى جاءت على لسان عيسى عليه السلام ، مبينا فيها ومعلنا :

(أ) « أن الحياة الأبدية لا تكون إلا بعبادة الله الواحد ، ومعرفة أن الله واحد لا شريك له يقول المسيح : وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ، والذى أرسلته يسوع المسيح »
« يوحنا ١٧ : ٣ »

لم يقل المسيح « أن الحياة الأبدية أن يعرفوا أن هناك ثلاثة أقانيم ممتازة امتيازا حقيقيا وأنها جميعا واحد كما يزعم كتاب المسيحية[3] ، أو « أن الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله المكون من ثلاثة أقانيم الآب

---

(١) الله ذاته وحدانيته ص٣٥

(٢) المسيح والتثليث / د . محمد وصفى . المطبعة الرحمانية بمصر الطبعة الأولى سنه ١٣٥٥ هـ سنه ١٩٣٧م ص١٢٣

(٣) الله ثالوث وحدانيته ووحدانية ثالوثه / عوض سمعان / مطبعة قاصد خير سنة ١٩٧٦ م فى كلامه عن الأقانيم الباب الثالث والرابع .

والابن والروح القدس .. الخ كما تقول الجامع[1] : .. بل لقد شهد المسيح أن « الحياة الأبدية هى شهادة أن لا إله إلا الله وأن يسوع رسول الله وهو عين ما يعتقده المسلمون جميعا . وحيث شهد المسيح بالتوحيد الحقيق وأنه الحياة الأبدية ، فيكون التثليث هو الموت الأبدى والضلال »[2] .

ثم ما هى أول الوصايا التى وردت فى كل من إنجيل متى ، ولوقا ، ومرقص ؟ ! هذه الوصايا التى صورت السلطان المطلق للإله الواحد ، وأوجبت العبادة له وحده دون سواه « وشجبت كل عبادة للأصنام وكل وضع من أوضاع العبادة التصورية أو الشكلية المحسوسة .. وجعلت الحياة وطيدة الأركان مادام يعبد الناس الاله الواحد خالق العالمين المنزه الذى لا يمكن تصويره بأى شكل أرضى »[3] .

إن أول الوصايا كما بينت الأناجيل وكما دعا بذلك المسيح عليه السلام هى تلك الوصية التى تدعو إلى التوحيد . توحيد الله . . الواحد الأحد ، الفرد الصمد الذى .. « لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد »[4] .

روى مرقص أن عيسى كان يعلم اليهود « فدنا أحد الكتبة .. فسأله أية الوصايا هى أول الكل ، أجابه يسوع : إن أول الوصايا كلها اسمع يا إسرائيل إن الرب إلهنا رب واحد فأحب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك ، وكل ذهنك ، وكل قدرتك . هذه هى الوصية الأولى .. فقال له الكاتب : حسن يا معلم بالحق قلت إن الله واحد وليس آخر غيره . ومحبته من كل القلب وكل العقل ، وكل القدرة وكل النفس » .

« مرقص فصل ١٢ : ٢٨—٣٣ »

---

(١) السابق ص ١٠٩ (٢) المسيح والتثليث ص ١٢٥ وما بعدها

(٣) أديان العالم / حبيب سعيد / دار الجيل للطباعه ص ١٩٦ .

(٤) سورة الإخلاص « الآيه ٣-٤ »

وفى الإصحاح العاشر من إنجيل مرقص أيضا : نرى المسيح عليه السلام وقد تقدم إليه أحد السائلين قائلا : « أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية : فقال له يسوع : لماذا تدعونى صالحا ، إنه لا صالح إلا الله وحده » « ١٠ ، ١٧ ، ١٨ »

وهذا المعنى أيضا نجده فى انجيل لوقا « ١٨ : ١٨ ، ١٩ »

وفى إنجيل متى : يقول المسيح للشيطان : « إذهب يا شيطان فإنه قد كتب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » « فصل ٤ : ١٠ »

وفى رسالة بولس إلى أهل رومية « فإن الله واحد » « فصل : ٣٠ »

وفى رسالته إلى أهل غلاطيه « والله هو واحد » « فصل ٣ : ٢٠ »

وفى رسالته إلى تيموثاوس : « أن الله واحد » « الفصل الثانى : ٥ »

وفى رسالة يعقوب : أنت تؤمن أن الله واحد حسن » « الفصل الثانى : ١٩ »

وفيها أيضا « وإنما المشترع والديان واحد ، و قادر أن يخلص ، وأن يهلك » « فصل ٤ : ١٢ »

تلك شهادة الأناجيل على رسالة عيسى عليه السلام ودعوته : إنها وحدانية الله ، وتنزيهه عن مشابهة الحوادث ، وعدم الإشراك به جل شأنه ، وحبه وعبادته ، وتقديسه ، واتصافه سبحانه بكل صفات الصلاح والكمال التى لا يزاحمه فيها رسول أو بشر أو ملاك .

أما دعوة الثالوث وكافة ما ألصقه الغاوون والمارقون بهذه الرسالة السماوية العظيمة من أباطيل وترهات فلا صلة لها بالمسيح ولا برسالة المسيح عليـــه السلام : ورسالة المسيح ورسولها العظيم بريئان من كل ما ألصقه هؤلاء الشاردون بها سواء بقصد الإساءة أو بقصد الإحسان ،

فالنتيجة فى الحالتين : هى تشويه رسالة من أعظم الرسائل التى أنزلها الرحمن لهداية بنى الإنسان[١] .

وإذا كانت هذه النصوص الثابتة عند القوم شاهدة شهادة كبرى على أن المسيح عليه السلام جاء بعقيدة هى التوحيد ، وأن غير هذه العقيدة لم يرد على لسان عيسى ولافى دعوته : مما يبين الزيف والتحريف والتغيير الذى جد فى المسيحيه من القول بالتثليث والتأليه وغير ذلك فقد وجد من بين كتاب المسيحية من شهد بما شهدت به النصوص الإنجيلية بأن الدعوة الحقيقة للمسيح كانت — التوحيد لله رب العالمين ، ووقف يرد على ما سوى ذلك من افتراءات وأباطيل .

يقول الدكتور نظمى لوقا :

« كان الطور الطبيعى للإنسانية أن تتطلب الهداية ، فى رسالة المسيح التى لاتدعو إلى التوحيد والتنزيه فحسب ، بل تجعل الله المعشوق الأسمى ، الذى يتجه إليه وجدان كل إنسان ، فيتلاشى من قلبه حب كل معشوق سواه ، ولا يبقى للحس وجاهه سلطان على قلب ذلك المحب ، ولا الطقوس قيمة . . »[٢] ثم يقول . وأعنى بالمسيحية هنا ماجاء به المسيح من نصوص كلامه ، لا ماألحق بكلامه وسيرته من التأويل ، فالمسيحية بهذا الإعتبار هى دين القلب الإنسانى من حيث هو كذلك[٣] .

وبعد أن بين رسالة المسيح التى جاء بها أخذ ، يدفع عنها الإفتراءات والأباطيل قائلا : « لقد صار أتباع المسيح إلى القول بألوهيته ، وأنه

---

(١) الله واحد أم ثالوث ١٣٨ — ١٣٩

(٢) محمد الرسالة والرسول ص ٥٧ وما بعدها .

(٣) المرجع السابق ص ٥٨

ابن الله ، وأن الإله الواحد جوهر واحد ، له ثلاثة أقانيم : هى الله الآب والله الإبن والله الروح القدس».. ولم يرد على لسان المسيح ولا فى أقواله الواردة فى بشارات حواريه «الأناجيل » إشارة من ذلك ، بــل كان يدعو نفسه على الدوام « ابن الإنسان »[1]، ثم يبين أثر تلك الإفتراءات والأباطيل على المسيحية الأصلية فيقول ، وقد أدى هذا اللبس إلى فتنة، بل فتن بين صفوف أتباع المسيح والمنتسبين إليه وجمعت المجامع ، ووقعت المذابح ، وصار الإيمان سبيلا إلى اللدد والفرقة ، لا إلى الألفة واجتماع العقول والقلوب على عقيدة يطمئن الجميع إليها[2] .

وإذا كانت هذه شهادة أحدهم واعترافه — بأن المسيحية الحقيقة هى الدعوة إلى التوحيد : فعيسى عليه السلام صاحب هذه الرسالة لم يكن إلا نبيا رسولا . . كما شهدت بذلك الأناجيل ، وأنه كان عبد الله ورسوله.

وهذه شهادة الأناجيل بذلك :

(ب) المسيح عليه السلام : يشهد أنه عبد الله ورسوله كسائر الرسل تصرح النصوص الإنجيلة أن المسيح عبد الله فى ثمانين موضعاً وأنه رسوله نذكر منها[3] :

١ — فى الفصل السابع عشر من إنجيل يوحنا : قول عيسى عليه السلام فى خطاب الله هكذا : « وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيق وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته » [يوحنا ١٧ — ٣]

يقول الشيخ رحمة الله الهندى فى تفسير هذا النص « بين عيسى عليه

---

(١) المرجع السابق ص ٦٥ ومابعدها .

(٢) المرجع السابق ص ٦٦ ومابعدها .

(٣) عقائدنا بحوث مقارنة بصورة الحوار بين القرآن والتوراة والإنجيل دكتور محمد الصادق / دار الصادق بيروت ط أولى ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ ص ٩٣

السلام أن الحياة الأبدية عبارة عن أن يعرف الناس أن الله واحد حقيق وأن عيسى عليه السلام رسوله ، وما قال أن الحياة الأبدية أن يعرفوا أن ذاتك ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيق ، وأن عيسى إنسان وإله ، أو أن عيسى إله مجسم ، وإذ ثبت أن الحياة الأبدية إعتقاد التوحيد الحيقق لله واعتقاد الرسالة للمسيح فضد هما يكون موتا أبديا ، وضلالا بينا البته ، والتوحيد الحقيق ضد التثليث الحقيق ، وكون المسيح رسولا ضد لكونه إلها لأن التغاير بين المرسل والمرسل ضروری[1] .

٢ — فى انجيل متى « يقول المسيح : « لاتدعوا سيدى لأن معلمكم واحد للمسيح ، وأنتم جميعاً إخوة ، ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات ، ولاتدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح »[2] [متى ٢٣ : ٨]

ألا ترى أن المسيح يقول : « ولاتدعوا لكم أبا » أى إلها على الأرض أعنى متجسداً على الأرض ، أو حالا فى جسد أرضى « لأن أباكم » إلهكم واحد لاشريك له ، وهو الذى فى السموات ، وترى كيف يشهد عيسى كذلك مكررا أنه هو المعلم اى الرسول الذى أرسله الله ليعلمهم كباقى الرسل الكرام عليهم السلام[3] .

٣ — وفى إنجيل يوحنا : بين المسيح عليه السلام : أن الكلام الذى يسمعه منه الناس ويكلمهم به هذا الكلام ليس من عند نفسه بل أوحاه الله إليه يقول المسيح ومن لايحبنى لا يحفظ كلامى ، والكلمة التى تسمعونها هى ليست لى بل للآب الذى أرسلنى » . [يوحنا ١٤ : ٢٤]

---

(١) إظهار الحق / للشيخ رحمة الله الهندى — طبع المطبعة العلية سنة ١٣١٥ هـ / ٢ ص ٢ بإيجاز .

(٢) العهد الجديد / دار جلبى للطباعة ص ٤٥

(٣) المسيح والتثليث ص ١٢٤

ففي هذا النص وغيره يعترف المسيح ويشهد صراحة برسالته وأنه رسول أرسله الله إلى بني إسرائيل، ولم يأت من عند نفسه، بل هو إنسان بشر رسول، كسائر رسل الله يقول المسيح: «أنا إنسان قد كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله، لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأني خرجت من الله وأتيت، ولم آت من نفسي بل هو الذي أرسلني».

[يوحنا ٨: ٤٠، ٤١]

ويؤكد المسيح هـذه الحقيقة إذ يقول: «لا أستطيع أن أعمل من نفسي شيئاً، كما أسمع أحكم، وحكمي عادل، لأني لست أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني.. وهذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي بأن الآب قد أرسلني، والآب الذي أرسلني هو شهد لي، أنا أتيت باسم أبي». يوحنا «٥: ٣٠، ٣٦، ٣٧، ٤٣»

فهذه النصوص تنطق صراحة بأن عيسى عليه السلام، كان رسولا من عند الله كما هي سنة الرسل السابقين له وصدق الله العظيم إذ يقول.. «ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل»[1].

(هـ) المسيح عليه السلام كان يصلي ويعبد الله:

تنطق الأناجيل صراحة، أن عيسى عليه السلام كان يعبد الله تعالى، ويصلي لله عز وجل، ويتوسل إليه شأنه في ذلك، شأن المخلوق مع الخالق، وإلا فكيف يعبد الله نفسه ويتوسل إليها. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً[2]: فكبرى الحقائق كما أخبرنا القرآن الكريم «إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً»[3].

---

(١) سورة المائدة من الآية «٧٥».

(٢) المسيح والتثليث ص ١١٢ بتصرف.

(٣) سورة مريم من الآية «٩٣».

يروى مرقص عن المسيح أنه « قام باكرا جداً فى الليـــل وخرج وذهب إلى مكان قفر وكان يصلى » . « مرقص : ٣٥ » .

وعندما ودع تلاميذه ذهب ليصلى .. « ولما ودعهم ذهب إلى الجبل ليصلى » « مرقص ٦ : ٤٦ » .

وفى الفصل الرابع عشر يروى مرقص أن المسيح قال لتلاميذه «امكثوا ها هنا حتى أصلى .. وقال لهم « إن نفسى حزينة حتى الموت . . ثم تباعد قليلا وخر على الأرض وكان يصلى» «مرقص ١٤ : ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥»

ويقول لوقا مخبراً عن المسيح: فأما هو فكان يعتزل فى القفار ويصلى».
« لوقا ٥ : ١٦ »

« وفيما هو يصلى على انفراد كان التلاميذ معه » « ٩ : ١٨ » .

ويشهد المسيح على عبوديته الأرض والسماء قائلا : أشهد أمام السماء وأشهد كل شىء على الأرض ، أنى برىء من كل ما قد قلتم لأنى إنسان مولود من امرأة فانية بشرية وعرضة لحكم الله ، مكابد شقاء الأكل والمنام وشقاء البرد والحر كسائر البشر ، لذلك متى جاء الله ليدين يكون كلامى كحسام يخترق كل من يؤمن بأنى أعظم من إنسان » .

« برنابا ٩٣ : ١٠ — ١١ ، ٩٤ : ١ — ٣ » .

فأى عبودية تزيد على هذا . .

— وقال يوحنا حبيب المسيح فى الفصل الرابع : أتى يسوع إلى مدينة بالسامرة . . وكانت هناك عين يعقوب « يعنى بئر » وكان يسوع قد تعب من المسير فجلس على العين .. فجاءت امرأة من السامرة لتستقى ماء... فقالت له . إن آباءنا سجدوا فى هذا الجبل ، وأنتم تقولون إن المكان الذى ينبغى أن يسجد فيه هو فى أورشليم « يعنى ببيت المقدس » فقال لها يسوع . أنتم تسجدون لما لا تعلمون ، ونحن نسجد لما نعلم » .

يوحنا « ٤ : ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٢٠ ، ٢٢ » .

فهذا حبيب المسيح :

يشهد أن المسيح معترف برب لا تجزىء العبادة لغيره ، ولا ينبغى الربوبية لسواه ، ولو كان الأمر على معتقد النصارى لقال لها : أضربى عن معتقد أسلافك واسجدى لى ، ولأبى وروح القـــدس ، فإنى ثالث الآلهة، لكنه أخبرها بأنه تحت رق العبودية، وأنه يسجد لمستحق الربوبية، وكان يصلى متجها لبيت المقدس قبلة الأنبياء قبله ولم يزل يصلى لها مدة إقامته إلى أن رفع فأحدث النصارى بعده الصلاة إلى جهة المشرق وتركوا قبلة المسيح[1] ، التى كان يتجه إليها لعبادة ربه ولإقامة الصلاة ، وصدق الله إذ يقول على لسان عيسى بن مريم « قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حياً »[2] .

(د) تجربة الشيطان له دليل آخر على محض عبوديته وإنسانيته :
وهذا الدليل يضحك منه ومن إيراده أنهم نسبوا المسيح إلى مالا يليق ببعض أجناده، وفيه دليل على عبوديته وافتقاره إلى الخلاص من الشيطان وربقته[3] .

قال متى « أخرج يسوع إلى البرية . ليهرب من إبليس ، فصـــام أربعين يوماً وأربعين ليلة وأخيراً جاع ، فدنا إليه المجرب قائلا : إن كنت ابن الله فمر أن تصير هذه الحجارة خبزاً ، فأجاب قائلا ، مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله . .

---

(١) المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل / للشيخ أبى الفضل المسعودى / مطبعة التمدن بمصر سنة ١٣٢٢ هـ . ص ٢٥ وما بعدها .
(٢) سورة مريم الآية « ٣٠ ، ٣١ » .
(٣) المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل ص ١٩

فأخذه ابليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له أعطيك هذه كلها إن خررت ساجداً لى .. حينئذ قال له يسوع : اذهب ياشيطان فإنه قد كتب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد ، ثم قال له إبليس إن كنت ابن الله فألق بنفسك إلى أسفل لأنه مكتوب إنه يوصى ملائكته بك فتحملك على أيديها .فقال له يسوع: مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك — حينئذ تركه إبليس ، « انجيل متى الفصل الرابع ١ — ١١

فهذا متى ، ذكر هذه القصة ، وهى شاهدة على المسيح بصريح العبودية وافتقار البشرية ، وأعجب كل العجب كيف تجرءوا على مقامه الشريف ، وجعلوا إبليس يجربه ويمتحنه ويسحبه فقد جعلوا للشيطان عليه سلطانا[1]

وقد أعاذه الله وأمه من الشيطان الرجيم قال تعالى عن مريم وذريتها « وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم »[2]

وقال ﷺ فيما رواه أبو هريرة «مامن مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم ، ثم قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم « وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم »[3]

فلا سبيل للشيطان عليهما فى زمن من الأزمان ، فكيف يسومه السجود له وهو فى زعمهم خالقه وخالق كل شىء . فيسألون عن هذا التردد مع الشيطان والمقود فى يده ، والشيطان طامع له فى سجوده له بتردده ، أهو إنسان مخلوق أو إله مخلوق؟![4] ولا نعتقد أن إبليس من الجهل بحيث يعرض

---

(١) السابق ص ٢٠

(٢) سورة آل عمران من الآية ٣٦

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى / المطبعة المصرية جـ ١٥ ص ١١٩

(٤) تخيل من حرف الإنجيل ص ٢٠

على ربه وإلهه ملك الأرض ومجدها ، ويطمع أن يسجد له خالقه [١] .

فهذه الحادثة التى جاء بها متى . . وإن كانت تتنافى مع ماأثبته القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام — إلا أنها تثبت حسب زعم القوم تجربة الشيطان لعيسى — أى أنها تشهد لعيسى بمحض الإنسانية والعبودية لله رب العالمين حيث قال للشيطان هكذا ، فضلا عن الله رب العالمين . . تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً وحاشا للشيطان أيضاً أن يجرب الإله ، لأن الشيطان نفسه يخاف الله ويؤمن بالربوبية لله رب العالمين ،[٢] .

« كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين »[٣]

— وأخيراً : فإن مرقص ينفى فى إنجيله عن المسيح صفات الألوهية ويثبت له الصفات الإنسانية المحضة والعبودية الحقة إذ يقول عن اليوم الآخر « أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب وحده »[مرقص ١٣ : ٣٢] .

فقد صرح مرقص فى هذا النص بالإنسانية المحضـــة للمسيح عليه السلام نافيا عنه العلم المختص بالإله وهذا من أوضح الأدلة على إنسانيته وعبوديته المحضة[٣]

---

(١) المسيح والتثليث ص ١١٥
(٢) السابق بتصرف
(٣) سورة الحشر آية ١٥
(٤) الرد الجميل ص ٢٥٨

(هـ) التوحيد أساس دعوة عيسى بشهادة القوم على أنفسهم

وبعد : فقد شهدت نصوص الأناجيل بمحض عبودية ونبوة المسيح عليه السلام ، ولم يعرف المسيح إلا أنه نبي ورسول كما شهدت النصوص السابقة بذلك وكما يقول يوحنا « هـــذا يسوع النبي الذى من ناصرة الجليل لأنه كان يعد عندهم نبيا » [يوحنا ٢١ : ١١

وكما شهدت الأناجيل بذلك شهدت أيضاً بأن رسالة عيسى كانت هى التوحيد ... توحيد الله الذى هو الأصل فى الرسالات السماوية كلها ، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن الشريك والصاحبة والولد ، هذا التوحيد حملته كل رسالة وجعلته فى صميمها[١]

وهذا التوحيد الخالص اهتدى إليه الكثيرون من المسيحيين سواء فى ذلك العباقرة أو العاديين ، الفـــلاسفة ، أو رجال الدين ، هؤلاء المسيحيون الموحدون عرفوا المسيحيه الحقة — التى جاء بها المسيح عليه السلام — عرفوها وأعلنوها أمام الملأ فى صراحة ووضوح دون خوف أو وجل ، عرفوها وأعلنوها فى كل زمان ومكان ، وفى كل حال ومجال حتى فى حصون المشبهين وهياكل المثلثين ، عرفوها وأعلنوها فلاقوا فى سبيلها الأخطار والأهوال ، وذاقوا العنت والعذاب عاشوا دفاعاً عنها وماتوا فى سبيلها[٢]

وقد أتى على المسيحية نصف قرن من الزمان كما قال « ول ديورانت

---

(١) المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل / تأليف عبد الكريم الخطيب دار الكتب الحديثة — الطبعة الأولى ١٣٨٥ — ١٩٥٦ صـ ١٦٠ بتصرف

(٢) الله واحد أم ثالوث صـ ١٣٩ .

فى قصة الحضارة — أتى عليها نصف قرن من الزمان لاح فيها أنها ستؤمن بالتوحيد وتتخلى عن عقيدة الوهية المسيح[1].

فهذا آريوس كاهن الإسكندرية فى القرن الرابع الميلادى كان يقول : إن الله واحد فرد ، غير مولود ، لا يشاركه شىء فى ذاته تعالى فكل ، ما كان خارجا عن الله الأحد ، إنمـــا هو مخلوق بإرادة الله ومشيئته[2] .

أى أن عقيدته «الإيمان بإله واحد متعال يفوق حد التصور .. وهو من العلو بحيث لا صلة له بتاتا بأى شىء له نهاية ، وهو فريد لا شبيه له ، أزلى لا بداية له . لا يموت ، صالح ، وهو وحده سبحانه ينفرد بهـــذه الصفات ، وعقيدته فى عيسى عليه السلام : أنه مخلوق مثل باقى المخلوقات . وأنه ليس مساو للآب فى الجوهر بل على العكس تتغير طبيعته مثل أى مخلوق[3] . وراح آريوس ينشر مذهبه وتدعو إليه حتى إنقضى ردح من الزمان لاح فيه أن مذهب آريوس . . الموحد — سيفوز بالنصر على منافسيه[4] .

وجاء بعد آريوس فلاسفة المسيحيين شاهدين بالتوحيد وقائلين بوحدانية الله كما ذكر ذلك عوض سمعان فى عرضه الأدلة على وحدانية

---

(١) قصة الحضارة جـ ١ من المجلد الرابع ص ٢٠

(٢) فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية تأليف/لويس غردية، ج. قنواتى/ دار العلم الملايين بيروت طبعة أولى سنة١٩٦٧ جـ٢ ص٢٨٦، وما بعدها بإيجاز

(٣) موسوعة تاريخ الأقباط/ زكى شنوده جـ١، ص١، ١٥١

(٤) موجز تاريخ العالم/ تأليف ه . ج . ويلز/ مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٨م . ص ١٧٩

الله وجعل من هذه الأدلة شهادة الفلاسفة المسيحيين . فقال : قال . . فكتور كوزان — لما كان الله غير متناه كان هو الموجود الأوحد . وقال توما الأكويني « لو كان هناك إلهان ، لوجب أن يتمايزا فيما بينهما . فيصدق على الواحد شيء لا يصدق على الآخر ، ولكان أحدهما تبعاً لذلك غير كامل ، ومن ثم لا يكون إلها ، وقال ترتوليانوس « لو لم يكن الله واحداً لما كان هو الله ، لأن الله لا يكون إلا فريدا فى العظمة ، إلا من لاشريك له ، ومن لاشريك له لا يكون إلا واحداً »[1] وهكذا .

لم يخل مكان من عشاق الحقيقة ، ولم يخل زمان من عباد التوحيد ، عرفوا الحقيقة وأعلنوها ثم حاربوا فى سبيلها ، وضحوا من أجلها بكل عزيز ، حتى الحياة نفسها دفعوها ثمنا يسيرا لإظهار الحقيقة . ولكن عشاق الزور والبهتان ، وعباد الزور والضلال لاحقوا الموحدين تجويعا وتشريدا ، وسجنا وتعذيبا ، وإحراقا وتقتيلا حتى تاهت الحقيقة وسط الزحام : ودست فى عمق الظلام[2] . وكان لابد من رد الناس إلى بساطة الإعتقاد ، ولابد من نفى اللبس وشوائب الريب عن جوهر هذه العقيدة — عقيدة التوحيد التوحيد المطلق لله رب العالمين[3] « قل هو الله أحد الله الصمد ، لم يلد ويولد ولم يكن له كفوا أحد[4] » . هـــذا هو التوحيد الذى جاء به الإسلام .

(١) الله ذاته ونوع وحدانيته ص ٣٤ ، ٣٥
(٢) الله واحد أم ثالوث ص ١٤٠
(٣) محمد الرسالة والرسول ص ٦٧
(٤) سورة الإخلاص

الفصل السادس

بولس والنصرانية

تمهيـــد :

كان عيسى آخر أنبياء بنى إسرائيل وقد جاء يمشى على شريعة موسى عليه السلام .

وكان التوحيد أساس دعوة موسى عليه السلام ، وقد جاء عيسى ليتم ما جاء به موسى وليكمل الناموس الموسوى الداعى إلى التوحيد المطلق لله رب العالمين . فأخذ عيسى عليه السلام ينشر دعوته مبيناً : أن الحياة الأبدية أن يعرف الناس الإله الحقيقى الواحد وهذا الإله هو الذى أرسله إليهم كما جاء فى إنجيل يوحنا حيث قال المسيح إن « الحياة الأبدية أن أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك والذى أرسلته يسوع المسيح[1].

بل إن أول وصية كانت من المسيح إلى الناس هى أن يعرف الناس أن لهم إلها واحداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد حيث أجاب المسيح على واحد ممن سأله « أية الوصايا هى أول الكل فأجابه قائلا : « إن أول الوصايا كلها اسمع يا اسرائيل إن الرب إلهنا رب واحد فأحبب الرب إلهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك »[2] .

تلك كانت دعوة المسيح عليه السلام كما هو ظاهر من نصوص

---

(١) إنجيل يوحنا (١٧ : ٦)

(٢) إنجيل متى [فـ ٦ ع ١٧] جـ ١ ك

الأناجيل ونصوص القرآن الكريم ولنا أن نتساءل إذا كانت تلك دعوة المسيح فمن أين جاء التغيير والتبديل فى دين عيسى عليه السلام .

لقد سارع أتباع المسيح كما يقول نظمى لوقا إلى القول بألوهيته وأنه ابن الله .. إلخ ولم يرد على لسان المسيح فى أقواله الواردة ولا فى بشارات حوارييه — الأناجيل — إشارة من ذلك ، بل كان يدعو نفسه على الدوام « ابن الإنسان »[1] .

ويقول مجموعة من أساتذة اللاهوت : « إن التثليث لم يرد فى دعوته أبدا . . بل إن هذه الكلمة نفسها « التثليث أو الثالوث » لم ترد فى الكتاب المقدس مطلقا بل إن الذى وضعها هو إثناسيوس فى عقيدة الإيمان النيقاوى سنة ٣٢٥[2] .

وإذا كان المسيح عليه السلام ، لم يرد على لسانه شىء من هذه الكلمات التى تعد عقيدة عند القوم الآن فمن أين جاء النصارى بهذه العقائد؟! ومن الذى نقلها إليهم وأحاطها بالرعاية والغذاء حتى نمت وترعرعت وأصبحت عقيدة يدين بها القوم .

إن من أهم الأسباب التى أدت إلى ذلك — إنما يرجع إلى بولس الذى كان يدعى « شاءول » قبل أن ينتقل من اليهودية إلى النصرانية فمن هو بولس — وكيف دخل فى النصرانية — ولماذا وما هى التعاليم التى أدخلها وحرف بها ما جاء به عيسى عليه السلام . وماذا يقول آباء الكنيسة عن بولس ؟؟

---

(١) محمد الرسالة والرسول ص ٦٥

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٢٢

بولس المؤسس الأول النصرانية

لقد كان بولس المؤسس الأول للنصرانية وذلك بشهادة مؤرخي النصرانية أنفسهم إذ أنه بعد رفع المسيح عليه السلام : أصاب المسيحية وأهلها ما أصاب من الإضطهادات والكوارث التي لحقت بها في العصر الأول ، « بل إن الاضطهاد قد بدأ في عهد مبكر حيث كان المسيح ضحية الإضطهاد ، حيث إن اليهود تآمروا عليه ، وشكوه ظلما ، وكذبوا عليه ، وأسلموه إلى بيلاطس حاكم فلسطين من قبل الرومان فقضى عليه بالموت صلبا — كما في زعمهم [1] — ثم بدأت الإضطهادات الشهيرة بالإضطهاد العظيم الذي شنه نيرون على المسيحية وأهلها عام ٦٤ م حيث أحرق روما واتهم المسيحيين بإحراقها ، وصب عليهم جام نقمته ، وشن عليهم حملة شعواء وكان يضع بعض المسيحيين وهم أحياء في جلود الحيوانات ويطرحهم للكلاب تنهشهم ويطلي بعضهم بالنار [2] ... إلخ واستمر الإضطهاد حتى عام ٣١٣ م حين أصدر قسطنطين ما يسمى بمرسوم التسامح [3] .

وفي وسط هذه الإضطهادات دخل بولس في النصرانية فجأة ، وكان لدخوله فيها الأثر الأكبر في إنتقال المسيحية من التوحيد إلى التأليه .

يقول كرسنوفردوش :

لقد سمحت ظروف الإضطهادات والكوارث التي عاصرت المسيحية

---

(١) المسيحية د . أحمد شلبي ص ٧١

(٢) موسوعة تاريخ الأقباط . زكي شنوده عدد ١ ص ١٠١

(٣) قصة الإضطهاد الديني بين الإسلام والمسيحية ص ٣٤ وما بعدها .

فى نشأتها لظهور كثير من الأديان الغامضة ، فانتقلت ديانة متراس مع الجيوش الرومانية ، كما إنتقلت عبادة إيزيس المصرية ، وعقيدة حداد البعلبكية ، وعقيدة الشمس الحمصية ، وغير ذلك من الديانات التى غدت خطراً محدقاً بالمسيحية . وفى هـــذه الظروف المكفهرة دخل بولس المسيحية فجأة وأخذ يغذى فكرة القول بألوهية المسيح[1] ، تلك الفكرة التى ظهرت أساسا فى زمن المسيح نفسه حيث ظهرت على يده آيات باهرة ، ومعجزات ظاهرة ، فاعتقدوا فيه أنه فوق البشر ، فاعترى المسيح شك فى أن مجتمع الأتباع من غير الحواريين قد شاع بينهم الإعتقاد فى كونه «أى المسيح — أكثر من إنسان ، فأراد أن يختبر إيمان أصحابه فى طبيعته فتوجه إليهم بالسؤال قائلا : «وأنتم من تقولون إنى أنا ؟؟ فأجاب بطرس وقال له : أنت المسيح ، وعندما اطمأن إلى معرفة رسوخ حقيقته الإنسانية لدى أصحابه رضى جواب بطرس[2] .

وهذا ما أخبر به القرآن الكريم قال تعالى : فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون »[3] .

وهكذا نرى أن فكرة ألوهية المسيح قد وضعت بذورها فى حياة المسيح عليه السلام ، لكنها لم تبرز إلى الوجود لأنه عليه السلام قد كبتها فى حياته ، ولم يمدها بمقومات الحياة فأخذت فى الإزدواء تبحث عن متعهد ينميها ويغذيها .

وكان بولس هو الذى أخذ ينمى هذه الفكرة ويغذيها حيث افتتن

---

(١) تكوين أوربا ص ٣ بإيجاز .
(٢) سورة آل عمران (٥٢) .
(٣) إنجيل مرقص [٨ : ٢٩] .

الناس به بعد دخوله فى المسيحية لما رأوا ما يجرى على يديه من هذه الادعاءات التى ادعاها لنفسه كما جاء فى سفر أعمال الرسل : فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا صوتهم قائلين : إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا »[1] .

يقول موريس بوكاى : لقد وجد بولس — الفرصه الذهبية التى توافق بيئته ونشأته ، وأخذ يغذى فكرة القول بألوهية المسيح وسط هذه الإضطرابات والكوارث ولما لم يكن قد عرف المسيح فى حياته فقد برر لشرعية رسالته بأن أكد أن المسيح بعد قيامته قد ظهر له على طريق دمشق[2] .

ويقول ويلز : وراح بولس يقرب إلى عقول تلاميذه الفكرة الذاهبة إلى أن شأن عيسى كشأن أوزوريس: كان رباً مات ليبعث حيا ولنمنح الناس الخلود »[3] ، إلى أن قال: وراح بولس يقرب الناس إلى دعوته التى تناسب بيئته وثقافته حتى أذهب بدين المسيح وأتى بمسيحية جديدة من عند نفسه[4] .

وبهذا كان بولس — منشأ المستقبل : كما يقول شارل جنير ، وبهذا غير وجه المسيحة الأصلية ، ودخل التحريف أساسا فى دين عيسى عليه السلام على يد بولس فغير حتى رسمها وإسمها مبتدئا بشريعة الختان إلى أن وصل إلى تأليه الانسان[5] .

---

(١) أعمال الرسل ١٤ : ١١ ، ١٤

(٢) دراسة الكتب المقدسة ص ٧٢

(٣،٤) موجز تاريخ العلم ص ١٧٨

(٥) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٨٤

وإذا كان بولس قد حرف دين عيسى وبدله من دين التوحيد إلى الشرك، فمن الواجب أن نعرف به وبالبيئة التى نشأ فيها ومدى صلته بالمسيح عليه السلام، كما نتحدث عن اللغة التى كان يدعو بها والتى كتب بها رسائله.

٢ — البيئه التى نشأ فيها بولس:

عن هذه البيئة يقول: ول ديورانت وله واضع اللاهوت المسيحى — يقصد بولس، فى طرسوس، من أعمال قلقيليا حوالى السنة العاشرة من التاريخ الميلادى، وكان أبوه من الفريسين، وهى طائفة من طوائف اليهودية القديمه، ونشأ ابنه على مبادئ هذه الشيعة الدينية المتحمسة»[١].

ويقول شارل جنيير: لقد ولد بولس من عائلة يهودية أقامت بمدينة طرسوس وهى أرض يونانية وكان يتحدث بلغة اليونان ويكتبها منذ نشأته الأولى، وكان يحمل لقب مواطن رومانى وراثة عن أبيه، وكان فى البدء على عداء عنيف للمسيحية ثم تحول إلى صفهم على أثر أزمة نفسية انتهت إلى رؤيا — ادعى فيها أنه أبصر السيد المسيح وتلقى منه كلمات واختص منه بالتشريف أن يكون من الحواريين[٢]، ثم يقول: ويجب أن نشير إلى أن بولس لم يلتق بعيسى مدة حياته، ولذلك لم تكن تأملاته عن شخص الأستاذ — يعنى المسيح — وتعاليمه لتمدها آفاق الذكريات والواقع كما كان الحال بالنسبة إلى الاثنى عشر من الحواريين الذين بدأوا بالدعوة»[٣].

---

(١) قصة الحضارة ج ٣ مجلد ٣ ص ٢٤٩ قيصر والمسيح

(٢،٣) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٦٨ بتصرف

ويقول صاحب موسوعة تاريخ الأقباط :

« كان بولس فى بداية الأمر معاديا للمسيحية ، وهو الذى كان يسمى شاءول حتى ظهر له يسوع ، مع أنه لم يكن من الاثنى عشر أو السبعين رسولا »[١] .

هذا هو بولس كما أرخ عنه النصارى أنفسهم ، فمن هو بولس الذى تحدثت عنه الأناجيل التى بين يدى القوم :

إننا إذا تصفحنا الأناجيل المعتمدة لدى النصارى نجد أنها تتحدث عن بولس فتعرف به على أنه : لم ير المسيح عليه السلام فى حياته ، وأنه جاء بتعاليمه بعد جيل كامل ، وأنه مجهول الأصل فهو تارة يدعى أنه يهودى من طرسوس ، وتارة يصرخ فى المجمع قائلا : أنا فريسى ابن فريسى ، وتارة يقول : إنه رومانى ، وتاره يعترف بأنه مصرى حيث سأله رجال الحكومة قائلين له : «ألست أنت ذلك المصرى الذى أثار قبل هذه الأيام هيجانا وأخرج إلى البرية ، أربعة آلاف رجل »[٢] .

ولعلك تعجب وتأخذك الدهشة من هذا الإختلاف ، ولكن : يجب أن نعلم سبب هذا الإختلاف — فإذا عرف السبب — بطل العجب كما يقولون ، فقد كان بولس شديد التلون فى الدعوة ، إذ كان يلبس لكل حال لباسها . كما كان يغير جنسيته وشخصيته حسب المدعوين الذين يدعوهم وحسب مقتضى الحال الذى يلزمه فقوله : إنه يهودى طرسوسى كان حين خطب فى اليهود يوم القبض عليه حتى يكسب عطفهم وودهم فهو يتودد إليهم قائلا : « إنى رجل يهودى ولدت فى طرسوس قيليقية وربيت فى هذه المدينة » :

---

(١) موسوعة تاريخ الأقباط عدد ٩ ص ٣٦

(٢) أعمال الرسل ٢١ : ٣٨

وقوله إنه فريسى بن فريسى ، فذلك حينما سب رئيس المجمع وشتمه بعد أن أمر رئيس المجمع بضربه فصرخ بولس فى المجمع قائلا لرئيسه : « أأنت جالس تحكم على .. وأنت تأمر بضربى ، واستنجد بالفريسيين بالمجمع قائلا : أيها الإخوة أنا فريسى إبن فريسى .. أأنا أحاكم ؟! ولما قال هذا حدثت منازعة بين الفريسيين والصدوقيين وانشقت الجماعة »[1] .

وأما ادعاؤه أنه رومانى فذلك ليخلص نفسه من الجنود الرومانيين الذين قبضوا عليه بأمر الأمير الذى أمرهم بضربه وحبسه ، فصرخ فيهم بولس متودداً إليهم : « أيجوز لكم أن تجلدوا رجلا رومانيا »[2] .

ويتحدث بولس عن نفسه مبيناً سبب هذا الاختلاف والتناقض والتلون فى الدعوة فيقول : « عبدت نفسى للجميع لأربح الكثيرين ، فصرت لليهود كيهودى لأربح اليهود ، وللذين تحت الناموس ، لأربح الذين تحت الناموس ، وللذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس ، لأربح الذين بلا ناموس ، صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء صرت للكل كل شىء لأخلص على كل حال قوما »[3] .

وكم تقف الأناجيل عند وصف بولس إلى هذا الحد بل شهدت الأناجيل أيضاً بأن بولس كان من ألد أعداء الكنيسة ورجالها . إذ كان يسطو على أماكن العبادة ، ويقتحم على المسيحيين بيوتهم ، ويغير عليهم فى الطرقات ، فيعذب منهم من يعذب ، ويقتل من يقتل ، ويشد وثاق بعضهم من الرجال والنساء ويسلمهم إلى السجون ومواطن العذاب .

---

(١) أعمال الرسل ٢٣ : ٤ — ٨ .
(٢) السابق ٢٢ : ٢٥ .
(٣) الرسالة الأولى لأهل كورنثس .

فقد جاء في الإصحاح الثامن من أعمال الرسل : أنه حدث اضطهاد عظيم على الكنيسة فتشتت الجميع ، وأما شاءول : بولس ، فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالا و نساء ويسلمهم إلى السجون » .

وفى الإصحاح التاسع أيضاً : أن شاءول : كان لم يزل ينفث تهدداً وقتلا على تلاميذ الرب . . وكان إذا وجد أناساً فى الطريق يسوقهم موثقين إلى السجون » .

ويقول هو عن نفسه لأهل غلاطية :

« فإنكم سمعتم بسيرتى قبلا فى الديانة اليهودية إنى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأزلفها » . « الرسالة لأهل غلاطية (١ : ١٣) .

هذا هو بولس كما وصفه المؤرخون من النصارى ، وكما وصفته النصوص الإنجيلية المعتمدة لدى القوم : وإذا كان بولس من ألد أعداء المسيحية فكيف دخل فيها ، ولماذا ؟؟

٣ — « قصة دخوله فى المسيحية وسببها » :

إن ذلك الرجل الذى كاد للمسيحية وأهلها هذا الكيد الذى تحدثت عنه النصوص السابقة وغيرها بالرغم من ذلك الإيذاء فقد انتقل فجأة إلى المسيحية من غـــير مقدمات ولا تمهيد . بل انقلب فى لمح البصر من عدو للمسيحية إلى رسول لها ، وتحكى لنا الأناجيل قصة هذا التغير .

فنى رسالة أعمال الرسل : بينما بولس منطلق إلى دمشق ، إذ هو بغتة يرى نوراً من السماء فيسقط على الأرض إثر سماع صوت من السماء قائلا له : شاءول شاءول لماذا تضطهدنى : فقال من أنت يا سيد ؟ ! فقال له : أنا يسوع الذى أنت تضطهده ثم أمره قائلا : قم وادخل المدينه فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل ؟ ! [1] . وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على قدرة

---

(١) أعمال الرسل جـ ٩ :

بولس فى التلون والتحول سريعاً من حال إلى حال حسبما تقتضى الظروف والأحوال كما سبق بيانه ، فمن عدو كاد للمسيحية وأهلها إلى رســول للمسيحية يدعو إليها ويبشر بها — كيف ذلك ؟! وهل يستطيع عاقل أن أن يصدق أو يقول بذلك : وهل يطمئن عاقل منصف : أن بولس الذى لم يؤمن بالمسيح زمن وجوده ، وقد سمع عن معجزاته وآياته البينات ، إنه آمن به بعد صلبه أورفعه . . وهل هذا إلا كما يقول موريس بوكاى إلاإيمان نفاق ليهدم المسيحية كما هدم اليهودية ، ولينقض التوراة ونواميس الأنبياء كما نقض ؟! [١] .

٤ — برنابا يقدم بولس للوعظ :

لقد دخل بولس فى المسيحية فجأة وحاول أن ينشر دعوته بين الناس وأن يتصل بتلاميذ المسيح إلا أنهم خافوه ولم يصدقوا أنه من التلاميذ بل ولامن المسيحيين إلابعد أن أخذه برنابا الذى كان معروفا لدى المسيحيين، وكان يسمى بابن الوعظ — عندهم وقدمه إلى الناس فاطمأن ،له الجميع كما يقول سفر أعمال الرسل — « لما جاء شاءول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ ، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق ، وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع .. فحاولوا أن يقتلوه —أول الأمر— قائلين أليس هذا هو الذى أهلك الناس فى أورشليم وقد جاء إلى هنا ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة — وأخذ برنابا يذب ويدافع عنه حتى اطمأن الجميع إليه فأخذ ينشر دعوته ويبث تعاليمه - أعمال الرسل-الإصحاح التاسع

---

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ٧٣ .

٥ — مبادىء بولس وتعاليمه التى حرف بها دين عيسى عليه السلام .

يقول زكى شنوده : لقد قام بولس بأعظم عمل تبشيرى فى تاريخ المسيحية حيث طاف كثيراً من البلاد فى آسيا الصغرى واليونان وإيطاليا وارتحل إلى قبرص وانطاكيا وأفسس ، وبيسيدية وأيقونية ، ولسترة ، ودرنة ، وقلقيلة .

ويقال إنه بلغ بلاد غالة — فرنسا وانجلترا — وأقصى تخوم الغرب ، فأخذ يعمل على تأسيس الكنائس . فأسس عدة كنائس فى آسيا وأوربا — ثم بدأ فى كتابة رسائله — التى بلغت أربعة عشر رسالة كتبها باللغة اليونانية ، وكان لهذه الرسائل شأن كبير فى انتشار دعوة بولس حيث لاتشير أول كتابات العصر المسيحى إلى الأناجيل إلا بعد مؤلفات بولس بفترة طويلة جدا فالأناجيل لم تظهر إلا فى منتصف القرن الثانى وبالتحديد عام ١٤٠م . على حين أن كثيرا من الكتاب المسحيين يوحون بوضوح منذ بداية القرن الثانى أنهم يعرفون عددا كبيرا من رسائل بولس فرسائل بولس كما يقول — موريس بوكاى — سابقة على بقية العهد الجديد[٢] .

وفى ذلك يقول القس حبيب سعيد : كانت رسائل بولس هى أولى أسفار العهد الجديد بل ذهب هذا القس ليبين لنا أن المسيحيين اعتبروا بولس هو الرسول .

فإذا أطلق لفظ الرسول فلا يراد به إلا بولس هنـــا ، وقد بالغ النصارى فى ذلك حتى أطلقوا عليه « رسول الجهاد » وقد ألف هذا القس

---

(١) موسوعة تاريخ الأقباط جـ ١ ص ٧٦
(٢) دراسة الكتب المقدسة فى ضـــوء المعارف الحديثة ص ٧٥ . بتصرف بسيط .

كتابا يحمل هذا العنوان وشرح فيه حياة بولس الذى زعموه من عدو للمسيحيين — إلى رسول المسيحية الحقيقى، ومما يزيد فى العجب أن قبلت الكنيسة الأولى هذه الرسائل لبولس منذ تاريخها المبكر كأسفار مقدسة موحى بها من الله[1].

وبفضل هذه الرسائل أصبح لبولس فى تاريخ المسيحية وعقائدها وشرائعها أكبر شأن حتى إن المسيحية الحاضرة لتنسب اليه أكثر مما تنسب إلى غيره، وتستمد معظم أصولها وتعاليمها من رسائله، وحتى إن كلمة الرسول إذا اطلقت لا يراد بها فى اصطلاحهم ولا تنصرف إلا إلى بولس كما يطلقون عليه كذلك لقب «الرسول الكبير»[2].

ومن خلال هذه الرسائل أخذ بولس يبث سمومه وينشر دعوته وكان أول تعليم له أن المسيح ابن الله كما تقول أعمال الرسل «وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله، فبهت جميع الذين كانوا يسمعون» إصحاح (٩—١—٢٠).

ولم تكن هذه الفكرة — بنوة المسيح لله — قد عرفت من قبل للمسيحيين، وقد كان الحواريون لا يزالون أحياءا فلما جاءهم بولس بهذه الدعوى أنكروه وانفضوا من حوله أول الأمر، وفى ذلك يقول بولس فى رسالته إلى تلميذه تيموثاوس: أنت تعلم أن جميع الذين فى آسيا ارتدوا عنى، ويقول له: «طلبت اليك أن تمكث فى أفسس إذ كنت أنا ذاهبا إلى مكدونية لكى توصى قوما أن لا يعلموا تعليما آخر. ويقول له: إن

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس صـ ٢٨٨

(٢) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للاسلام صـ ٧٢

كان أحد يعلم تعليما آخر فقد تصلف وهو لايفهم شيئا ، الرسالة الأولى (٦—٣) — [١—٣ ، ٤] .

وأخذ بولس يبث هذه الدعوى ولم يجد من يسمع له. بل على العكس من ذلك انفض الجميع من حوله حتى برنابا الذى قدمه للناس أول الأمر ودافع عنه كما قلنا ، لم يستقم على موالاته له فلم يمض وقت قليل حتى انفصلت عرى المودة بينهما بل ونفر منه عامة التلاميذ ولم يبق على صحبته له سوى لوقا الذى اعتبر نفسه أخص تلاميذ بولس مما جعل بولس يلقبه بالطبيب الحبيب .

وبهذه الدعوى بدأ بولس الذى لم ير المسيح قط يدعو إلى مسيحية جديدة لم يعرفها المسيح ولا الحواريون ، وادعى أنه يتلقى هذه التعاليم من يسوع مباشرة وبلا واسطة وأنه لايجوز لأحد أن يقبل تعليما آخر إلا ما جاء هو به » .

٦ — بولس والنظر فى شريعة الختان

لم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن بولس أخذ يقضى على ما جاء به عيسى عليه السلام — فاتجه إلى التشريعات التى أمر المسيح بها وأخذ ينقضها واحدة واحدة .

فلقد كان الختان شريعة عيسى عليه السلام كما هو شريعة موسى من قبل بل وشريعة ابراهيم عليه السلام .

وهو سنة فى الأمم منذ ابراهيم عليه السلام — وقد حافظ على هذا التشريع جميع الأنبياء والرسل منذ ابراهيم عليه السلام حتى إن المسيح نفسه قد اختتن وشهدت بذلك النصوص الإنجيلية .

يقول لوقا فى انجيله « ولما تمت ثمانية أيام ليختن الصبى سمى يسوع كما سماه الملاك من قبل » . (إصحاح ٢ : ٢١)

ويقول بطريرك أورشليم : « وفى اليوم الثامن لميلاد الصبى — يعنى المسيح — ختنوه حسب الشريعة وسموه يسوع »(١) .

إذا كان الختان شريعة عيسى عليه السلام وقد ختنته أمه بعد ثمانية أيام من ميلاده حسب شريعة موسى عليه السلام . وقد جاء عيسى على شريعة موسى كما أخبر هو بذلك « لاتظنوا أنى أتيت لأحل الناموس والأنبياء ، إنى لم آت لأحل لكن لأتمم » انجيل متى [٥ : ١٧] .

ومن المعلوم الذى لا يرتاب فيه ذو فطنة أن المكمل للشىء هو مبقيه على حاله والزائد عليه شىء آخر ، وأن الرافع له من أصل ، ناقص له لامكمل ، وقد جاء المسيح مكملا لا رافعا ، بل إنه أعلنها صراحة أنه يحافظ حتى على النقطة والحرف حيث قال المسيح لتلاميذه : « الحق أقول لكم إنه إلى أن نزول السماء والأرض لاتزول ياء أو نقطة واحدة من الناموس حتى يتم الكل » .

وإذا كان المسيح قد أخذ على نفسه العهد بعدم زوال نقطة واحدة من الناموس الذى هو شريعة موسى والختان جزء من هذا الناموس .. بل إن الختان كان معروفا منذ القدم ومن قبل أربعة آلاف عام من قبل مولد المسيح عليه السلام . وقد أخذ الله به عهدا مع إبراهيم عليه السلام

(١) الدرة النفسية فى شرح حال الكنيسة ص ٣ : وكلمة البطريرك : مرتبة كهنوتية فوق المطران ودون البابا حيث تتدرج الألقاب الكهنوتيه على النحو التالى : [البابا — البطريرك المطران — الأسقف — القسيس الشماس] وهى درجات الإكليروس للكنيسة الكاثوليكية .

جاء فى سفر التكوين « هذا هو عهدى الذى تحفظونة بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر فتختنون فى لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بينى وبينكم . ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر .. وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها ، إنه قد نكث عهدى . (إصحاح ٧ — ١٠ — ١٤)

وقد حافظ المسيح على هذا التشريع وأمرهم بالختان وقد قال لتلاميذه شارحا لهم هذا الأمر : « إن موسى أعطاكم الختان لا أنه من موسى بل من الآباء ، فتختنون الإنسان فى السبت فإن كل إنسان يختن فى السبت لئلا تنقضى شريعة موسى [1] » . وأمرهم أن يشرحوا تلك القواعد لبنى اسرائيل قائلا لهم : إلى طريق أمم لا تتجهوا ومدن السامريين لا تدخلوا ، بل انطلقوا بالحرى إلى الخراف الضالة من آل إسرائيل [2] » .

وقد سار تلاميذ المسيح من بعده على شريعته فنفذوا الختان على أنفسهم حتى أتباع الحواريين كانوا من المختونين إذ يقول إدوارد جيبون « إن الأساقفة الخمسة عشر الأولون فى أورشليم من المختونين [3] .

ولكن بولس عمل على الغاء شريعة المسيح عليه السلام وبدأ يشريعة الختان قائلا :

« إن الختان هو ختان القلب ، وليس الختان ما كان ظاهر اللحم [4] ويقول :

---

(١) إنجيل يوحنا (٧ : ٢٢ ، ٢٣)

(٢) إنجيل متى (١٠ : ٥ ، ٦)

(٣) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ج ٣ ص ٤١٠

(٤) رسالة بولس لأهل رومية (٣ : ٢٥ — ٢٩)

«لا يقوى الختان ولا القلف على شيء بل الإيمان الذى يعمل بالمحبة[١] وهذا يعنى أن الختان القلب ، وأما الختان بالجسد فهو طهارة ظاهرية لا قيمة لها إلى جانب طهارة الباطن ، وبهذا التشريع أراد بولس أن يلغى الختان مبيناً أن الناموس لا لزوم له بعد مجىء المسيح .

٧ — بولس وإنشاء المجامع

ومن أجل هذه التعاليم التى أدخلها بولس فى دين عيسى عليه السلام وأراد لها أن تكون ملزمة للجميع عمل على إنشاء ما سمى بالمجامع ، وما استطاع أن يلزم الناس بقراراته إلا بعد أن انعقد أول مجمع عند النصارى بشأن الختان وغيره من التشريعات . وهو المجمع المسمى بمجمع أورشليم المحلى عام / ٥٠ م أى بعد رفع المسيح بسبعة عشر عاما :

ويقول صاحب الدرة النفيسة عن سبب انعقاد هذا المجمع : «إن قوما من اليهود الذين كانوا قد قبلوا الإيمان بالمسيح حديثا كانوا لم يزالوا متمسكين بشريعة موسى ، وكانوا يزعمون أن الذين يصيرون مسيحين من الأمم يختتنون فجاءوا إلى أنطاكية حيث كان حينئذ بولس وبرنابا يعلمان الأمم وأثاروا شغبا عظيما[٢] — حيث أخذ بولس يدعو الناس إلى عدم الختان ، وصمم كما يقول [برتراند راسل] على قبول غير اليهود دون مطالبتهم بالختان أو الخضوع للتشريع الموسوى[٣] .

---

(١) رسالة بولس لأهل غلاطية (٥ — ٣ — ٦)

(٢) الدرة النفسية فى شرح حال الكنيسه ص ٣٠

(٣) تاريخ الفلسفة الغربية المجلد الثانى ص ٢٦

ويحكى لنا سفر أعمال الرسل أحداث هذا المجمع ووقائعه فى الفصل الخامس عشر فيقول لوقا « وانحــــدر من اليهودية قوم يعلمون الأخوة قائلين : إن لم تختتنوا على سنة موسى فلا تستطيعون أن تخلصوا وإذ جرت لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة » بهــــذا الشأن ، قرر المجتمعون قائلين: قد سمعنا أن قوماً منا خرجوا أقلقوكم بأقوال مقلقين أنفسكم «قائلين أن تختتنوا وتحفظوا الناموس ونحن قد رأينا أن لا تضع عليكم ثقلا فوق هذه الأشياء التى لابد منها وهى «أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام ومن الدم والمخنوق والزنا ، فإن صنتم أنفسكم من هذا أحسنتم فيها فعلتم كونوا معافين » . « الإصحاح الخامس عشر »

٨ — السبب الذى من أجله ألغى بولس شريعة الختان :

ولسائل أن يسأل لماذا ألغى بولس هذه الشريعة : ويجيبنا على ذلك: القس عوض سمعان فيقول :إن بولس ألغى شريعة الختان : إرضاء للوثنيين واستمالة لقلوبهم ، وأملا فى أن يكون بولس هـــو رسول المسيحية لا المسيح[١] .

ويقول زعيم المبشرين بإنجلترا : « لاشك فى أن بولس — المرسل للوثنين قد تعب كثيراً من أجل الدين الذى وضعه ، والسبب فى ذلك أنه غلا فى الوضع وأسرف فى التلقين ، وجرى مسافة طويلة جداً حتى وصل إلى نقطة لم يستطع الرجوع منها فعجز عن الخلوص من النتائج ، ووقع فيما كان لابد منه »[٢] .

---

(١) الله ثالوث وجدانية ص ٧٨

(٢) ينابيع المسيحية ص ٦١

٩ — بولس يشترك مع بطرس فى حل لحم الخنزير:

لم يقتصر الأمر على بولس أوعلى حكم الختان بل تعداه إلى غير بولس وإلى غير الختان : فحتى بطرس خليفة المسيح كما يزعمون اضطر إلى تغيير كثير مما جاء به عيسى عليه السلام من أجل ود الوثنين وإرضاء لهم فإن لحم الخنزير كان ومايزال محرماً عند اليهود بنص العهد القديم « والخنزير فإنه ذو ظفر، ولكنه لا يجتر فهو رجس لكم: لا تأكلوا شيئاً من لحمها وميتتها لا تمسوا ». [سفر التثنية ١٤ : ٨]

وحين جاء المسيح عليه السلام لم يلغ هذا الحكم، ولم يسمح بأكل لحم الخنزير، ولكن الخنازير كانت من الحيوانات التى يقتنيها الرومان واليونان ويأكلون لحومها مما حمل بطرس وبولس على إباحة أكل لحم الخنزير بل وكافة الهوام والحشرات من أجـــل استمالة هذه الشعوب الوثنية للدين الجديد .

وتحكى لنا النصوص الإنجلية من سفر أعمال الرسل : أن بطرس أحل لحم الخنزير على أثر رؤية منامية رأى فيهـــا من يناديه ويقول له : قم يا بطرس : « اذبح وكل : فقال بطرس : حاشا يارب : فإنى لم آكل قط نجساً أو دنسا فخاطبه الصوت ثانية، ماطهره الله لا تنجسه أنت ،وحدث هذا ثلاث مرات ». أصحاح [١١ : ١٠، ١٦٩]

وفى هذا يقول زعيم المبشرين بإنجلترا :

«إن بولس الرســـول اليقظ والرهبان الآخرين الذين كانوا هم المؤسسين فى الواقع للدين المسيحى، كانوا خبراء بما تميل إليه النفوس البشرية إذ ذاك فملأوا كتاباتهم بالتراكيب والتعابير السائدة فى أبيات

الوثنيين ، وفلسفات ذلك العصر وقادتهم غيرتهم وفرط حماسهم لهذا الموضوع إلى السير فى مثل هـــذا الطريق الفعال فى نشر وترويج وتعاليمهم[١] :

ومن هنا يقول ابن البطريق : إن اليهود لما دخلوا فى النصرانية بسبب اضطهاد قسطنطين لهم تشكك النصارى فى إيمانهم فأشار بطريرك القسطنطينية على قسطنطين أن يختبرهم بحملهم على أكل لحم الخنزير فقال له: إن الخنزير حرام أكله فى للتوراه ، واليهود لا يأكلونه فتأمر أن تذبح الخنازير ، وتطبخ لحومها ويطعمون منها هذه الطائفة فمن لم يأكل علمت أنه مقيم على اليهودية ، عندئذ أمر قسطنطين بتحريم الخنزير وقال : إن كان الخنزير فى التوراة محرماً فكيف يجوز لنا أن نأكل لحمه ونطعمه للناس ، فقال له البطريرك إن سيدنا المسيح قد أبطل سائر ما فى التوراة وجاء بتوراة جديدة هى : الإنجيل — وقال فى انجيله المقدس : إن كل ما يدخل الفم ليس ينجس الإنسان إنما ينجس الإنسان كل ما يخرجه من فمه يعنى السفه والكفر »[٢] .

٩ — عقيده بولس التى حرف بها دين عيسى عليه السلام :

لم يقف الأمر عند حل لحم الخنزير وإلغاء شريعة الختان وادعاء أن عيسى ابن الله تلك التعاليم التى أشـــاعها بولس فى المجتمعات التى كان ينتقل إليها ويبث بها دعوته ، ولكنه استطاع أن يحمل الناس على الإعتقاد بإله من نوع جديد : إنه إله وهمى تجسد فى رحم امرأة ومكث

---

(١) ينابيع المسيحية ص ٦٢

(٢) التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق المعروف بتاريخ ابن البطريق جـ ١ ص ١٢٣

تسعة أشهر فى بطنها ثم ولد من أمه ، وبعد مكوثه مدة على الأرض (٣٣ سنة) قتل وصلب ليكون فداء للبشرية من خطيئة وهمية وهم بها الجنس البشري ولكى يعلل بولس نظريته هذه ادعى أن الله سبحانه يتكون من ثلاثة أقانيم ممتازة إمتيازا حقيقيا ، ثم رأى أن هذه الأقانيم الثلاثة الممتازة امتيازا حقيقيا إله واحد وأخذ ينمى هذه الأفكار ويدعوا إليها مدعيا أن المسيح إله وأخذ يعزى تلك الأفكار ووجدت تلك الأفكار أذنا صاغية وعقولا غير راشدة من هؤلاء الذين كانت لهم معرفة سابقة بالفلسفات والديانات السابقة التى سبقت بعثة المسيح عليه السلام .

ولنا أن نتساءل من أين جاء بولس بتلك العقائد ؟؟

ويجيب على ذلك النصارى أنفسهم حيث يقول شارن جنيبير : مبينا أن ذلك كان من تأثير البيئة التى نشأ فيها بولس : فيقول إن المعلومات التى وصلت إلينا عن الحياة الدينية فى موطنه طرسوس خلال العصر الذى نشأ فيه والآثار الدينية التى كانت هناك تدلان دلالة قاطعة على أنه كان بها إلهان لهما مكانة خاصة . .

الأول يدعى (بعل طرز) وهو إله زراعة قديم ، يتحكم فى خصوبة الأرض ، ثم ارتفعت مكانته ، واتخــــذ شكل وصفات إله السماء وسيد الآلهة .

والثانى : « ساندان » وكان هذا فى الأصل إله خصوبة أيضا . أو بصورة أعم إله زراعة ، وكان الناس يحتفلون به كل عام وكان يمثل بين أهل طرسوس نفى المعتقدات المتمثلة خلال هذا العصر . فى تموز بين أهل بابل ، وفى أونيس بين أهل الشام ، وأوزوريس بمصر .. ثم يستطرد قائلا إنه — يعني بولس — اشرأب فى بيئته طرسوس شيئا من الروح الإغريقية بطريقة تكاد تكون لا شعورية ، وبهذا يكون بولس قد جمع بين اليهودية واليونانية ، ثم أضاف إليها ميزة ثالثة وهى تمتعه بالجنسية

الرومانية أو بتعبير أدق حصوله على صفة « المواطن الرومانى » وكانت تلك الميزة ذات نفع كبير متعدد الجوانب . ثم يعطى شارل جنيبير الدليل على ذلك فيقــول : إن ذلك كله ظهر فى رسائله التى كتبها وبشر بها وبتعاليمها بقوله : والدراسة المفصلة لرسائل بولس تكشف لنا النقاب عن مزيج من الأفكار تبدو لأول وهلة[1]

وعلى هذا راح بولس يعلم ويبشر بمسيحية حديثـــة استمدها من مذاهب الهندوس والبوذيين والإغريق وبعض تعاليم اليهود فقـد جـاء لأول مرة بفكره التثليث وفكرة أن المسيح ابن الله وأنه نزل ليضحى بنفسه تكفيرا لخطايا الإنسان وأنه صعد ليجلس على يمين أبيه ليحكم ويدين البشر . تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وصدق الله إذ يقول مبينا لنا ولـكل من يقرأ القرآن الكريم من أين استقى بولس وغيره هذه الأفكار وتلك العقائد قال تعالى : وقالت اليهود عزيز بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون » سورة التوبة/٣٠

ويخاطب الله عز وجل اليهود والنصارى معا بقوله : يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قـــد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » سورة المائدة/٧٧

فالقرآن الكريم واضح الدلالة على أن بولس وغيره ممن حرف دين عيسى عليه السلام قد استقوا هذه الأفكار وجاءوا بها من أصحاب الديانات والفلسفات السابقة ولذلك أمرهم الله بعدم الغلو فى الدين .

ويقول ويلز ، لقد كان بولس شديد الاهتمام لحركات زمانه الدينية فتراه على علم عظيم باليهودية ، والميترائية ، وديانة ذلك الزمان التى كانت

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص٧٢–٧٩ بتصرف

تعتنقها الإسكندرية فنقل إلى المسيحية كثيرا من أفكارهم ومصطلح تعبيرهم ثم يستطرد قائلا: لقد استعارت المسيحية أشياء كثيرة من هذه الديانات: كالقسيس والحليق وتقديم النذور، والهياكل، والشموع والتراتيل، والتماثيل التى كانت لعقائد متراس والاسكندرية، بل تمثلت أيضا فى عباراتها وأفكارها اللاهوتيه، وراح بولس يقرب إلى عقول البشر الفكرة الذاهبة إلى أن شأن عيسى كشان أزوريس «كان ربا مات ليبعث حيا وليمنح الناس الخلود»[1].

ويقول موريس بوكاى: إذا كان بولس أكثر وجوه المسيحية موضعا للنقاش فذلك لأنه قد كون المسيحية على حساب هؤلاء الذين جمعهم من حوله لنشر تعاليمه. ويتساءل ماذا كان يمكن للمسيحية أن تكون عليه دون بولس؟ ونستطيع فى هذا المقام أن نقيم افتراضات كثيرة[2].

ومن هنا يقول ويلز: وراح بولس يقرب الناس لدعوته التى تناسب بيئته وثقافته حتى أذهب دين المسيح وأتى بمسيحية جديدة من عند نفسه[3].

وبهذا كان منشأ المستقبل كما يقول شارل جنيبر[4]،

---

(١) موجز تاريخ العالم — هـ. ج ويلز ص١٧٨

(٢) دراسة الكتب المقدسة ص٧٣

(٣) موجز تاريخ العالم ص١٧٨

(٤) المسيحية نشأتها وتطورها ص٨٤

خلاصة واستنتاج:

إن بولس الذى كان عدو المسيحيين استطاع بدهائه وماأوتى من تلون فى الدعوة أن يغير الكثير مما جاء به عيسى عليه السلام . بل كان منشأ المستقبل كما يقولون ومن ثم كانت للتعالم والمبادىء التى بشر بها ودعا إليها أثر كبير فى النصرانيه :

١ — فبولس الذى لم ير المسيح ولم يلتق به فى حياته استطاع أن يوهم الناس أنه الإنسان الذى يدعو بالدعوة الصحيحة ويجب على الناس أن يؤمنوا بدعوته ، إذا كان إنسان يدعوا بغير دعوته فقد تصلف ، لأنه هو الذى رأى المسيح والمسيح جعل الدعوة أمانة فى عنقه كما يزعم .

٢ — إن العقيدة التى أعلنها بولس وأخذ يدعو إليها ويغذيها وينميها استمد عناصرها من الثقافات التى كان على علم بها فقد كان على علم باليهودية والزرادشية والديانه الفرعونية والهندوسيةوقد نقل من الديانات القديمة عقيدتهم التى تقوم أساساً على التثليث خاصة الهندوسية الذين يعتقدون بوجود ثلاثة آلهة : « براهما ، وفشنوا ، وسيفا وكذلك عقيدة الإغريق التى تعتقد بالإله المثلث الأقانيم ، والفراعنة الذين كانوا يعددون الآلهة ثم وجد عندهم الآلهـــة الثلاثة ، : إيزوريس ، وإيزيس ، وحوريس . واللاهوت السكندرى الذى كان يدرس أن الكلمة هى الإله الثانى وبدعى ابن الله الأكبر فأخذ بولس من هذه التعاليم : وأخذ يعلم تلك التعاليم التى ادعى أنه تلقاها من المسيح مباشرة فكان يعلم أن المسيح ابن الله ، وأنه نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قربانا وفديه وأنه صلب تكفيرا لخطايا البشر ، فصلبه كان تضحية للبشرية وأنه سيقوم مرة ثانية من الأموات وعيسى على يمين الرب ليحكم ويدين البشر فهو لذلك منقذ ومخلص وسيد .

٣ — أخذ بولس يعلم أن المسيحية ليست دينا لليهود فقط بل هى دين عالمى فنقل المسيحية من ديانة خاصة لبنى اسرائيل إلى ديانة عالمية يدخل فيها كل الناس ، وأخذ ينشر تلك التعاليم فى رسائله إلى رومية ، وكورنتس ، وغلاطية

إذ يقول بولس لأهل رومية « أشكر إلهى يسوع المسيح من جهة جميعكم أن إيمانكم ينادى به فى كل العالم » (الإصحاح الأول عدد ٨)

ويقول فى رسالته إلى كورنتس (إذا كان العالم فى حكمة الله يعرف الله بالحكم استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة ، لأن اليهود يسألون آية ، واليونانيين يطلبون حكمة ، ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوبا لليهود عثرة ، ولليونانيين جهالة الإصحاح الأول (عدد ٢١ - ٢٤)

ويقول فى رسالته لأهل كورنتس : « صرت للكل كل شىء لأخلص على كل حال قوماً الرسالة الأولى (٩ - ٢٢)

٤ — كان بولس أول من أوجب الخضوع للطبقة الحاكمة من السادة والقديسين فجعل طاعتهم كطاعة المسيح : إذ يقول للمدعوين « ألست أنا رسولا : أنا حراً ، أما رأيتا بسوع المسيح ربنا ... إن كنت لست رسولا إلى الآخرين ، فأنى أنا إليكم رسول لأنكم أنتم ختم رسالتى فى الرب » كورنتس الإصحاح ٩ - ١ - ٣

٥ — كان بولس أول من ألغى شريعة الختان حيث قال لهم كما سبق بيانه ليس الختان بشى ولا القلفة بل حفظ وصايا الله .

٦ — كان بولس مناقضا لنفسه دائما : فرغم أنه كان المفسد لدين عيسى والمغير لشريعته فقد كان بولس أول من خالف القرار الذى اتخذه بشأن الختان ذلك : أنه أخذ تلميذه « تيموثاوس » وختنه بنفسه كما جاء فى

سفر أعمال الرسل[١] . وفى ذلك يقول الأنبا يؤانس .. إن بولس ختن تيموثاوس .. وقد فعل ذلك كنوع من الملاءمة الإرادية أى أنه يتلون فى الدعوة مع المدعوين فهو يصير لليهودى كيهودى وللأمى كأمى ... وهكذا فهو كما أخبر عن نفسه: عبدت نفسى للجميع لأربح الأكثرين[٢،٣].

٧ — كان بولس أول من سن سنة جمع المجامع فى المسيحية : إذ أن المسيح عليه السلام كما يقول شارل جنيبر : لم يبن كنيسة ولا معبدا ولم يأت بشىء من طقوس العبادة جديد ولكن بولس أمر بعقد مجمع أورشليم المحلى للنظر فى أمر الختان كما سبق الحديث عنه وكان هذا المجمع النواة فى تحريف دين عيسى عليه السلام حيث دخل التحريف أساسا فى شريعته على يد بولس عدو المسيحية أولا . . وصاحب اليد الطولى فى بناء صرح النصرانية الحاضرة ، وكان هـذا المجمع أيضا النواة للمجامع المحلية والمسكونية التى انعقدت فى النصرانية تلك المجامع التى كانت أداة هدم لدين عيسى عليه السلام[٤] .

٦ — كان بولس هو الذى اشترك مع بطرس فى حل شرب الخمر وأكل لحم الخنزير وأباح ذلك ضاربا بتعاليم المسيح عرض الحائط .

٧ — كان بولس أول من ألف الأناجيل والرسائل حيث بلغ نصيبه من العهد الجديد الذى يبلغ [٢٧] إنجيلا ورسالة — أربع عشرة رسالة أى أكثر من النصف ، وكما سبق بيانه كانت هذه الرسائل سابقة على الأناجيل الأخرى . وبهذا فتح بولس الباب عـلى مصراعيه لتأليف الأناجيل

---

(١) أعمال الرسل إصحاح ١٦ : ٣
(٢) الرسالة الأولى لأهل كورنتش ٩ : ١٩
(٣) الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ص ٧٣ : هامش
(٤) انظر رسالتنا للدكتوراه (المجامع المسيحية)

والرسائل حتى بلغت من الكثرة مالا يحصى له عد فكانت المجامع التى أمرت بأخذ البعض وعدم الأخذ بالبعض الآخر وإحراق هذا البعض وعدم ظهوره للناس : فتعددت الأناجيل المؤلفة المنسوبة إلى البشر ولم نعثر للإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام على أى أثر وما كان للنصارى أن يفعلوا ذلك لولم يأت إليهم بولس .

ولذلك يقول رئيس الشمامسة فورد : إنه ليدهشنى أن يسمحوا ليهودى من طرسوس « بولس الرسول » الخبير بأساطير اليونان والرومان الأولين وفلسفة أفلاطون أن يصبغ دين عيسى السلس ، ويشوهه بها مع أنه لم تسبق له معرفة شخصية بعيسى ولا تعاليمه ذلك الرجل الذى كان دائما الد أعداء السيد المسيح: يدهشنى أن يسمحوا له بالتسيطر على المسيحية إلى هذا الحد والمدى حتى غير معالمها وخواصها وقلبها رأسا على عقب» [1] .

---

(١) ينابيع المسيحية صـ ٦٠ ، ٦١ .

الفصل السابع

الاضطهادات الرومانية وأثرها في النصرانية

بدأ اضطهاد المسيحيين منذ عهد مبكر، وكان المسيح نفسه ضحية هذا الإضطهاد، حيث إن اليهود تآمروا عليه، وشكوه ظلما، وكذبوا عليه، وأسلموه إلى بيلاطس حاكم فلسطين من قبل الرومان، فقضى عليه بالموت صلبا كما في زعمهم[1].

ثم بدأت الاضطهادات الشهيرة بالاضطهاد العظيم الذي شنه نيرون على المسيحيين عام ٦٤ م، حيث أحرق روما واتهم المسيحيين بإحراقها، وصب عليهم جام نقمته وصوته، وشن عليهم حملة شعواء في كل أنحاء المملكة الرومانية حتى قيل أنه. كان يضع بعض المسيحيين وهم أحياء في جلود الحيوانات ويطرحهم للكلاب تنهشهم ويطلي بعضهم بالقار، ويعلقهم على مشانق ثم يضرم فيهم النار ليجعل منهم مشاعل يشتق بها وهو يمر بالليل وكان يمتع نفسه بمنظر أطفالهم والوحوش تمزقهم وتلتهم أشلاءهم[2].

واستمر الإضطهاد في زمن الإمبراطور دومتيانوس عام ٩٠م، حيث قتل الكثيرين منهم، وهكذا لم يأت ختام القرن الأول، إلا وأصبحت المسيحية أمراً محرما قانونا وأصبح الإضطهاد منتظما وشاملا لجميع أجزاء

---

(١) المسيحية د. أحمد شلبي — الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٧م — مكتبة النهضة المصرية ص ٧١.

(٢) موسوعة تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٠١ وما بعدها، وقصة الإضطهاد الديني في المسيحية والإسلام د. توفيق الطويل سنة ١٣٦٦ هـ سنة ١٩٤٧ م مطبعة دار نشر الثقافة بالاسكندرية ص ٢٤

الإمبراطورية الرومانية .. فكانت تصادر ممتلكات من يعترفون بالمسيح كما كانوا يسجنون . ولم يقدموا للإعدام فى أعداد كبيرة فحسب ، بل كانوا قبل الإعدام يتعرضون لأشد أنواع العذاب ، وكان المبلغون عنهم يكافأون وكل من كان يأوى مسيحيا كان يقاسمه مصيره ، كما أعدم كل ما وجد معهم من أجزاء الكتاب المقدس(١) .

وفى القرن الثانى خاصة حين تولى الحكم تراجان « ١١٧ م » كان اعتناق المسيحية جريمة عقابها الإعدام ، بل كان المسيحيون يعتبرون أنجاسا لا يسمح لهم بدخول الحمامات والمحال العامة ، فكان الوثنيون إذا رأوا مسيحيا لاذوا فرارا مخافة أن يمسهم دنسه ، ومن هنا كان حرمان المسيحيين من دخول الحمامات وغيرها من المحال العامة : وامتد هذا إلى تعذيبهم فى غير رفق ولا رحمة ، فكانوا كثيرا ما يلقون إلى الوحوش الضارية تفترسهم فى مدرج عام يضم خصومهم الذين يحضرون للتلهى بمشاهدة هذه المناظر(٢) .

وتتوالى الكوارث والإضطهادات بالمسيحية حتى جاء « ديسيوس سنة ٢٤٩ م » ، فأنزل بهم من البلاء ما تقشعر منه الأبدان كما يقول زكى شنوده — حيث قتل عشرات الآلاف من الرجال والنساء والأطفال ويقول القديس : يوسابيوس القيصرى ، أنه فى فترة من فترات ذلك العهد قتل عشرة آلاف دفعة واحدة ، ثم يقول إننى رأيت عدداً كبيرا يقتل فى أحد الأيام حتى إن السيوف من كثرة ما استعملت فى ذلك اليوم تكسرت ولم تعد تقطع ، بينما أنهك التعب الجلادين ، فكانوا يتناوبون حتى يعمل البعض ويستريح الآخرون(٣) .

---

(١) الكنيسة المتغربة .

(٢) قصة الاضطهاد فى المسيحية والإسلام ص ٣٥

(٣) موسوعة تاريخ الأقباط ج ١ ص ١٠٥

وسجل القرن الثالث صورا أخرى من أبشع ألوان التعذيب والإضطهاد للمسيحيين وذلك فى عهد الإمبراطور دقلديانوس سنة ٢٨٤ ، فقد صمم هذا الإمبراطور على ألا يكف عن قتل المسيحيين حتى تصل دماؤهم إلى ركبة فرسه ، وفعلا نفذ عزمه وراح يطوف بفرسه فى بحر من دماء القتلى وقد هدم كنائس المسيحيين ، وأحرق كتبهم المقدسة وأعدمها ، وقبض على أساقفتهم وأذاقهم كل صنوف العذاب ، وأغرقهم فى مذابح دامية لم يسبق لها نظير فى التاريخ[١] .

وقد استمر البلاء ينزل من قياصرة الروم على المسيحيين بالقتل ، وعلى كتبهم المقدسة بالإحراق ، وعلى رجال الدين بالتشريد والتقتيل حتى جاء مطلع القرن الرابع الميلادى فتغيرت الأحوال ، وأصدر الإمبراطور قسطنطين ، مراسيم التسامح سنة ٣١١م وسنة ٣١٣م ، وأقر مبدأ التسامح ، ووضع المسيحية مع غيرها من الأديان على قدم المساواة[٢] .

هذه بعض صور الاضطهادات والكوارث التى صادفت المسيحية فى نشأتها وفى تكونها وليدآ وفى تدرجها ، وقد كان لهذه الإضطهادات والكوارث : الأثر الأكبر فى ضياع دين المسيح ، إذ قضت الكوارث على رجال الدين الأصليين بالقتل .. وأعدمت الكتب المقدسة بالإحراق حتى انعدمت الصلة بين المسيح عليه السلام وبين ما جاء به ، حتى اعترف مناظروهم بأن تلك الاضطهادات ، والكوارث : كانت سببا فى فقد سندها المتصل بصاحب الشريعة : إذ ضاع الإنجيل الأصلى . . وتعددت الأناجيل التى دونت على الظن والتخمين .

---

(١) السابق ص ١٠٨

(٢) الرومان / تأليف : ز . هـ . بارو / ترجمة عبد الرازق يسرى طبع ونشر دار نهضة مصر سنة ١٩٦٨ ص ١٩١

يقول الشيخ رحمة الله الهندى فى كتابه إظهار الحق :

« طلبنا مرارا من علمائهم الفحول السند المتصّل ، فما قدروا عليه ، واعتذر بعض علمائهم فى محفل المناظرة التى كانت بينى وبينهم ، فقال إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة .

ثم يقول الشيخ : وتفحصنا فى كتب الإسناد لهم فلم نجد فيها غير الظن والتخمين يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن ، والظن فى هذا الباب لا يغنى شيئاً فما دام لم يأتوا بدليل شاف وسند متصل فمجرد المنع يكفينا وإيراد الدليل فى ذمتهم لا ذمتنا[١]

ويقول الشيخ / محمد أبو زهرة عن أثر تلك الإضطهادات :

وفى الحق أن تلك الإضطهادات جعلت كل عمل يقومون به فى شئونهم الدينية . وخاصة ما كان متصلا ببيان الشريعة : يقومون به سراً لا جهراً ، وفى خفية من العيون المتربصة ، والأعداء المترقبين . والسرية يحدث فى ظلمتها مايجعل العقل غير مطمئن إلى مايحكى فضلا عما يحدث فيها[٢]

وعلى هذا فقد كان لهذا الاضطهاد أثره فى ضياع الإنجيل الأصلى — الذى جاء به المسيح عليه السلام — وبضياع هذا الإنجيل انقطع السند بين المسيح عليه السلام وبين ماجاء به . يقول ابن حزم : وأما النصارى فلا خلاف بين أحد منهم ولا من غيرهم فى أنه لم يؤمن بالمسيح فى حياته إلا مائة وعشرون رجلا فقط ونسوة ، وأن كل من آمن به كانوا متسترين مخافين

---

(١) إظهار الحق / للشيخ رحمة الله الهندى الطبعة العلمية هـ جـ ٥ / ١٣١ ص ٣٣

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ٣٥ ومابعدها

فى حياته وبعده، يدعون إلى دينه سراً، ولا يوجد أحد منهم وجهه إلى الدعاء إلى ملته، ولا يظهر دينه. وكل من ظهر منهم قتل، إما بالحجارة وإما صاب أو قتل بالسيف أو بالسم فبقوا على هذه الحالة لا يظهرون البتة. ولا لهم مكان يأمنون فيه مدة ثلاثمائة سنة بعد رفع السيد المسيح عليه السلام وفى خلال ذلك ذهب الإنجيل المنزل من عند الله عز وجل إلا فصولا يسيرة أبقاها الله تعالى حجة عليهم، وخزيا لهم فكانوا كما ذكرنا إلى أن تنصر قسطنطين فمن حينئذ ظهر النصارى. وكشفوا دينهم واجتمعوا[1]

ويقول الشيخ محمد الغزالى:

كان عيسى ابن مريم كأنما يقاتل فى معـــركة انسحاب فقد اعتبر هو وأتباعه خارجين على القانون السائد وهنا يدور الصراع بين مبادىء ومبادىء ويحتدم النزاع بين الحق والباطل ويبدو أن الذين آمنوا بعيسى لم تكن لهم شوكة مرهوبة — ومن ثم جاء ختام هذه المعارك مؤسفاً فقد سير الرومان ثلة من رجال الشرطة ألقوا القبض على عيسى وقتلوه كما يقول النصارى وأفلت من أيديهم كما نعتقد نحن المسلمين، وطويت صحائف هذه الدعوة المضطهدة بهذا المصير الخطير، وتبدد الأتباع شذر مذر، وضاع الإنجيل الذى أنزله الله على نبيه فلم يعثر له على أثر إلى يوم الناس هذا وكل ما أثر عن تعاليمه بقايا أشاعها لفيف من كتاب سيرته بعد عشرات السنين من وفاته فى أحوال تحفها الريب، ويغلب عليها التخليط والخلط وسميت هذه السير المؤلفة بالأناجيل، وليست هى البتة بالإنجيل الذى أنزله الله على عيسى ابن مريم[2] عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام

---

(١) الفصل فى الملل [لابن حزم جـ ٢ ص ١١٠

(١) نظرات فى القرآن: للشيخ محمد الغزالى، الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٢هـ ١٩٦٢ م، دار الكتب الحديثة ص٣٧، ٣٨

وترتب على ضياع الإنجيل الأصلي تعدد الأناجيل المؤلفة المنسوبة إلى أصحابها لا إلى المسيح . ولا إلى الله عز وجل مما يدل على أنها محرفة وكاذبة أيضاً حتى إن أصحابها لم يكتبوها لتكون كتاباً مقدساً وأن هذه الفكرة لم تخطر ببال أحد منهم مما يؤكد زيف هذه الكتب وأنها غير موحى بها، بل هي من عند أنفسهم — يقول آدم كلارك — وهو من كبار علماء المسيحيين البروتستانت هذا الأمر محقق من أن الأناجيل الكثيرة كانت رائجة في أول القرون المسيحية ويوجد أكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية[1]

ولقد تم اختيار أربعة من هذه الأناجيل لتكون بمثابة انجيل معتمد عندهم وأطلقوا عليها اسم العهد الجديد ولم يعترف بها رسمياً عند القوم إلا في القرن الرابع الميلادي يقول صاحب المدخل إلى الكتاب المقدس: وبحسب مالدينا من أدلة تاريخية كان مجمع قرطاجة الذي انعقد سنة ٣٩٧م أول مجمع صدق على المجموعة الكاملة لأسفار العهد الجديد[2] ثم يقول: ويجب أن لا يظن أن أحداً من كتاب العهد الجديد فكر واعياً وهو يكتب أنه يكتب أسفاراً مقدسة عن المسيحيين في السنوات المقبلة ويضعونها في مستوى أسفار العهد القديم إن مثل هذه الفكرة لم تخطر لأحد منهم على بال، وما كانوا يرضونها لو خطرت .. ثم يقول شارحاً الباعث الحقيقي لكتابة هذه الأسفار لسد الحاجة في كنائسهم الخاصة ،أما تكوين مجموعة

---

(١) السيف الصقيل / للشيخ بكر التميمي ،مطبعة المحروسة بمصر ١٣١٣ ص ٢٤٢ والمسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ص ٧٨

(٢) المدخل إلى الكتاب المقدس تأليف / حبيب سعيد — صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة المطبعة الفنية الحديثة بدون تاريخ ص ٢٢٨

رسمية من هذه الأسفار فكان تطوراً طبيعياً دعت إليه الحاجة[١] وأما عن الأناجيل الأربعة فقط فيقول : إن البشائر الأربع قبلت كوثائق رسمية قانونية حوالى أواخر القرن الثانى[٢]

وهكذا كان للإضطهادات والكوارث التى أنزلها الرومان بالمسيحيين الأثر الأكبر فى ضياع الإنجيل الأصلى ، وترتب على ضياعه ظهور تلك الأناجيل فتعددت من أجل ذلك المجامع واجتمع النصارى إلى علمائهم قائلين « إن المسيح قد قتل وافتقدنا نحن إنجيله وأنتم علماؤنا فماذا نصنع[٣]

---

(١) السابق ص ٢٣١

(٢) السابق أيضاً ص ٢٢٩ ، والأناجيل الأربعة ، هى : انجيل متى ، انجيل مرقص ، إنجيل لوقا ، إنجيل يوحنا ، وقد اعتمدوا فى كتابتها على الحدس والتخمين كما يقول حبيب سعيد ، السابق ص ٢١٦ حيث أنهم لا يعترفون = بالإنجيل الأصلى فهم يقولون : إن الفكرة القائلة بأن يسوع المسيح جاء إلى العالم بانجيل فى شكل كتاب مجهز أو خلاصة للحق الذى سلمه للناس : خاطئة لاتطابق الواقع . ولا يصح أن يقال إن الإنجيل نزل عليه ، أديان العالم / حبيب سعيد ص ٢٧٥

(٣) يقول موريس بوكاى مبيناً فقدان نصوص الوحى الثابت لدى المسيحية وأنه يعتمد على شهادات بشرية « إن الإنجيل يعتمد على شهادات بشرية متعددة وغير مباشرة وإننا لا نملك مثلا أى شهادة لشاهد عيان لحياة عيسى » .

انظر دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ١٠٠

الفصل الثامن

مصادر النصرانية المعاصرة

تمهيد :

عيسى عليه السلام آخر أنبياء بنى إسرائيل كما أخبر بذلك القرآن الكريم ، ورسولا إلى بنى إسرائيل[1] ، وقد جاء يمشي على شريعة موسى عليه السلام كما تقول النصوص الإنجيلية « لا تظنوا أنى أتيت لأحل الناموس والأنبياء إنى لم آت لأحل لكن لأتم »[2] .

والنصارى على هذا — كان من الواجب أن يعتقدوا بما نزل على موسى بمعنى أن تكون المصادر المعتمدة لديهم (التوراة — التى هى الناموس ، والإنجيل ، وهما الكتابان السماويان اللذان تنزلا على كل من نبى الله موسى ونبى الله عيسى عليهما السلام :

ولكن الذى ينظر إلى ما بين أيدى النصارى الآن يجدهم يعتمدون على ما يسمى بالكتاب المقدس وهذا الكتاب كما يقول القس حبيب سعيد : « تسعة وثلاثون سفرا فى العهد القديم ، وسبعة وعشرون سفرا فى العهد الجديد[3] »

فإذا علمنا أن هناك سبعة أسفار أخرى عند بعض الطوائف النصرانية علمنا بذلك أنه قد يكون الكتاب المقدس إما ستة وستون سفرا أو ثلاثة وسبعون سفرا وإليك التعريف به .

---

(١) سورة آل عمران ٤٩ (٢) إنجيل متى (ف ٥ ع ١٧)

(٣) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٩

١ — التعريف بالكتاب المقدس :

الكتاب المقدس عند النصارى يشتمل على العهدين القديم والجديد) ونحن حينما نتحدث عن هـــذا الكتاب فإنا نتحدث عنه باعتبار واقع المصادر المعتمدة عند النصارى الآن — فهذا الكتاب يوجد بطبعات كثيرة فهناك الطبعة الكاثوليكية ، وهناك الطبعة الأورثوذكسية وغيرهما وكلاهما يختلف عن الآخر فى بعض النصوص — وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن النصارى أنفسهم ما زالوا يختلفون فيه[1] هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى فإن النصارى لم يتبعوا كما يظن البعض تعاليم موسى عليه السلام بل أحلوا ما حرمت الأسفار الخمسة وغيروا وبدلوا فى كثير من تعاليم العهد القديم وراحوا يفسرون العهد القديم بما يوافق العهد الجديد وراحوا يبحثون فى نصوص العهد القديم عن عقيدة التثليث وألوهية المسيح وبنوته لله فما وجدوا ولذلك كان إعتمادهم أساساً على نصوص العهد الجديد — ومن ثم كان لزاما أن نتحدث عن العهدين معاً :

---

(١) إن القس حبيب سعيد يبين ذلك فيقول : إن الترتيب اليهودى فى كتابهم المقدس يختلف عن الترتيب الذي وضعه المسيحيون .. ثم يقول : إن يهود الإسكندرية وضعوا الكتاب المقدس اليونانى فى ترتيب يختلف ، وقد استخدمت الكنيسة المسيحية اللغة اليونانية (العبرية .. ثم يقول : وهناك أسفار غير قانونية (أبوكريفا) نجدها فى الكتاب المقدس الذى تستخدمه الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأورثوذكسية ، أما الكنيسة البروتستانتية فقد احتفظت فقط بالأسفار التى ضمها الكتاب المقدس العبرى »

أنظر المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٦٧ ، ٦٨

باعتبار ما يظهر به النصارى أمام الناس وهو تقديسهم للعهدين معاً : أو [الكتاب المقدس] .

أولا : العهد القديم : تطلق هـــذه التسمية على مجموعة الأسفار عند اليهود فى مقابلة مايسمى عند النصارى بالعهد الجديد، وهذه التسمية أطلقت على الكتاب المقدس فى العصور المسيحية بمعنى أن التسمية لم تكن موجودة فى زمن موسى ولا زمن عيسى عليه السلام ولكن الكنيسة أحدثت هذه التسمية على المصادر المعتمدة لديها بعد أن أتفق على ذلك فى المجامع المسيحيه التى انعقدت فى سنين عديدة وعلى فترات متعاقبة .

والعهد القديم ينقسم إلى أربعة أقسام :

أولا : الأسفار الخمسة ، ويطلق عليها اليهود الأسفار الناموسية أو أسفار موسى أوالتوراة فى زعمهم : وهى — سفر التكوين ، والخروج ، واللاويين ، والعدد والتثنية » .

وسمى الأول بالتكوين لأنه يقص تاريخ العالم من تكوين السماء والأرض إلى استقرار بنى إسرائيل فى أرض مصر مع ذكر قصة آدم ، وحواء ، ونوح والطوفان ونسل سام أحد أبناء نوح كما يتحدث عن إبراهيم عليه السلام وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط ... إلخ .

وأما سفر الخروج : فسمى بهـــذا الإسم : لأنه يعرض تاريخ بنى إسرائيل فى مصر وقصة موسى ورسالته وخروجه مع بنى إسرائيل ، وتاريخهم فى مرحلة التيه أربعين سنة تلك المرحلة التى عرض لها القرآن الكريم إذ يقول : [قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض» . كما يعرض هذا السفر بعض التشريعات الخاصة باليهود .

وأما سفر التثنية : فقد شمل معظمه أحكام التشريع اليهودى الخاص بالحروب والسياسة وشئون الإقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات» وسمى بالتثنية لأن كثيراً من تعاليمه ذكرت فى الأسفار الأخرى .

أما سفر اللاويين ، فقد شغل معظمه بشئون العبادات وخاصة ما يتعلق منها بالأضحية والقرابين والمحرمات من الطيور والحيوانات ، وسمي باللاوين نسبة إلى لاوى : أحد أبناء يعقوب وكانوا سدنة الهيكل والمشرفين على القرابين والمذبح فسمى السفر باسمهم نظراً لأنه تناول كثيراً من الأعمال التي يشرفون عليها .

أما سفر العدد : فقد اشتمل على إحصائيات قبائل بنى إسرائيل ، وجيوشهم وأموالهم وكثيراً مما يمكن إحصاؤه ومن ثم سمى بالعدد .

ثانيا : أما القسم الثانى : فهى الأسفار التاريخية : وعددها إثنا عشر سفرا وهى (يوشع — القضاه — صموائيل ١ ، ٢ — راعوث — الملوك ١ ، ٢ أخبار الأيام ١ ، ٢ — عزرا — نحميا — أستير) .

وسميت هذه الأسفار بالتاريخية : لأنها تتناول تاريخ بنى إسرائيل بعد إستيلائهم على بلاد كنعان كما أنها تتناول تاريخ — قضاتهم وملوكهم وأيامهم وأخبارهم » .

ثالثا : أما القسم الثالث : فهو الأسفار الشعرية : أو أسفار الأناشيد وسميت بذلك لأنها عبارة عن مواعظ وأناشيد دينية مؤلفة بالطريقة الشعرية وعددها خمسة هى : « أيوب — مزامير داود — أمثال سليمان — نشيد الأناشيد ، سفر الجامعة » .

رابعا : أما القسم الرابع فهى : أسفار الأنبياء ، وهى سبعة عشر سفراً هى [أشعيا — أرميا — مراثى أرميا — حزقيال — دانيال — هوشع — يوئيل : عاموس — عوبديا — يونان — ميخا — ناحوم — حبقوق — صفنيا — حجى — زكريا — ملاخى] .

وعن مدى تقديس النصارى للعهد القديم خاصة الأسفار الخمسة الأولى يقول إلياس حبيب سعيد :

كان طبيعياً أن يعتقد اليهود أن موسى هو كاتب الأسفار الخمسة والله أنزل عليهم الشريعة عن طريقه ، ولما تناول المسيحيون العهد القديم من اليهود أخذوا عنهم هذه النظرية . . إلا أنه فى خلال المائة سنة الأخيرة توسع العلماء فى البحث والإستقصاء وأثبتوا خطأ هذه النظرية — ويقول العلماء إن بعض أجزائها يرجع تاريخه إلى أزمنة مختلفة وعصور متأخرة ، وإن ثلاثة من هذه الأسفار هى : التكوين والخروج ، والعدد

تضمنت ثلاثة أنواع من الكتابات، ونجد أحيانا بيانين مختلفين عن حادثة واحدة واسترسل القس فى ذكر الأدلة من النصوص والتى تبين أنها لم تكن عن طريق الوحى بل إنها كتبت بأيدى كثيرة وفى أزمنة مختلفة وذكر من ذلك :

أنه فى سفر التكوين (الإصحاح الأول) نجد قصتين عن الخلق تمثل إحداهما الفكر الإنسانى بعد أن نال قسطا من النضوج فى معرفة الله : الأولى للأطفال والثانية للبالغين ، ولكن القصتين ترجعين إلى زمنين مختلفين وقد تكون الأولى متأخرة عن الثانية مئات من السنين .

ثم يقول القس : ونكتفى بهذه الأمثلة لنثبت أن هذه الأسفار — يقصد الأسفار الخمسة كتبت فى أزمنة مختلفة وبأكثر من يد واحدة »[١] وهذا الرأى هو ما رجحه علماء الكتاب المقدس[٢] ، ومنه يتبين مدى تقديس النصارى لأسفار العهد القديم فإذا كانوا يعتقدون أن الأسفار الخمسة الأولى لم يكتبها موسى لليهود وإذا كانوا يعتقدون بأنها كتبت فى أزمنة مختلفة وبأيدى كثيرة علمنا مدى صدق ما أثبتناه سالفاً وهو

(١، ٢) المدخل إلى الكتاب المقدس : ص ٧٠ ، ١٧٨ وما بعدها بإيجاز .

أن النصارى يظهرون للناس بأنهم يقدسون العهد القديم والحقيقة أنهم يؤولونه حسب ما يحلو لهم وحسب ما تمليه عليهم نصوص العهد الجديد .

فما هو العهد الجديد ؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال ؟ يجب أن نجيب على سؤال قبله وهو أين الإنجيل الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام — وهل هذا الإنجيل ورد فى النصوص الإنجيلية التى بين يدى النصارى الآن ؟ وأين هو ؟

وبالطبع ليس هذا الإنجيل هو العهد الجديد ولا إنجيل متى ولا مرقص ولا لوقا ولا يوحنا ؟ فقبل أن نعرف بهذا الكم من الأناجيل لابد وأن نعرف بالإنجيل الأصلى المنزل على عيسى عليه السلام والذى نؤمن به نحن المسلمين :

٢ — الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام :

جاء عيسى لبنى إسرائيل بكتاب هو الإنجيل ، وهو — كما أخبرنا القرآن الكريم — كتاب سماوى أنزل على عيسى عليه السلام هــداية ونوراً لبنى إسرائيل دعاهم فيه إلى توحيد الله عز وجل وعبادته ، ونهاهم فيه عن المحرمات ، وأمرهم بالعمل به والحكم بشريعته وبشرهم فيه بالرسول النبى الأمى ، وجاء نعت النبى فى الإنجيل كما فى التوراة :

قال تعالى عن عيسى عليه السلام :

« ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بنى إسرائيل[1] » . وقال « وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين : سورة المائدة (٤٦) .

---

(١) سورة آل عمران ٤٨ ، ٤٩ .

وقال تعالى : « وإذ قال عيسى ابن مريم : يابنى إسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » . [سورة الصف ٦]

وقال تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم .
[سورة الأعراف ١٥٧]

وكذلك جاء وصف الصحابة رضوان الله عليهم فى الإنجيل : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما »[1] .

هذا هو الإنجيل الذى كان المسيح عليه السلام يعظ به ، وقد جاء ذكره فى القرآن الكريم فى سور كثيرة منها : آل عمران ، والمائدة ، والأعراف ، والتوبة ، والفتح ، والحديد ، وكلها بلفظ الإنجيل ، كما تضمنت سور أخرى الإنجيل .. بلفظ : الكتاب كما فى سورة مريم .
[آتانى الكتاب ٣٠]

ونحن المسلمين نؤمن به كما ورد وصفه فى القرآن الكريم هدى ونور

---

(١) سورة الفتح ٢٩

بشهادة القرآن له ، وان كنا لا نعرفه ، وانما نؤمن أنه هداية خاصة مؤقتة ، لاعامة دائمة ، وهذا الإنجيل قد شرح رسالة عيسى ، وتضمن المواعظ والأحكام التى وعظ بها المسيح وعلم الناس ، وأمر تلاميذه أن يبلغوا هذا الإنجيل الى الناس فى أيام رسالته ومن بعده[١] .

« ولقد بشر الحواريون بهذا الإنجيل باعتبارهم علماء وفقهاء ورجال دين لا باعتبارهم أنبياء[٢] .

ولقد كان تبشيرهم باحلال « ملكوت الله » الذى هو الإنجيل الأصلى الحقيقى الذى جاء به عيسى — عليه السلام — والداعى إلى التوحيد المطلق لله رب العالمين .

وقد دلت النصوص الواردة فى الأنجيل والرسائل التى بين يدى النصارى الآن على أن المسيح — عليه السلام — نزل عليه كتاب من السماء هو الإنجيل وأطلق على هذا الإنجيل معانى متعددة فتارة يطلقون عليه كلمة إنجيل » مطلقة ، وأخرى كلمة « انجيل الله » ، وثالثة كلمة « انجيل ابنه » أو « انجيل المسيح » ، ورابعة « بشارة الملكوت » أو « بشارة ملكوت الله » .

فمن المعنى الأول يقول متى :

« الحق أقول لكم : حينما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم يخبر أيضا بما فعلته[٣] » وعن المعنى الثانى يقول بولس « هكذا كنا حانين اليكم

---

(١) الوحى المحمدى ط ٥ ص ١٤٤

(٢) رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٧١

(٣) انجيل متى فصل ٢٦ : عدد ١٣ ط الكاثوليك

كما ترضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا »[١] .

وعن المعنى الثالث يقول بولس أيضا . . « أنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ، ليس هو آخر ، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ، ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح »[٢] .

وعن المعنى الرابع يقول مرقص « وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع الجليل يكرز ويبشر بشارة ملكوت الله ، ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل[٣] .

فهذه صرخة المسيح كما تعلن أناجليهم التى بين أيديهم .. صرخته المدوية إلى الأبد توبوا وآمنوا بالإنجيل . . انطلقوا وتحللوا عما يختلق باسم الإنجيل وآمنوا بانجيلى أنا »[٤] .

فهذه الأدلة المتضافرة شاهدة بلسانهم على أن المذكور فى هذه النصوص وغيرها هو إنجيل لا أناجيل . . وهذا الإنجيل هو الإنجيل الذى نزل على المسيح ، وجاء ذكره فى القرآن الكريم ، واعترف النصارى فى أناجيلهم بأن هذا الإنجيل وعظ به المسيح والتلاميذ من بعده.. وأخيرا هذا برنابا يخبرنا عن إنجيل المسيح قائلا :

---

(١) رسالة بولس الأول الى تسالونيكى فصل ٢: عدد ٨ ط. الكاثوليك

(٢) رسالة بولس الاولى لأهل غلاطية فصل ١ — ٦، ٧ . ط كاثوليك

(٣) إنجيل مرقس فصل ١ : عدد ١٤ ، ١٥ ط . الكاثوليك

(٤) المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية ط ١ ص ٢٣ وما بعدها

أجاب يسوع :

« صدقونى أنه لما اختارنى الله ليرسلنى إلى بيت إسرائيل أعطانى كتابي يشبه مرآة نقية نزلت إلى قلبي حتي أن كل ما أقول يصدر عن ذلك الكتاب ومتى انتهى صدور ذلك الكتاب من فمى أصعد عن العالم ، أجاب بطرس : يا معلم هل ما تتكلم به الآن : مكتوب فى ذلك الكتاب ؟ أجاب يسوع : إن كل ما أقوله لمعرفة الله ، ولخدمة الله ولمعرفة الإنسان ، ولخلاص الجنس البشري ، إنما هو جميعه صادر من ذلك الكتاب الذى هو إنجيلى[1] » .

ولكن أين هذا الإنجيل الذى نزل على عيسي عليه السلام ؟ والذى جاء ذكره في القــرآن الكريم وفى الأناجيل الموجودة بين أيدي النصارى ؟ !

يقول المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة .. جواباً على ذلك : « إننا وجدنا من مؤرخى المسيحية الأحرار الذين لم يقيدهم فى بحثهم إلا العلم والحقائق التاريخية من يصرحون بأنه كانت في القرن الأول رسالة تعتبر أصلا لهذه الأناجيل — يقصد الأناجيل الأربعة التي بين أيدي النصارى» فيها ما جاء به المسيح ، وخلاصة أحواله ، وهذا ترجمة ما قاله نارتن فى كتابه له : قال اكهارن فى كتابه :

«إنه كان فى ابتداء الملة المسيحية فى بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال إنها الإنجيــل الأصلى ، والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ولم يروا أحواله

---

(١) إنجيل برنابا . الفصل ١٦٨ (٢ — ٥) .

بأعينهم ، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب ، وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب [١] » .

ويستنتج الشيخ من هذه الرواية :—

« أن هؤلاء الأحرار يقررون أنه كان هناك إنجيل يعد من المسيحية بمنزلة القلب ولكنه غير موجود ، ولعل ذلك الانجيل هو المشار إليه فى أقوال الأناجيل السابقة والمشار إليه : بإنجيل عيسى : أو إنجيل الله . . أو ملكوت الله . . وهو الذى نزل على عيسى عليه السلام» [١].

ويقول المرحوم عبد الوهاب النجار : إن الإنجيل الذى أتى به المسيح وسلمه إلى تلاميذه وأمرهم أن يبشروا به لا يوجد الآن ، وإنما توجد قصص ألفها التلاميذ وغير التلاميذ لم تسلم من المسخ والتحريف بالزيادة والحشد[٢] » .

ويقول صاحب كتاب إظهار الحق : « إن التوراة الأصلى ، وكذا الإنجيل الأصلى قد فقدا قبل محمد ﷺ ، والموجود الآن بمنزلة كتابين من السير مجموعين من الروايات الصحيحة والكاذبة ، ولا نقول إنهما كانا موجودين على أصالتهما إلى عهد النبى ﷺ ثم وقع فيهما التحريف حاشا وكلا [٣] » .

ويرجع ضياع الإنجيل الذى أنزله الله على المسيح عليه السلام وفقده إلى عصر الاضطهادات التى لحقت بالمسيحية وأهلها فى عصرها الأول [٤]

---

(١) محاضرات فى النصرانية ط ٤ سنة ١٩٧٢ ص ٦٢ .

(٢) السابق ص ٦٣ .

(٣) إظهار الحق ص ١١٢ .

(٤) يطلق المؤرخون على الفترة من ميلاد المسيح إلى عصر قسطنطين =

حيث أنه بعد رفع المسيح عليه السلام نزل بأتباعه اضطهاد عظيم جعلهم يتخوفون بدينهم ، ويبتعدون عن المجتمع ، ويفرون بدينهم حيناً ، ويصمدون للمضطهدين حيناً آخر ، وهم فى تلك الحالات لا شوكة لهم ولا قوة تحميهم وتحمى دياناتهم .

لأنه كما يقول أحد مؤرخى النصرانية : كانت المملكة الرومانية تعتبر الدين المسيحى عدواً لها ، وخطراً يهدد كيانها ، ويعمل على تقويض أركانها ، فقاومته أشد مقاومة ، واضطهدت المؤمنين به أشد اضطهاد ، وأوقعت بهم أقسى صنوف التنكيل والتعذيب والقتل ، فى أبشع صوره وأشنع أساليبه ، عامدة العزم على إبادتهم والقضاء عليهم القضاء الأخير [1] .

ويقول صاحب الكنيسة المتغربه :

« لم يأت ختام القرن الأول ، إلا وأصبحت المسيحية أمراً محرماقانونيا وأصبح الإضطهاد منتظما وشاملا لجميع أجزاء الامبراطورية الرومانية ، فكانت تصادر ممتلكات من يعترفون بالمسيح ، كما كانوا هم يسجنون ، ولم يقدموا للإعدام فى أعداد كبيرة فحسب بل كانوا قبل الإعدام يتعرضون لأشد العذاب ، وكان المبلغون يكافأون وكل من كان يأوى مسيحيا ، كان يقاسمه مصيره ، كما أعدم كل من وجد معه جزء من أجزاء الكتاب المقدس [2] » .

= خاصة عام ٣١٣ م حينما أعلن قسطنطين مرسوم التسامح يطلقون على هذا عصر الإضطهادات والكوارث فى المسيحية .

(١) موسوعة تاريخ الأقباط — زكى شنوده — ط ٢ ص ١٠٠ ج ١ .

(٢) الكنيسة المتغربة تأليف د . ه بروتبنت ترجمة وليم وهبه بباوى ط ٢ ص ٢١ . والمراد بالكتاب المقدس هو الإنجيل لأن الكتاب المقدس لم يكن قد ظهر بوضعه الحالى آنذاك .

وعلى ذلك

فقد كان لهذا الاضطهاد أثره فى ضياع الإنجيل الأصلى .. الذى جاء به المسيح عليه السلام وبضياع هذا الإنجيل انقطع السند بين المسيح عليه السلام وبين ما جاء به .

يقول الشيخ رحمة الله الهندى :

« طلبنا مرارا من علمائهم الفحول : السند المتصل ، فما قدروا عليه واعتذر بعض النصارى فى محفل المناظرة التى كانت بينى وبينهم ، فقال أن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة[1] » .

ويقول الشيخ محمد الغزالى :

« لقد سير الرومان ثلة من رجال الشرطة : ألقوا القبض على عيسى . وقتلوه كما يقول النصارى ، وأفلت من أيديهم كما نعتقد نحن المسلمين ، وطويت صحائف هذه الدعوة المضطهدة بهذا المصير الخطير ، وتجدد الاتباع شذر مذر ، وضاع الإنجيل الذى أنزله الله على نبيه — عيسى عليه السلام — فلم يعثر له على أثر إلى يوم الناس هذا ، وكل ما أثر من تعاليمه بقايا أشاعها لفيف من كتاب سيرته بعد عشرات السنين من وفاته فى أحوال تحفها الريب ، ويغلب عليها التخبيط والخلط ، وسميت هذه السيرة المؤلفة بالأناجيل وليست هى البتة بالانجيل الذى أنزله الله على نبيه عيسى[2] ابن مريم ، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام .

ونستطيع أن نقول أنه رغم ضياع هذا الإنجيل إلا أن الله عز وجل أبقى منه بقية قليلة لتكون باقية شاهدة على القوم إذاهم لم يؤمنوا

---

(١) إظهار الحق جـ ١ ص ٣٣

(٢) نظرات فى القرآن ط ٣ ص ٢٧ وما بعدها .

بالرسول ﷺ .. وكان من هذه البقية ماجاء فى الإنجيل وصفا للنبى ﷺ ووصفا للصحابة رضوان الله عليهم على نحو ماسبق بيانه[١] حتى تكون شاهدة على عدم إيمانهم وتصديقهم ومن أجل ذلك عرف الله رسوله ﷺ بذلك قال تعالى « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون[٢] » وقال أيضا عن هؤلاء اليهود والنصارى « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون[٣] ».

وكان من هذه البقية أيضا بعض التشريعات التى جاء بها عيسى عليه السلام : ولذا خاطب الله نبيه بأن يأمر هؤلاء أن يحكموا ماعندهم من شرائع الإنجيل قال تعالى : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون[٤] ».

يقول الإمام ابن حزم فى ذلك :

« وأما النصارى فلا خلاف بين أحد منهم فى أنهم كانوا مستترين مخافين فى حياته — يقصد حياة المسيح عليه السلام — وبعده يدعون إلى دينه سرا ، ولا يكشف أحد منهم وجهه ولا يظهر دعوته ، وكل من ظفر به منهم قتل ، إما بالحجارة ، وإما صلب ، أو قتل بالسيف ولا يظهر دعوته ، فبقوا على هذه الحالة لا يظهرون البتة ولا لهم مكان يأمنون فيه مدة ثلاثمائة سنة بعد رفع السيد المسيح ، وفى خلال ذلك ذهب الإنجيل المنزل من عند الله عز وجل : إلا فصولا يسيرة أبقاها الله تعالى حجة عليهم ، وخزيا لهم[٥] ».

---

(١) تقدمت الآيات الدالة على ذلك فى أول الحديث عن الإنجيل.

(٢) سورة البقرة / ١٤٦ (٣) سورة الأنعام / ٢٠

(٤) سورة المائدة / ٤٧

(٥) الفصل فى الملل والأهواء والنحل / جـ ٢ ص ٢١٠ بإيجاز .

ولعل من ذلك البعض ما جاء فى الأناجيل التى عارضتها المجامع التى عقدت منذ العصور الأولى للمسيحية ، ولم تعترف بها وأمرت بعدم تقديسها ، بل وأمرت باحراقها واعدامها إلا أن أصحاب تلك الأناجيل كانوا يتخفون بها ويسترونها فظهرت هذه الأناجيل بعد ذلك مثل انجيل برنابا — والتذكرة ، والسبعين هذه الأناجيل التى لا تعترف بها الكنيسه قط ، لما فيها من أمور عقدية تخالف ما عليه الكنيسة وما أمرت به المجامع .

ولقد كان للمجامع الأثر الأكبر فى تقديس النصارى للأناجيل التى ظهرت بعد ضياع الإنجيل الذى أنزله الله عز وجل على عيسى ابن مريم عليه السلام حيث وافقت على هذه الأناجيل التى بين أيدى النصارى الآن ، والتى يطلقون عليها اسم — العهد الجديد — وأمرت باحراق ماعداها واعدامه ، وما لم يحرق ويعدم — أمرت بمعارضته وعدم الاعتراف به وأخرجته عن دائرة التقديس(١).

٣ — العهد الجديد :

بعد ضياع الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام ، اجتمع النصارى فى مجامعهم وقرروا الاعتماد على إنجيل آخر وكان ذلك بعد سنين طويلة من البحث والدراسة بعد رفع المسيح عليه السلام كما نعتقد نحن المسلمين وكما صلب فى زعمهم حيث قبلت الكنيسة المسيحية مجموعة من الأناجيل وضمتها فى كتاب واحد وظهر هذا الكتاب بمطبوعات مختلفة ووضعوا له هذا الاسم «العهد الجديد» ليكون فى مقابل ما يسمى بالعهد القديم ثم بعد ذلك جمع العهدين معاً فى كتاب واحد هو الكتاب المقدس :

---

(١) راجع فى ذلك قرارات المجامع المسكونية — فى رسالتنا الدكتوراة .

يقول القس حبيب سعيد : وبحسب ما لدينا من أدلة تاريخية كان مجمع قرطاجنة الذى انعقد سنة ٣٩٧ ب . م . أول مجمع صدق على المجموعة الكاملة لأسفار العهد الجديد ، ولم يصدق نهائيا مجمع الكنائس الشرقيه إلا فى سنة ٦٩٢ ب . م . على قانونية الأسفار التى اعترف بصحتها القديس اثناسيوس قبل هذا التاريخ بثلاث مائة سنة (سنة ٣٩٧ ب . م)[1] .

فما هو العهد الجديد : ؟

أما العهد الجديد : فيشتمل على سبعة وعشرين وثيقة — أوسفرا منها (١٤) رسالة لبولس الذى لم ير المسيح والباقى [١٣] انجيـــلا ورسالة : هى

الأناجيل الأربعة الأولى وهى : انجيل متى ولوقا ويوحنا ومرقص ثم [أعمال الرسل] وقد كتبها لوقا .

ثم ٣رسائل كتبها يوحنا — و٢رسالتان كتبهما بطرس ، ورسالة كتبها يعقوب ، ورسالة واحدة ليهوذا . فهذه سبعة رسائل .

أما القسم الأخير فهو رؤيا يوحنا اللاهوتى وسميت بذلك لأنهم يزعمون أن يوحنا رآها على أنها أحلام يقظة وليست منامية . ويصور فيها المسيح — بالخروف المذبوح — وهذا أسلوب قبيح لا يستعمل حتى فى الكلام العادى فما بالك بالأنبياء والرسل[2] . . وإن تعجب فعجب قولهم هذا وقولهم أن المسيح إله وابن إله وثالث ثلاثة :

يقول القس حبيب سعيد : الذى تناول العهد الجديد بالفحص والدراسة: « إن كانت أولى الوثائق المسيحية كتبت بعد حياة المسيح — ويشير

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس ص٢٢٨ .

(٢) يراجع الاصحاح الثانى عشر من هذه الرؤيا

بذلك إلى انجيل مرقص — الذى كتب سنة ٦٥ ب . م . فكيف تستوثق بأنها مدونات تاريخية صحيحة — ثم إن أكثر هذه الوثائق كتبها أشخاص غير التلاميذ الأصليين الذين عاشوا مع المسيح — يقصد بذلك الحواريين — فبولس لم ير المسيح بالجسد ، فكيف إذا نضع ثقتنا فى وثائق العهد الجديد ، وكيف نركن إلى مجرد ذكريات إختزنها الأولون فى عقولهم ؟ ثم يقول القس : إننا اليوم ندون تقاريرنا ومذكراتنا بطرق شتى ولكن فى القرن الأول لم يكن لدى العالم غير الأصوات البشرية لتدوين الوقائع التاريخية ، فكيف قام الأولون بتدوين هذه الوقائع ؟؟[1]

وبشهادة القوم على أنفسهم ندرك قيمة هذه الأسفار التى اعتبروها مقدسة لديهم إنهم أنفسهم لايتحققون من مدى صحتها . بل إن القس نفسه يعترف بأنها كتبت بعد زمن المسيح وأن البعض منها قد ألف على نمط القصص التى تحكى حياة المسيح فيقول :

« إن الاستهلال الذى قدم به لوقا بشارته (انجيله) يصلح أن يكون مقدمة لدراسة أصول البشائر — يعنى الأناجيل » لأنه بمثابة دليل داخلى من البشائر ذاتها وهذا الاستهلال هو أقدم ما لدينا من بيانات فى هذا الموضوع ويلقى نورا على المصادر التى استعان بها هذا المؤلف وعلى أسلوبه فى التدوين والكتابة وإليك نص الاستهلال[2] .

« إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء .. رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتمعن أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس من ذلك : أن كتابا عديدين قد حاولوا تدوين قصص معين عن يسوع المسيح » .   انجيل لوقا الإصحاح الأول

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢١٠ وما بعدها .

(٢) المدخل إلى الكتب المقدس ص ٢١٣ .

ثم يقول القس حبيب سعيد : ولسنا نعرف متى شرع فى هـــذه المجموعات المكتوبة ولا كيف كتبت ، لأنه لم يبق شيء من تلك المجموعات الأولى عن أقوال يسوع وفعاله على الأقل فى وضع معين .

ويسوع نفسه لم يكتب شيئا ، ولا فكر أتباعه فى تدوين قصة مكتوبة عن سيدهم وتسليمها للأجيال اللاحقة ، ونظرا لعدم وجود أدلة مباشرة تسترشد بها من هذه الناحية فإننا مضطرون إلى أن نلجأ إلى الحدس والتخمين[1] .

ثم يقول عن الأناجيل الأربعة : ولا يدعى كتاب البشائر أنفسهم أنهم كانوا تحت إرشاد إلهى فيما كتبوا ، ويبدوا فى الظاهر أنهم كتبوها من تلقاء أنفسهم حسب مقتضيات الظروف[2] .

ويقول أيضا : ويجب التسليم فى غير مواربة أن هناك بعض الفوارق والتناقض أو الاختلاف فى الروايات وقد لوحظت هذه الحالات منذ القرن الثانى واتخذها الهراطقة مادة للنقد والتجريح[3]

ولم يدع أحد العصمة اللفظية والحرفية لروايات الأناجيل فقد كان الكتاب خاضعين للعوامل العقلية والنفسية التى يخضع لها الكتاب عادة فى كل حين[4] .

وأما القس عبد الأحد داود فيقول : « إن هذه السبعة والعشرين سفرا .. لم تدخل فى عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموعة هيئتها بصورة رسمية إلا من القرن الرابع بإقرار مجمع نيقية سنة ٣٢٥ » المجمع المسكونى

(١) السابق صـ ٢١٥ وما بعدها

(٢) السابق ص ٢٢٣

(٣، ٤) السابق ص ٢٢٦، ٢٢٧

الأول ، لذلك لم تكن إحدى هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة قبل التاريخ المذكور ، بل إنه فى مجمع نيقية تم انتخاب الأناجيل الأربعة من أكثر من أربعين أو تسعين انجيلا وتم انتخاب الرسائل الإحدى وعشرين من رسائل لا تعد ولا تحصى وصودق عليها .

وكانت الهيئة التى اجتازت العهد الجديد هى تلك الهيئة التى قالت بألوهية المسيح وكان اختيار كتب العهد الجديد على أساس رفض الكتب المشتملة على تعاليم غير موافقة لعقيدة نيقيه[1] .

العهد الجديد فى نظر النصارى :

استقر رأى النصارى فى القرن الخامس الميلادى على اختيار سبعة وعشرين انجيلا من بين الأناجل التى بلغت أكثر من ٥٠ أو ٧٠ انجيلا عرضت على المجامع المسكونيه مجمعا بعد مجمع وقرروا الاعتماد على هذه الأناجيل واحراق ما عداها وأطلقوا عليها : العهد الجديد لتكون فى مقابل اسفار العهد القديم ، وكلاهما أطلقوا عليه الكتاب المقدس [2] .

يقول القس حبيب سعيد عن تاريخ العهد الجديد وكيفية اختيار أناجيله ورسائله وتاريخه . فقد كتب تحت عنوان (انتخاب البشائر الأربع — تكوين المجموعة القانونية ما يلى :

[إن مجامع الكنيسة تناقشت لتقرير نتائج كان قد فرغ البحث منها وانتهى الوصول إليها وبحسب ما لدينا من أدلة تاريخية كان مجمع قرطاجنه الذى انعقد عام ٣٩٧ ب.م. أول مجمع صدق على المجموعة الكاملة لأسفار

---

(١) الانجيل والصليب ص ١٤ ، ٢١ والمسيحية أحمد شلبى ص ٢٠٥

(٢) الأسفار المقدسة ص ٧٥

العهد الجديد — ولم يصدق — عليها — نهائيا مجمع الكنائس الشرقية إلا فى سنة ٦٩٢ ب. م أى بعد ٣٠٠ ثلاث مائة من مجمع قرطاجنة.

ومن ثم نرى أن تكوين المجموعة القانونية الرسمية لأفكار العهد الجديد كان عملا تدريجيا قامت به الكنيسة الجامعة .. ولم تكن المهمة مقتصرة فقط على جمع الأسفار، بل بحثها وغربلتها ورفض ما لم تثبت صحته[1].

ثم يقول مبينا أن هذه الأناجيل التى يضمها العهد الجديد بين دفتيه لم يأت بها المسيح ولكنها ألفت بعد زمن المسيح ولم يكن الغرض من تأليفها التقديس ولكنها كتبت لسد حاجة الناس إليها بعد رفع المسيح وفقد إنجيله الأصلى.

فيقول: يجب ألا يظن أن أحدا من كتاب العهد الجديد فكر واعيا وهو يكتب أنه يكتب أسفارا مقدسة سيجمعها المسيحيون فى السنوات القبلة ويضمونها فى مستوى أسفار العهد القديم، إن مثل هذه الفكرة لم تخطر لأحد منهم على بال وما كانوا يرضونها لو خطرت، ولم يكتب مؤلفوا الأسفار المعروفة لدينا الآن فى العهد الجديد واضعين الأجيال المقبلة نصب أعينهم، ولكنهم كتبوا أسفارهم لسد الحاجات المحلية العاجلة التى أحس بها أتباع المسيحية الأولون .. أما تكوين مجموعة قانونية رسمية من هذه الأسفار فكان تطورا طبيعيا دعت إليه الحاجة .. وكان منطقيا أن يتجه التفكير إلى تكوين العهد الجديد لتكملة العهد القديم[2].

ثم يقول موضحا أن الكنيسة قد اختارت أناجيل العهد الجديد

---

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٢٨

(٢) السابق ص ٢٣٢

ورفض الكثير من الأناجيل والرسائل التي كانت قد عرضت على المجامع وحرمت قراءتها وعدم تقدميها « فيقول » تحت عنوان : البشائر غير القانونية — ويقصد بالبشائر : الأناجيل — « إن البشائر الأربع لم تكن هي الوحيدة المتداولة بين الأيدي ساعة أن اعترفت بها الكنيسة رسميا وحظيت بالسلطان والسيادة على ما عداها — بل كان هناك غيرها .. من كتابات الآباء الأولين ومن بحوث وكشوف العلماء والباحثين في السنوات اللاحقة وقد سميت تلك البشائر الأبوكريفا ، أي غير القانونية، وقد أطلق هذا العنوان على الكتابات التي لم يكن مصرحا بقراءتها علانية في الكنائس — ثم عد هذه الأناجيل مبينا أن منها ما كان عادلا ومرادفا للأناجيل المعترف بها حيث أنها كتبت في القرن الأول ومنها : بشارة العبرانيين ، وبشارة بطرس التي كتبت في النصف الأول من القرن الثاني ودعاية بطرس وهو كتاب مؤلف مسيحي من أهالي الاسكندرية بل إن القس حبيب سعيد يشير إلى أن من الأناجيل التي لم تعترف بها الكنيسة [أقوال يسوع وكلماته] وهي مخطوطات دقيقة اكتشفت في مصر ويرجع تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي ويشير القس حبيب سعيد إلى أن هذه الأقوال منها رائعة لا تنسب إلا إلى المسيح نفسه وقد نطق بها المسيح فعلا وأشار إلى البعض منها »[1] .

وأشار القس أيضا : إنه بجانب تلك البشائر العادلة هناك بشائر التحول والانتقال ، وأطلق هذا الاسم على بشارتين كتبتا في القرن الثاني الميلادي وبينها وبين بشائر النوع الأول كثير من وجوه الشبه وهذه البشائر كتبت قبل سنة ١٢٠ ب . م

ومن البشائر التي لم تعترف بها الكنيسة (البشائر التكميلية) وهي

---

(١) أنظر المدخل ص ٢٢٧

أناجيل تروى قصة مريم وطفولتها ومولد المسيح وطفولته وسيرة يسوع من المهد إلى الثانية عشرة من عمره وقد كتبت هذه البشائر قبل سنة ١٨٠ ميلادية.

ومن البشائر التى لم تعترف بها الكنيسة أيضا البشائر الضائعة المعادية كما عرفها القس حبيب سعيد ومنها : إنجيل فيلبس كتبه أحد المصريين فى القرن الثانى وأناجيل — متياس — ويرثلماوس — وإنجيل يرنابا [١].

ومن شهادة القوم على أنفسهم يتبين لنا أن الأناجيل التى يشتمل عليها العهد الجديد وعددها سبعة وعشرون (إنجيلا ورسالة) أقرتها المجامع واختارتها من بين أناجيل كثيرة وكان ذلك فى القرن الرابع الميلادى ، أى بعد رفع المسيح بثلاثمائة سنة تقريبا وأن هذه الأناجيل اختارها رجال الكنيسة للحاجة إليها وأنها مؤلفة لم يأت بها المسيح بل إن من ألفها لم يدر بخلده أنها ستكون مقدسة ولكن الكنيسة بعد ضياع الانجيل المنزل على عيسى ورفع المسيح كل ذلك جعلهم فى حاجة إلى مصادر معتمدة لديهم فأسند هذا العمل إلى المجامع المسيحية التى انعقدت لدى النصارى، وكان للمجامع اليد الطولى فى إبراز هذه الأناجيل والاعتماد عليها وإحراق ماعداها وعدم الإعتراف بها .

وبذلك يقول القس (عبد الأحد داود) الذى أسلم بعد ذلك :

«إن هذه السبعة والعشرين سفرا ورسالة (يشيرا إلى العهد الجديد) لم تدخل فى عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموعة هيئتها بصورة رسمية إلا فى القرن الرابع باقرار مجمع نيقيه العام سنة ٣٢٥ م ولم تكن إحدى هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة وجميع العالم العيسوى قبل التاريخ االمذكور ،

---

(١) المدخل ص ٢٣٥ — ٢٤٢ بايجاز

ثم جاء من الجماعات العيسوية فى الأقسام المختلفة من كرة الأرض مايزيد على ألفي مبعوث روحانى ومعهم عشرات الأناجيل ومئات الرسائل إلى نيقية لأجل التدقيق وهناك ثم انتخاب الأناجيل الأربعة من أكثر من أربعين أو خمسين انجيلا ، وثم انتخاب الرسالة الإحدى والعشرين من رسائل لاتعد لاتحصى وصودق عليها وكانت الهيئةالتى اختارت العهد الجديد هى تلك البيئة التى قالت بألوهية المسيح ، وكان اختيار كتب العهد الجديد على أساس رفض الكتب المسيحية المشتملة على تعاليم غير موافقة لعقيدة نيقية وإحراقها (١) .

وهكذا يتبين لنا أن الكنيسه قامت بإجراءات حذف هامة جدا لعدد كبير من الأسفار والرسائل التى كتبت لتعريف الناس بالمسيح وتعاليمه — وكما يقول موريس بوكاى : فإن الكنيسة لم تحتفظ من العهد الجديد إلا بعدد محدود من الكتابات وكان من أهمها الأناجيل الأربعة المعترف بها كنسيا (٢) .

ومن هنا يقول الشيخ رحمة الله الحضرى فى كتابه إظهار الحق : بعدأن عدد أسفار الكتاب المقدس بقسمية القديم والجديد قال : فاعلم (أنه انعقد مجلس لعلماء المسيحية بحكم السلطان قسطنطين فى بلدة (نانس ٣٢٥) نيقية ليتشاوروا فى هذه الكتب المشكوك فيها ويحققوا الأمر فحكم هؤلاء العلماء بعد المشاورة والتحقيق أن كتاب (يهوديت) من العهد القديم واجب التسليم ، وابقوا سائر الكتب المشكوكة كما كانت ثم انعقد بعد ذلك مجلس آخر (بلوديسيا) سنة ٣٦٤ م فأبقى ذلك المجلس حكم المجلس الأول فى (يهوديت) وزادوا عـــلى ذلك سبعة كتب

---

(١) الإنجيل والصليب ص ١٤ ، ٢١

(٢) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ١٤٥

أخرى وجعلوها واجبة التسليم وهى : كتاب أستير من العهد القديم ورسالة يعقوب والرسالة الثانية لبطرس والرسالة الثالثة ليوحنا ورسالة يهوذا ،ورسالة بولس إلى العبرانيين ، وكلها من العهد القديم كان المجمع النيقاوى سنة ٣٢٥ م قدحرمها .(١)

ثم أخذت الكنسية وسارت على هذا المنوال حيث صارت المجامع هى صاحبة السلطة المطلقة فإن كانت قد أقرت العقيدة فما بالك بالتشريعات والمصادر ، يقول موريس بوكاى «وحذت الكنسية حذو مجامع القرن الرابع المسكونية تنشر قائمة بالكتب المقدسة بعد أن صودق عليها من ٣١٨ فقط وهم زعماء ثلث أعضاء المجمع الذين ألهو المسيح (٢)

وقد سارت الكنسيه منذ انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م على هذا المنهج الذى رسخه لها المجمع فى صدق الكتب المقدسة وحرق الكثير منها ليس لها من دليل فى ذلك إلا ماقرره لها المجمع وكلما انقضى مجمع قام مجمع آخر يعارض ويناقض ماقرره المجمع وبمرور الزمن ظهر للنصارى أن هذه الأناجيل لاتفى بما أرادوا أن يضيفوه من معتقدات وتشريعات ومبادىء كغفران الذنوب وعصمة البابا وزواج رجال الإكليروس ، وغير ذلك مما أدخلته الكنسية الكاثوليكية فى عقيدتها وتشريعاتها فانتقلت بذلك السلطة من المجامع إلى [باباروما] الجالس على كرسى البابوية ، وأصبح له الحكم فيما يعود إلى الأحكام والأخلاق وأصبح حكمه قطعيا تجب طاعته لأنه قد وهب العظمة من الروح القدس »(٣) .

وبعد هذا البيان الشافى عن العهد الجديد كله فى نظر النصارى نرى

---

(١) إظهار الحق جـ ١ ص ٣١ ، ٣٢

(٢) دراسة الكتب المقدسة ص ١٧

(٣) الإنجيل والصليب ص ٢٣ والمسيحية (أحمد شلبى) ص ٢٠٧

أن تلقى الضوء على الأناجيل الأربعة بوجه الخصوص وماذاك إلا لأنها الأناجيل التى وافق عليها النصارى جميعاً على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم لنرى مدى تقدسيها لديهم ومدى نسبتها إلى المسيح عليه السلام .

الأناجيل الأربعة

(ا) إنجيل متى : ومؤلفه هو متى الذى كان يهوديا وكتب إنجيله باللغة اليونانية إلى اليهود ليبين لهم أن تراث اليهود قد انتقل إلى المسيحية ولم يكن أحد التلاميذ الأثنا عشر يقول القس حبيب سعيد : إن هذا الأنجيل لم يذكر شيئا من القصص والحوادث التى يرويها شاهد العيان ، بل قد نقل نقلا عن انجيل مرقص . ولو أن الكاتب كان تلميذا للمسيح لروى الكثير مما شاهد وعاين ومما سمع من قصصه الأصليه ، ولكن متى اتخذ مرقص مصدر الإنجيله فضلا عن هذا فقد كتب هذا الإنجيل بعد انقضاء فترة خمسين أو ستين سنة على الحوادث التى يرويها ، وبعيد جدا أن شاهدا من التلاميذ الأولين ينتظر هذه الفترة الطويلة قبل أن يسجل هذه الذكريات .

ومن هنا يتساءل القس فكيف إذا يقترن اسم متى بهذا الإنجيل . ويجيب على هذا بأن متى كان يعمل جابيا للضرائب ولقيه يسوع وقال له أتبعنى فتبعه ثم كتب إنجيله باللغة العبرية .. ثم يقول .. ولسنا ندرى من الذى نقلها إلى اليونانية .. ثم يصل سريعا إلى الحكم على هذا الإنجيل بأنه (شهادة — تلميذين — أصيلين أحدهما بطرس صاحب مذكرات مرقص ، والثانى متى جامع الأقوال التى تفوه بها المسيح [1] ، أرأيت أكثر من هذا التناقض والتضارب مما شهد به القوم على أنفسهم ؟ !

---

(١) المدخل فى الكتاب المقدس صـ ٢٤٣ — ٢٤٥ بإيجاز

وإذا كان القس لا يدرى من الذى كتب هذا الإنجيل ؟ وبأى لغة كتب ومن الذى نقله من لغه إلى لغة .. إلخ .

تلك التساؤلات التى طرحها فلا عجب أن نقول إن النصارى اختلفوا فى هذا الإنجيل : فى سماته . واللغة التى كتب بها ، والمترجم الذى ترجمه والمكان الذى كتب فيه حيث يقول هورن : — أنه ألف عام ٣٧ أو ٣٨ أو ٤١ ، أو ٤٣ أو ٤٨ أو ٦١ أو ٦٣ أو ٦٤ م

وإذا عرفنا بعد ذلك أن متى الذى نسب إليه هـــذا الإنجيل لم يبق فى فلسطين طويلا بعد رفع المسيح بل جال فى بلاد كثيرة يبشر بالمسيحية واستقر بأرض الحبشة حتى مات سنة ٧٠م أو قتل ٦٢ م إذا علمنا كل ذلك فمن الحق أن نقول :

« إن جهل تاريخ التدوين ، وجهل النسخة الأصلية ، وجهل المترجم وحاله من صلاح وغيره . . . كل هـــذا يؤدى إلى نقد حلقات البحث العلمى[١] ، والأخذ بالظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً ولا ينفع الظن فى الأمور التى يطالب التيقن بها خاصة فى مجال الكتب الدينية التى يعتمد عليها القوم .

(ب) انجيل مرقص :

أما إنجيل مرقص : فإنه ينسب إلى أحد اليهود الذين كانوا يسكنون بفلسطين (القدس) ، وأنه كان يسمى (يوحنا) وأنه لم يكن من الحواريين وكان من أبناء (خئولة برنابا) يعنى أن برنابا صاحب الإنجيل — كان

---

(١) انظر محاضرات فى النصرانية ص٤٩ والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ٤٣

خالا لمرقص وقد لزمه مرقص مرات وهو يبشر بالمسيحية كما كان مرقص تلميذا لبطرس .

وعن هذا الإنجيل يقول القس حبيب سعيد : أنه فى سنة ١٤٠ب م. نقل بانياى عن شيخ من شيوخ الكنيسة ما يلى : — « كتب مرقص الذى كان مترجماً لبطرس كل ما تذكره . . ولكنه لم يكتبها فى تسلسل تاريخى ولذلك له هو نفسه لم يسمع ربنا » يقصد المسيح « ولم يكن من أتباعه المقربين ، ولكنه كان تابعاً لبطرس .

وكان بطرس يكيف أقواله وفق الظروف « ليس كمن يروى سيرة متسقة منظمة ولم يكن أمام مرقص إلا هدف واحد : ألا يحذف شيئاً مما سمع على لسان بطرس ، وألا يضيف إليه شيئاً — ثم يقول » . وكان بطرس صياداً جليليا يعنى — من أهل الجليل ، ولم يكن يتقن اللغة اليونانية » .

فكان لزاماً أن يترجمها مرقص إلى اليونانية للسامعين . . وبعد أن مات بطرس لم يكن هناك إنسان أكثر لياقة وكفاية ليكتب كل ماعلم به بطرس . . ثم يقول : بينما الركاكة التى جاءت فى هذا الإنجيل : أنها أى نصوص الإنجيل — إذا قيست بالأدب العالى تبدوا غير فنية ، ولو أن كاتباً آخر كتب مثل هذه العبارات الركيكة لكان عرضة للنقد الفنى « ثم ينهى حديثه عن هذا الإنجيل : قائلا « .. كل هذه لمسات بطرس كأنه وقع عليها بإمضائه فى بشارة مرقص»[1] .

ومن شهادة القوم على أنفسهم تدرك أن هذا الإنجيل إنما كتبه بطرس وأما مرقص فإنه هو الذى ترجمه وفى ذلك يقول ابن الطريق «

(١) المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٢٤٨ — ٢٥٠

«وفى عصر نيرون كتب بطرس رئيس الحواريين إنجيل مرقص عن مرقص فى مدينة رومية، نسبه إليه مرقص.» وعلى هذه الرواية يكون بطرس راوى مرقص مع أن الأول رئيس الحواريين كما يزعمون والثانى من التلاميذ.

وهذا أمر عجيب غريب فكيف يروى رئيس الحواريين عن تلميذه هذا الإنجيل ثم ينسبه إلى التلميذ.

ومن هذا السدد التاريخى: نرى الإختلاف بينا فيمن كتب هذا الإنجيل هل هو بطرس أم مرقص؟ وليس لنا إلا ما شهدبه القوم على أنفسهم ثم متى كتب هذا الإنجيل هل سنة ٦٣، ٦٠، ٦٥، ٥٦ ٦١ كل هذه التواريخ ذكرها القوم فى مصادرهم عن هذا الإنجيل وايا كان الأمر فإن مؤلف هذا الإنجيل قد قتل سنة ٦٢ م.

(حـ) أما إنجيل لوقا: فإن مؤلف هذا الإنجيل ليس من الحواريين ولا تلاميذ الحواريين وإنما تتلمذ على يد «بولس» شاءول اليهودى واختلف فى جنسيته فمن قائل أنه كان أنطاكيا، ومن قائل: أنه كان رومانيا — كما أختلف فى عمله فقيل إنه كان طبيبا وقيل إنه كان أديبا فنانا وقيل إنه كان مصورا رائعا وكان رساما وأنه هو الذى رسم «صورة للعذراء المباركة»[1] فى زعمهم. واختلف فى تاريخه فقيل كتب سنه ٥٣ أو ٦٣ أو ٨٤ م.

وكما هو ظاهر فإن هذا الإنجيل اختلف فى شخصية مؤلفه وفى عمله وفى القوم الذين كتب لهم... الخ ولم يتفق النصارى بشأنه إلا أن مؤلفه

---

(١) المدخل ص ٢٥٣ — ٢٥٥

ليس من الحواريين بل هو من تلاميذ بولس وأنه لقب باليونانية[١] .

وهذا الإنجيل أيضا يعلن كاتبه أنه ليس إلا تأليفا من عنده إذ أول إصحاحاته يقول على لسان المؤلف [إذا كان كثيرون قد أخذوا فى تأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا ... رأيت أنا أيضا إذ تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذى علمت به » [لوقا ١ — ٤] .

(د) أما الإنجيل الرابع : فهو إنجيل يوحنا : وهو محل نزاع عند النصارى حيث اختلف النصارى فى مؤلفه اختلافا كبيرا : وما ذاك إلا لأن هذا الإنجيل ذكرت فيه ألوهية المسيح صراحة حيث جاء أول نص فى إصحاحه يقول : « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ، هذا كان فى البدء عند الله كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان » [يوحنا ١ — ١ — ٣] .

ولما كانت عقيدة التأليه والتثليث هى التى صار عليها النصارى من ثم قال جمهورهم إن كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحوارى الذى كان مصاحبا للمسيح وقد أحبه يسوع وهو الذى عمر طويلا فأخرج للعالم المسيحى هذا الإنجيل كما يقول صاحب المدخل إلى الكتاب المقدس[٢] .

وإن كان هو نفسه يرجع ويقول : ويذهب قوم من الشراح إلى أن يوحنا هذا كان أحد زعماء الكنيسة فى أفسس[٣] .

---

(١) المقارنات العلمية والكتابية ص ٤٠

(٢،٣) المدخل ص ٢٦٢

أما دائرة المعارف الفرنسية فنقول عن بعض الأساقفة «إن إنجيل يوحنا بكامله تصنيف طالب من طلاب مدرسة الاسكندرية ، التى كانت تزعم القول بألوهية المسيح»(١) .

وفى دائرة المعارف البريطانية «أما إنجيل يوحنا ، فـــلا شك ولا مراء أنه : كتاب مزور أراد صاحبه مضادة أثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وادعى صاحبه أنه هو الحوارى الذى كان يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ووضعت اسمه على الكتاب مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا»(٢) .

ولقد اختلف النصارى أيضا فى تاريخ تدوينه قبل سنة ٩٥أو ٩٨ — وقبل ٩٦ — وقبل ٦٨ ، ٦٩ ، ٨٩ ، ٩٨ م .

فكما اختلف فى صاحبه ومؤلفه أختلف فى تاريخ تدوينه .

وكما سبق القول فإن الاهتمام بهذا الإنجيل لم يكن إلا لأنه اختص بين الاناجيل الأربعة بذكره ألوهية المسيح صراحة تلك العقيدة التى سار عليها القوم ولم يكن المسيح إلها قبل تدوين هذا الإنجيل — وقد أصبح إلها بعد ذلك .

(١،٢) المقارنات ص ٥٠ ، ٥١ ، ومحاضرات فى النصرانية ص ٥٦

تناقض الأناجيل الأربعة

هذه هى الأناجيل الأربعة التى تعترف بها الكنائس كلها وتقدسها جميع الفرق النصرانية المعاصرة (الأرثوذكس — الكاثوليك — البروتستانت) رغم ما ذكرناه وما سجله التاريخ عن قصة تأليفها وجمعها وكتابتها وترجمتها ورغم كثرة الأناجيل التى انتقى النصارى منها هذه الأناجيل [1] ومما يدل على بشرية هذه الأناجيل وأنها لا ينالها التقديس وتبتعد كل البعد عن الإلهام والوحى :

أنها تتناقض فى الشكل والمضمون :

فأما تناقضها فى الشكل : فهى جميعا غير متفقة لا فى المبدأ ولا فى الختام وأن كل إنجيل يخالف الآخر فى المظهر العام فإنجيل متى يشتمل على (٢٨) إصحاحا وإنجيل مرقص (١٦) إصحاحا ، وإنجيل لوقا (١٤) إصحاحا ، وإنجيل يوحنا (٢١) إصحاحا .

وأما تناقضها فى المضمون فهذا واضح بين ويكفى أن نشير إلى أن هذا التناقض يظهر جيداً فى الموضوع الذى يأتى ذكره فى هذه الأناجيل وعلى سبيل المثال فقد تحدثت الأناجيل الأربعة عن ميلاد المسيح ونسبه فذكر إنجيل متى أن (عيسى من أولاد سليمان بن داود) إذ يقول النص:

---

(١) لقد كان فى العصور الغابرة أناجيل أخرى قد أخذت بها فرق قديمة وراجت عندها ولم تعتنق كل فرقة إلا إنجيلها فعند كل من (مرقيون) وأصحاب(ديصان) إنجيل ولأصحاب ما فى إنجيل ، وهناك إنجيل السبعين وإنجيل التذكرة ، وإنجيل برنابا وإنجيل (سرنتهس) والنصارى ينكرون كل هذه الأناجيل والبعض منها ما زال موجوداً إلى الآن — المقارنات العلمية ص ٣٧ .

(كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود) وذكر هذا الإنجيل أن من داود إلى يسوع ستة وعشرون جيلا أما لوقا فذكر أنه من أولاد ناثان وبين داود والمسيح واحد وأربعون جيلا .

وعلى ذلك يقول الشيخ رحمة الله الهندى : ولما كان بين داود والمسيح مدة ألف سنة فعلى الأول يكون فى مقابلة كل جيل أربعون سنة وعلى الثانى خمسة وعشرون ، ولما كان الاختلاف بينهما ظاهراً اعترف المحققون منهم مثل (اكهارن ، وكيسر ، وهيس ... الخ) . وغيرهم بأنهما مختلفان اختلافا معنويا ، وهذا حق وعين الإنصاف لأن الاختلافات فى الأناجيل كثيرة حيث لم يقف الاختلاف عند نسب المسيح فقط[١] .

ويمضى الشيخ رحمة الله الهندى فى ذكر تناقض الأناجيل الأربعة قائلا : ان من قابل الباب الثانى من إنجيل متى بالباب الثانى من إنجيل لوقا وجد اختلافا عظيما بحيث يجزم أنه لا يمكن أن يكون كل منهما إلهاميا إذ النص فى متى يفهم منه أن أبوى المسيح بعد ولادته كانا يقيمان فى بيت لحم مدة تقرب من عامين وجاء المجوس هناك ثم ذهبا إلى مصر وأقاما مدة حياة هيرودس فى مصر ورجعا بعد موته وأقاما فى ناصرة... ويعلم من كلام لوقا أن أبوى المسيح بعد ماتم مدة نفاس مريم ذهبا إلى أورشليم ، وبعد تقديم الذبيحة رجعا إلى ناصرة ، وأقاما فيها وكانا يذهبان منها إلى أورشليم فى أيام العيد من كل سنة وأقام المسيح فى السنة الثانية عشرة بلا اطلاع الابوين ثلاثة أيام فى أورشليم ، وعلى كلامه لا سبيل لمجىء المجوس إلى بيت لحم بل لو فرض مجيئهم يكون فى ناصرة لأن مجيئهم بعيد وكذا لا سبيل لذهاب أبويه إلى مصر لأنه صريح أن يوسف لم يسافر قط إلى مصر ولا إلى غيرها[٢] .

---

(١) إظهار الحق جـ ١ ص ١٦١ . (٢) السابق ١٦٦ .

ومن أراد الاطلاع والمزيد من هذه التناقضات فليرجع إلى ماذكره الشيخ رحمة الله الهندى فى كتابه إظهار الحق فقد ذكر كثيراً من تلك التناقضات التى لا تعد ولا تحصى .

وبعد هذه الدراسة التاريخية للأناجيل الأربعة وعرضها على الميزان العلمى يتبين مدى بشريتها وأنها لا يمكن أن تكون إلهام أو وحى وحاشاها أن تكون . وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للأناجيل الأربعة فإن ما بقى من الأناجيل السبعة والعشرين يأخذ نفس الحكم أو يزيد ونكتفى بما ذكره العلماء عن نسبة الأناجيل الأربعة .

جاء فى كتاب الفارق بين المخلوق والخالق : نقلا عن فاستس من علماء القرن الرابع «إن هذا الأمر محقق ، أن هذا العهد الجديد لم يكن يصنفه المسيح ولا الحواريون مطلقا ، بل صنفه رجل مجهول ، ونسبه إلى الحواريين ، ليعتبره الناس ، وآذى المريدين لعيسى إيذاءاً بالغا بأن ألف الكتب التى فيها الأغلاط والتناقضات»[1] .

ويصرح كانت استوى وهو من طائفة الأرثوذكس قائلا : (لاتحسبوا أنى أعتبر هذه الأناجيل الأربعة مقدسة ومعتمداً عليها ، فإن ذلك محض الضلال بوضوح» . ثم يقول : «إن هذه الكتابات الرائجة ليست مقدسة ولا من تعاليم المسيح ، ولم يوح روح القدس إلى الكتاب أى شىء من الإنجيل ، رغم ما تدعيه الكنائس ، وليعلم القراء : أن العهد الجديد إنما ألف بعد أربعمائة سنة للميلاد ، وقد اختلفوا فى كيفية قراءته[2] طيلة العهود الإنجيلية على ٥٠٠٠٠ اختلافا» .

---

(١) الفارق بين المخلوق والخالق ص ٥٣ .

(٢) المقارنات العلمية والكتابية ص ٥٣ .

٦ — الكتاب المقدس فى الميزان

وبعد شهادة القوم على أنفسهم على العهدين : القديم والجديد هل تكون هذه التسمية للكتاب المقدس مقبولة : إن الإجابة لا تكون إلا بالنفى ذلك :

لأن الكتاب المقدس لا يكون إلا الكتاب المطهر عن الإنحراف والتغيير والتبديل : المطهر من النقص والزيادة وهذا الكتاب وهذه الأوصاف والشروط لا تنطبق إلا على كتاب خالد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا عن خلفه [ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين] [١] .

إنه القرآن الكريم الذى من أخص أنه أوصافه : لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين ، ولذلك لما جمع النصارى كتابهم المشار إليه كانت الآيات التى افتتح الله بها القرآن الكريم بعد فاتحة الكتاب هى قوله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وللعالم أجمع : (ألم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين [٢]) فإن جاء النصارى بكتاب وقالوا عنه إنه هو الكتاب المقدس: كان الرد ليس هذا هو الكتاب المقدس ولكن الكتاب المقدس والمطهر هو ذلك الكتاب ولا كتاب غيره .

ثم استطرد القرآن فى إقامة الأدلة على عدم تقديس هذه الكتب الموجودة لدى النصارى وذلك لما سقط منها من النصوص والمتون من ناحية ومن ناحية سندها فالسند المقطوع بين هذه الكتب ومن جاء بها ، وحتى الذين كتبوا لم يكونوا أمناء ولا أكفاء ولامؤمنين بكل ما كتبوا وهاهى آيات الله تنطق بالحق : قال تعالى : أفتطمعون أن يؤمنوا لكم

(١) ، (٢) أول سورة البقرة .

وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » (سورة البقرة ٧٥).

« ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا منهم العـــداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون » (سورة المائدة ١٤).

« يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » (آل عمران ٧١).

« الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » (البقرة ١٤٦).

«وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ولتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون».

(آل عمران ١٨٧)

« وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون هو من عندالله وماهو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » (آل عمران ٧١).

« فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به » (المائدة ١٣).

وفى آية أخرى « يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا » (المائدة ٤١).

ومن جمـــلة هذه الآيات وغيرها فى القرآن الكريم نتبين أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى .

(١) قد حرفوا الكلم عن مواضعه ، وأن هذا التحريف كان

إما بالزيادة ، وإما بالنقصان أو بهما معا ، وأن هذه الزيادة والنقصان تارة تكون قبل الكتابة والتدوين وتارة بعد الكتابة والتدوين .

(ب) أنهم ستروا بعض الحق الذى معهم حتى لا تلزمهم الحجة وستر بعضهم بعض الكتاب ليشتروا به ثمنا قليلا .

(ج) أنهم كتبوا أشياء من قبل أنفسهم وصنعوا ذلك فى كتب نسبوها إلى الله عز وجل لتنال من الناس القبول « وسوف ينبؤهم الله بما كانوا يصنعون » (سورة المائدة ١٤) .

(د) أن البعض منهم خاصة الأحبار والرهبان كانوا يتغنون ببعض من الحق وهو ما عبر به القرآن « باللى » يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب [1] ، فلا يفهمه البعض من الناس فيظن أنه من عند الله ، وبهذا جزم القرآن الكريم بعدم صحة السند للأسفار التى بين دفتى الكتاب المعتمد عند النصارى والذى أطلقوا عليه « الكتاب المقدس » وعدم صحة المتون والنصوص ومن أجل ذلك لا تبقى لهذه الكتب قدسية ولا طهارة .

---

(١) سورة آل عمران [٧٨] .

الفصل التاسع

عقيدة التثليث فى النصرانية

١ ـ الأصل فى التثليث عند النصارى

لم يكن القول بالتثليث وليد عهد بالنصرانية بل إن جذور هذه العقيدة يرجع إلى أقدم العصور التاريخية حيث كان التثليث عقيدة المصريين القدماء والآشوريين والبابليين والفرس والهنود ... وغير هؤلاء من أصحاب الديانات القديمة ممن كانوا قبل اليهود والنصارى .

فالبراهمة فى الهند كانوا يعتقدون بآلهة متعددة وفى القرن الثامن ق.م فكر رجال الدين فى توحيد الآلهة فجمعوا آلهتهم ، فى إله واحد له ثلاثة أقانيم وأطلقوا عليه ثلاثة أسماء براهما ـ إله الخلق ، و « فشنوا » إله الحفظ و « سيفا » إله الموت إنهم ثلاثة أقانيم ولكنهم فى الوقت نفسه واحد وسموا هذا « الثالوث الأقدس » [١] وقد وجد فى بعض الآثار الهندية صنم له رؤس ثلاثة إشارة إلى هذا الثالوث ، ومعروف أيضا أن دين البوذية فى الهند هو التثليث الذى يسمونه الثالوث المقدس وله تمثال بالهند مرموز له برأس إنسان بثلاثة أوجه .

وأما الآشوريون فمعروف أن « عاصمة مملكتهم « نينوا » بها معبد للتثليث وهم قبل المسيح بقرون طويلة يعتقدون بثلاثة أقانيم : أما فى الصين

---

(١) الاديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ٦٢ ، أديان الهند الكبرى ص ٤٨ . أحمد شلبى .

واليابان فيعبدون إلها مثلثا يسمونه « فو » ويقولون هو واحد له ثلاثة أشكال [١] .

وأما أهل بابل فكانوا فى الألف الرابع ق . م . يدينون بتعدد الآلهة ولكنهم نظموا هذه الآلهة أثلاثا وجعلوها جماعات كل مجموعة ثلاثة فكانت المجموعة الأولى على رأس الآلهة وتتكون من العلماء ، وإله السماء ، وإله الأرض ، وإله البحر ، وأما المجموعة الثانية فكانت تتكون من إله القمر وإله الشمس وإله العدالة والتشريع [٢] .

أما المصريون : فيتحدث « زكى شنوده » عن عقيدتهم التى كانوا يؤمنون بها حين دخلت النصرانية مصر . فيقول : كان من معتقدات المصريين مايسمى بثالوث طيبة ويتألف من : آمون « الآب » وموت « الأم » وختسو « الإبن » .

كذلك ثالوث «أبيدوس» ويتألف من أوزوريس الآب — وإيزيس الأم — وحوريس الإبن . وكانوا يعتقدون أنهم وإن كانوا ثلاثة إلا إنهم يعملون معا . وكان كهان ممفيس يعلمون التلاميذ هذه العقيدة الأول خلق الثانى والثانى خلق الثالث ، والثلاثة خلقوا العالم » .

كما كانوا يعتقدون بالإله الأب والإله الإبن : فكان « حور محب » آخر ملوك الأسرة الثانية عشرة هو ابن الإله آمون من عذراء . وإن أبيس كان بتجسد فى مولود عجلة بكر بعد حلول روح تباح فيها [٣] .

وقد اتجهت مدرسة الإسكندرية فى تعليم تلك العقيدة حتى أصبحت

---

(١) وسائل إظهار الحق ص ٨١

(٢) المسيحية ص ١٣١ د أحمد شلبي

(٣) موسوعة تاريخ الأقباط جـ ص ٣٤

بحق — خاصة بعد الفتح الإغريق — مركزا للحياة الدينية ليس فى مصر فقط بل للعالم الهلينى كله وقد أقام بطليموس الأول معبدا عظيما هو معبد السرا بيوم لعبادة الثالوث المكون من «أوزوريس ، وإيزيس ، وحورس ولم يكن الناس يعدونها أربابا مفصلة بل هيآت ثلاث لإله واحد [١] .

وكان الفرس يعبدون إلها مثلث الأقانيم مثل الهنود تماما — وكان اليونان أيضا يقولون : إن الإله مثلث الأقانيم ... وكانوا يقدمون الذبائح للآلهة ويرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات إشارة إلى الثالوث ، ويأخذون البخور من المبخرة بثلاثة أصابع ويعتقدون بأن الحكماء صرحوا بأن كل الأشياء المقدسة يجب أن تكون مثلثة . ولهم اعتناء تام بهذا العدد فى كافة أحوالهم [٢] .

ومن هنا نستطيع أن نقرر أن عقيدة التثليث قد وجدت قبل المسيح عليه السلام بأزمان عديدة بل إن أمر التثليث دار مع الإنسان حتى انطبع فى خياله كما ينطبع الخاتم فى الشمع .

(١) المسيحية ص ١٣٢
(٢) عقائدنا ص ٨٧ وما بعدها

٢ — عقيدة التثليث النصرانية

اتفق النصارى على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم على عقيدة التثليث وجعلوا ذلك نصا صريحا فى أماناتهم التى يطلقون عليها « دستور الإيمان » أو « الأمانة » ، وهذه الأمانة يحافظون عليها ويرتلونها فى صلواتهم وفى كنائسهم ويحملونها على صدورهم وهذه الأمانة كتبت على ثلاث فترات فى أزمنة مختلفة وفى كل مرة يزاد عليها فقد كان النص فى القرن الرابع للميلاد : « نؤمن باله واحد ، ضابط الكل ، مايرى ومالايرى ، ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله حق — مولود غير مخلوق ، مساو للآب فى الجوهر الذى به كان كل شيء . هذا الذى من أجلنا نحن البشر ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ، ومن مريم العذراء تأنس وصلب على عهد بيلاطس النبطى ، وتألم وقبر ، وقام من الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب ، وصعد إلى السماوات وجلس عن يمين أبيه وأيضا يأتى ليدين الأحياء والأموات الذى ليس لملكه انقضاء »[١] .

ثم زيد على هذا النص (وبروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب الذى هو مع الآب والإبن مسجود له وممجد)[٢] .

ثم زيد عليه أيضا « نعظمك يا أم النور الحقيق ، ونمجدك أيتها القديسة والدة الإله لأنك ولدت لنا مخلص العالم أتى وخلص نفوسنا : المجد لك

---

(١) علم اللاهوت مجلدا ص٢٩٥

(٢) تاريخ ابن البطريق ص ١٤٥ ، واللآلىء النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة ص٣٩١ ج١

ياسيدنا وملكنا المسيح فخر الرسل اكليل الشهداء، تهليل الصديقين، ثبات الكنائس. غفران الخطايا المبشر بالثالوث الأقدس، لاهوت واحد نسجد له ونمجده يارب ارحم يارب ارحم آمين »[١].

تلك هى الأمانة التى يحافظون عليها ويرتلونها فى صلواتهم وماذاك إلا لأنها تحيط بأمور العقيدة النصرانية إذ بنظرة متيقنة يتبين لنا أن العقيدة النصرانية تقوم على أساس التثليث إذ الإيمان لا يتم إلا بالإعتقاد بثلاثة آلهة هم: الإله الآب: الإله الإبن الإله الروح القدس وهذه الثلاثة: ثلاثة أقانيم، وثلاثة وجوه، وثلاثة خواص. أحدية فى تثليث وتثليث فى أحدية أى كيان واحـــد فى ثلاثة أقانيم: إله واحد جوهر واحد طبيعة واحدة:

ويعتقدون أن الإله الأول الآب «والد الإله الثانى وهو «الإبن» المسيح وهو المخلص من الخطيئة. وأن الإله الثالث وهو الروح القدس هو الأقنوم الثالث، وهو يصدر — أو ينبثق عن ركنى التثليث الأولين بصورة دائمة — ويعتقدون أن هذه الثلاثة الأقانيم واحد[٢].

---

(١) الكنيسة المتغربة ص ٩٠، تاريخ الأمة القبطة ص ١١٢ ج ٢

(٢) المسيح والتثليث ص ١١٨ الأقنوم مفرد أقانيم — وهى كلمة سريانية يطلقها.

السريان على كل من يتميز عن سواه والأقنوم هو الذات. والأقانيم هم ذات الله الواحدة التى تتكون من الأقانيم الثلاثة: الآب والأبن والروح القدس: فهم ثلاثه ولكنهم واحد فى الجوهر بكل صفاته وخواصه ومميزاته لأنهم ذات الله الواحد [الله ذاته ونوع وحدانية] ص ١٣٢ عوض سمعان

٣ - كيف تولدت عقيدة التثليث

فى النصرانية

لم يكن القول بالتثليث وليد عهد بالنصرانية كما قلنا ولكنه وجد قبل زمن المسيح عليه السلام ، وقد بعث المسيح عليه السلام رسولا إلى إلى بنى إسرائيل وبنوا إسرائيل كما أخبر القرآن الكريم : كانوا قوما لدنا فكثيرا ما عصوا الأنبياء والرسل عليهم السلام وقد أتعبوا نبى الله موسى عليه السلام ولم يذكروا نعم الله عليهم بل كانوا سريعا ماينسون فضل الله عليهم ويجحدون نعمته ولا أدل على ذلك أن الله لما نجاهم من فرعون على يد موسى عليه السلام كان من الواجب أن يتبعوا أمر موسى ولكنهم بمجرد أن عبروا البحر إلى صحراء سيناء ... وجد بنو إسرائيل قوما يعكفون على أصنامهم [قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة](١) .

قال لهم موسى : « إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون](٢) .

ثم إن موسى عليه السلام لما ذهب إلى ميقات ربه ما كان من القوم إلا أن خرجوا عن طاعة نبى الله — هارون — واتخذوا عجلا جسدا له خوار اتخذوه إلها لهم من دون الله ... مما جعل موسى عليه السلام يغضب أشد الغضب عليهم قائلا لهم : « أعجلتم أمر ربكم »(٣) ياقوم : ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم

(٢ ، ١) سورة الأعراف (١٣٨ ، ١٣٩)

(٣) الإعراف (١٥٠)

غضب من ربكم فأخلفتم موعدى [١] ، ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ، [٢] ..

تلك كانت طبيعة بنى إسرائيل مع أنبياء الله ورسله ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » (سورة المائدة (٧٩))

فلما جاء عيسى بالبينات والمعجزات ما آمن به إلا قليل ذلك لأن القوم لما رأوا من معجزات عيسى أنه يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله ما كان منهم إلا أن اعتقدوا أن المسيح أكثر من انسان لذلك اعترى عيسى عليه السلام الشك فى إيمان قومه فسألهم كما قال القرآن الكريم « فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » .
سورة آل عمران (٥٢)

وهذا ماجاء فى أناجيل القوم : حيث قال المسيح لتلاميذه يوما : (وأنتم من تقولون أنى أنا فأجاب بطرس وقال له : أنت المسيح) [٢] .

وهكذا نرى أنه قد وضعت البذور الأولى للتأليه فى حياة المسيح لكنه كبتها ولم يجدها بمقومات الحياة فأخذت فى الإنذواء تترقب الفرصة وتبحث عن متعهد لها . حتى وجدت ذلك بعد رفع المسيح عليه السلام .

حيث كانت الإضطهادات والكوارث التى أدت إلى ضياع دين المسيح عليه السلام وذلك بقتل الكثير ممن آمن بعيسى وبتخفى

---

(١) سورة طه (٨٦ ، ٩٠ ، ٩١)

(٢) انجيل مرقص حـ ٨ ع ٢٩

هؤلاء الحواريين الذين أخذوا يفرون من بلد إلى بلد حتى ضاعت معالم دين عيسى عليه السلام وذلك بانتقاد إنجيله الأصلى وافتقاد عقيدته الصحيحة وضياع كثير من تشريعاته وتعاليمه وفى وسط هذه الظروف دخل كثير من الوثنيين فى النصرانية وكان على رأس هؤلاء بولس الذى كان أنشط اليهود المتنصرين فأخذ يغذى فكرة القول بألوهية المسيح كما سبق بيانه .

عند الحديث «عن بولس» المؤسس الأول للنصرانية ، ثم كانت المجامع المسكونية التى بدأها قسطنطين بمجمع نيقية عام سنه ٣٢٥م الذى أقر ألوهية المسيح ووضع دستور الإيمان التى عرفت بالأمانة — ثم كان المجمع المسكونى الثانى سنة ٣٨١ م الذى قرر ألوهية الروح القدس ثم كان المجمع الثالث سنة ٤٣١ م الذى قرر أن مريم العذراء والدة الله وليست والدة المسيح الإنسان وأن المسيح إله حق وإنسان معروف بطبيعتين إلا أنه متحدد فى الأقنـــوم بمعنى أن فى المسيح طبيعة لاهوتيه وأخرى ناسوتية ولكنهما متحدتان وبعد اتحادهما صارا طبيعة واحدة بدون اختلاط ولاامتزاج — وعلى ذلك فالعذراء تدعى بأنها والدة الاله المسيخ وليست والدة المسيح الإنسان .

ثم كانت المجامع المسكونية الأخرى التى غالت فى المسيح عليه السلام إذا اختلف النصارى اختلافا شديدا فى أمره هل للمسيح طبيعة واحدة أم طبيعيان ، وهل له مشيئة واحده أم مشيئتان وهل له إرادة واحده أم إرادتان .. وهل كل تلك الصفات متحدة أم منفصله .. ثم من أين انبثق الروح القدس هل من الآب فقط أم من الآب والابن معا : إلخ

تلك الإختلافات التى تناولتها المجامع المسكونية بالتفصيل وقد أوضحت ذلك بكتاب المجامع المسيحية فليرجع إليه من شاء .. والخلاصة .. أن عقيدة التثليث لم تولد فى يوم وليلة بل إنها تولدت على دفعات ولم تكن عقيدة رسميه يدين بها النصارى إلا بعد رفع المسيح عليه السلام بثلاثة

قرون وبالتحديد عام ٣٢٥ م . بعد أن قرر مجمع نيقية ألوهية المسيح عليه السلام .. ثم توالت بعد ذلك قرارات المجامع حتى اكتمل عقد التثليث عام ٤٣١م بانعقاد المجمع الثالث المسكونى[١]

ثم كانت المجامع المسكونية التى عقدت من أجل البحث فى العقيدة النصرانية بأمر أباطرة الدولة الرومانية الذين كانوا يتملكون ويتحكمون فى أصحاب الملة النصرانية ومن ثم تولدت عقيدة التثليث فى النصرانيه ولم يستطع النصارى أنفسهم أن يتعقلوا هذه العقيدة ولكن اختلفوا فيها اختلافا بينا كما قال القرآن الكريم فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا »[٢] وكما قال تعالى « فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة وسوف ينبؤهم الله الله بما كانوا يصنعون »[٣] .

---

(١) يراجع فى ذلك المجامع المسحية وأثرها فى النصرانية للمؤلف

(٢) سورة مريم ٣٦، ٣٧ (٣) سورة المائدة ١٤

٤ — إبطال عقيدة التثليث

١ — الأدلة العقلية :

والرد على هذه العقيدة من وجوه :

أولا : إن هذه العقيدة لا توافق العقل ولا يستطيع أى عاقل أن يستوعبها فضلا عن أن يؤمن بها ويتخذها عقيدة : إذ العقل يقول أن ١ × ٣ = ٣ ، وأن : ٣ × ١ = ٣ : أما ما يعتقد به القوم فهو مخالف لذلك تماما إذ أن أمانتهم تقول أن ١ × ٣ = ١ ، ٣ × ١ = ١ وهذا لم يقل به العقل ولا يقبله لا قديما ولا حديثا : وكيف يقبل العقل أن الثلاثة تكون واحدا . خاصة إذا كان هؤلاء الثلاثة قد وجدوا على دفعات وعلى فترات متفاوتة ومختلفة .

وبالعقل والمنطق نرى أن النصارى يعتقدون أن واحدا من هؤلاء الثلاثة وهو الإبن قد صلب فإذا كان قد صلب فالعقل يقول إنه ساعة الصلب وبعده يكون هناك إلهين لم يقع عليهما الصلب وليس ثلاثه ، وإذا كان الثلاثة . فى اتحاد دائم لا ينفكون عنه إذا فساعة أن صلب المسيح فإن الصلب يقع على الآلهة الثلاثة وليس على واحد فقط وذلك من أجل الاتحاد وإذا كان الثلاثة قد وقع الصلب عليهم إذا فبطل أن يكونوا آلهة وبذلك تبطل هذه العقيدة ولا يصح الإيمان بها وإلا فكيف يعبد الإنسان إلها قد صلبه بنفسه .

ومن هنا ساق الشيخ رحمة الله الهندى فى كتابه «إظهار الحق» الكثير من الأدلة العقلية التى تبين إبطال عقيد التثليث وكان آخر هذه الأدلة :

أن فرقة من النصارى وهى البروتستانت أنكرت على الكاثوليك اعتقادهم باستحالة الخبز إلى المسيح فى العشاء الربانى وأن أهل التثليث قد ضلوا ضلالا بعيداً حيث لا يميزون بين الجوهر اللاهوتى والناسوتى ومن ذلك أن ثلاثة من النصارى جلسوا إلى القسيس الذى علمهم أمور عقيدتهم وكانوا من أصحابه فلما انتهى من تعليمه لهم سأل واحداً منهم عن عقيدة التثليث : فقال له : إنك علمتنى أن الآلهة ثلاثة أحدهم الذى فى السماء والثانى تولد من بطن مريم العذراء والثالث الذى نزل فى صورة الحمام على الإله الثانى بعدما صار ابن ثلاثين سنة ، فغضب القسيس وطرده ، ثم طلب الآخر وسأله فقال : إنك علمتنى أن الآلهة كانوا ثلاثة وصلب واحد منهم فالباقى اثنان ، فغضب عليه القسيس أيضاً وطرده .

ثم طلب الثالث وكان ذكياً وحريصاً على حفظ العقائد فسأله فقال له : حفظت ما علمتنى حفظاً جيداً وفهمت فهما كاملا بفضل الرب المسيح أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحدا وصلب واحد منهم ومات فمات الكل لأجل الاتحاد ، ولا إله الآن ، وإلا يلزم نفى الإتحاد[1] .

ثانياً: وفوق أن عقيدة التثليث لايقبلها العقل والمنطق : فإنا نقول لهؤلاء المثلثين من أين جئتم بهذه العقيدة : هل أمركم المسيح بها أم أن ذلك التثليث قد وردت نصوصه فى المصادر المعتمدة لديكم ؟؟

وكما تقدم فالمسيح عليه السلام لم يدع إلا إلى التوحيد المطلق لله رب العالمين وحاشاه أن يقول على الله الكذب بل إنه أعلن براءته مما عليه القوم كما أخبر بذلك القرآن الكريم وإذا كان الكتاب المقدس الذى بين

(١) إظهار الحق جـ ١ ص ٤٩٠

أيديكم تعدونه مصدرا من مصادركم فإن هذا الكتاب باعتراف القسلوسة «لا يوجد به لفظ التثليث ولا الأقنوم بل يقول القس بطرس ديناسيوس «إنه يوجد شعور غريزى فى الإنسان بوجود الإله الحقيق [1] » [2] .
بل إن نصوص الكتاب المقدس تناقض التثليث بالكلية .

ومن هذه النصوص : ماجاء فى إنجيل يوحنا «أن الحياة الأبدية معرفة الله بالوحدانية وأن المسيح رسوله » يوحنا « ١٧ — ٣ »

وفى انجيل مرقص يقرن المسيح — : أول الوصايا : أن الرب إلهنا رب واحد فأجيب الرب إلهك من كل قلبك ونفسك ... إلخ .
مرقص (١٢ — ٢٩)

وفى متى يقول المسيح : « ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله »
(متى ١٩ : ١٦ — ١٩)

ثالثا : إن عقيدة التثليث التى وردت فى « دستور الأمانة » قد جمعت من أشلاء مختلفة حيث جمعت نصوصها وانتزعت كل كلمة منها انتزاعا من نصوص الأناجيل حتى يتم لأرباب التثليث ما أرادوا .. ومن ناحية أخرى فإن هذه الأمانة قد تولدت كما قلنا على دفعات ثلاث أولها كان سنة ٣٢٥ م حيث تمخض جزء منها عن مجمع نيقية الذى ترأسه قسطنطين ثم كان الجمع المسكونى الثانى مجمع القسطنطينية عام سنة ٣٨١ م وتمخض

---

(١) إن كلمة التثليث أو الثالوث : لم ترد فى الكتاب المقدس مطلقا بل إن الذى وضعها هو اثناسيوس فى عقيدة الإيمان النيقاوى سنة ٣٢٥ قاموس الكتاب المقدس .

(٢) الجوهر الفريد فى رد التثليث وتأييد التوحيد : وهو كتاب يرد فيه المؤلف على القس بطرس ديناسيوس ويرد على كتابه القول الصريح فى تثليث الأقانيم وتجسد المسيح ص ٥

عن هذا المجمع أيضا جزء من هذه الأمانة ثم تمخض الجزء الأخير منها فى مجمع أفسس الأول : الثالث المسكونى سنة ٤٣١ م . أى أن الأمانة هذه تولدت فى أكثر من مائة عام وكان ذلك فى القرنين الثالث والرابع .

ومعنى ذلك أنها لم تكن موجودة أصلا فى زمن المسيح إلى حين ولادة الجزء الأول منها سنة ٣٢٥ م فكيف تسمى بالأمانة وهى أصلا ليست من تعاليم عيسى عليه السلام .

رابعا : وإذا كان الإعتراف سيد الأدلة . فقد اعترف كثير من آباء الكنيسة القدماء منهم والمحدثون بأن الله لا يوجد فى هيئة جسديه ولا تقبل طبيعته أى اتصال مباشر « اتحاد » بأى شىء آخر ..

يقول : أوريجانوس من أشهر آباء الكنيسة فى القرن الثالث الميلادى يجب أن لا نتصور أن الله ذو مادة أولية يوجد فى هيئة جسدية . ولا تقبل طبيعته أى أتصال مباشر بأى شىء آخر ، لذلك لا يمكن أن نعتقد بأنه ينطوى على شىء أعظم أو أدنى ، بل يجب أن نحسبه واحدا فى كل حالة بل الحق أنه الوحدة نفسها ، وأنه المصدر لكل الخلائق (٢)

وأما القس « عوض سمعان » فقد كتب كتابا بعنوان الله ذاته ونوع وحدانية ، نقض فيه عقيدة التثليث بالكلية وعرض الأدلة العقلية والنقلية على ذلك قائلا :

« لو فرضنا أن هناك إلهين « مثلا » لكان كل منهما متحيزا بمكان وبما أن التحيز بمكان لا يكون أزليا بل حادثا إذا فلا يمكن أن يكون

---

(١) يرجع المجامع المسيحية واثرها فى النصرانية .. للمؤلف عند الحديث عن الأمانة .

(٢) رواد الفكر المسيحى ص ٩٠

أى منهما هو الله لأن الله لايتحيز بحيز ، وإذا كان الأمر كذلك فلا يمكن أن يكون هناك إلا إله واحد غير متحيز بمكان وهذا لاإله هو الله .. ثم يقول : أيضا ولو فرضنا أن هناك إلهين لكان إما قد اتفقا على خلق العالم أو اختلفا ، فإن كانا قد اتفقا على أن يقوما معا بهذه المهمة لكانت سلطة كل منهما محدودة ... وهـــذا مايتعارض مع الألوهية لأن من مستلزمات الألوهية الاستقلال بالعمل وعدم التقيد فى السلطان ، أما إذا كانا قد اختلفا ، لما كانت هناك وحدة أو انسجام فى العالم ومن ثم ليس من المعقول أن يكون هناك إلا إله واحد وهو الله ثم يقول .. أيضا .. « إن الله لانهائى واللانهائى لايوجد قبله ، كما لايوجد بعده أومعه ومن ثم لا يكون هناك إله قبله أو بعده أو معه »[1] .

ثم ساق نصوصا كثيرة من نصوص الكتاب المقدس الدالة على التوحيد والتى تناقض التثليث ... منها ... « أنا الأول والآخر ، ولا إله غيرى أشعياء (٤٤ : ٦) وقال الله أيضا « أنا هو وليس إله معى » تثنية ٣٢ : ٢٩) ... إلخ ما قال :

٢ ــ الأدلة النقلية :

وإذا كانت تلك شهادة القوم على أنفسهم فليس لنا أن نقول إلا كما أخبرنا القرآن الكريم : يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ... اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون . سورة التوبة (٣٠ ، ٣١)

(١) الله ذاته ونوع وحدانية ص ٣٢ وما بعدها بإيجاز

ومن هنا كانت آيات الله فى القرآن الكريم آيات متتاليات من سورة المائدة ترد على هذا الصنيع ومافعله القوم بدين عيسى عليه السلام.

« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ...... »
الآية من سورة المائدة

لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة
الآية من سورة المائدة

ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل
الآية من سورة المائدة

يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ...
الآية من سورة المائدة (٧٢ — ٧٧)

وهذا هو إعلان البراءة من هذا التثليث يأتى على لسان عيسى عليه السلام يوم يجمع الله الرسل فيقول الله لعيسى : أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله فما يكون الجواب من عيسى إلا كما أخبر القرآن الكريم « ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدو الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد ».

سورة المائدة (١١٧)

الفصل العاشر

المجامع المسيحية وعقيدة التثليث

المجامع هي هيئات شورية في الكنيسة رسم الرسل نظامها. إذ عقدوا المجمع الأول في أورشليم سنة إحدى وخمسين حيث أحلهم «بولس» من الختان وأحل لهم لحم الخنزير بأمر من أسقف الكنيسة بطرس الرسول — كما يسمونه. ومن ثم نسجت الكنيسة بعد ذلك على منوالهم[1].

وهذا المجمع له أهمية خاصة عند النصارى، فهو أساس المجامع التي رسم الرسل نظامها وهو الذي أقيمت على منواله المجامع الأخرى، وهو المجمع الوحيد الذي ورد ذكره في الكتاب المقدس، وفي هذا المجمع بدأ بولس بالتحريف والتغيير والتبديل حيث أحل النصارى من الختان الذي كان شريعة موسى وعيسى عليهما السلام، وعلى منواله كان التغيير والتبديل في أمور العقيدة على يد المجامع المسكونية الكبرى.

فالمجامع عند النصارى قسمان:

١ — مجامع مكانية — أو محلية.. وهي التي كانت الكنائس ولا تزال تعقدها في حيزها الخاص لإقرار عقائد معينة أو رفضها أو النظر في بعض الشئون الخاصة.. وهي قسمان: (أ) مجامع إقليمية، (ب) مجامع ملية وقد بلغت هذه المجامع من الكثرة ما فاق العد والحصر.

٢ — والقسم الثاني من المجامع: المجامع المسكونية: أو العامة: وهي

---

(١) موسوعة تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٧٠ «زكي شنوده».

تضم ممثلين من كافة الهيئات والعناصر المسيحية : حيث يجتمع فيها جميع أساقفة الكنائس المسيحية فى كل أنحاء المعمورة ، ليفحصوا مسائل الكنيسة مشتركين . وتختص هذه المجامع بالفحص فى المسائل المتعلقة بالإيمان يعنى العقيدة .

ومن هنا كانت هذه المجامع من الأهمية بمكان لأنها هى التى قررت عقيدة التثليث تلك العقيدة التى أقرتها المجامع بأمر الأباطرة الرومان الوثنيين وقد بلغت هذه المجامع عند النصارى حتى عام ١٨٦٩ م عشرين مجمعاً بدأت بمجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥ م .

هذا المجمع الذى قرر ألوهية المسيح عليه السلام بأمر قسطنطين الحاكم الرومانى الوثنى .

وهذه المجامع المسكونية كما يقول : القمص كيراس الأنطونى ينبغى أن تتوفر فيها الشروط الآتية :

(ا) أن تنعقد بسبب دعوة أو انشقاق .

(ب) أن تنعقد بسبب دعوة من الامبراطور .

(ج) أن يحضرها غالبية أساقفة الكنيسة شرقا وغربا .

(د) أن تقرر شيئاً لم يكن مقرراً من قبل .

ثم يعلق على تلك الشروط قائلا :— وعلى ضوء هذه الشروط نستطيع أن نقول إن جميع المجامع التى انعقدت فى الثلاثة قرون الأولى لا تسمى مجامع مسكونية بل تعتبر مجامع مكانية [1] .

وعلى ضوء الشروط التى ذكرها القمص الأنطوانى لانعقاد المجمع

---

(١) عصر المجامع ص ٢٠ .

المسكونى ودراسة المجامع عامة يتضح لنا أن هناك فروقا بين المجامع المسكونية والمجامع المحلية وهذه الفروق تتلخص فيما يلى :

١ — المجامع المكانية : كانت مجامع دينية صرفة ، بخلاف المجامع المسكونية فكانت سياسية أكثر منها دينية .

٢ — المجامع المكانية كانت تعقد بأمر الأساقفة — أى رجال الدين — بخلاف المجامع المسكونية فكانت لا تعقد إلا بأمر الامبراطور رجل الدولة السياسى .

٣ — المجامع المكانية ليس لها وقت معين بل تعقد فى أى وقت .. بخلاف المسكونية فيحدد وقتها ومكانها الامبراطور .

٤ — المجامع المكانية ليس لها سلطة البت فى أمر معين ، وليست قراراتها ملزمة ، ولا يعاقب مخالفها من الامبراطور .

أما المجامع المسكونية ، فلها السلطة العليا فى اتخاذ القرارات ، وسلطانها أقوى من كلمة الدين ، وقراراتها ملزمة للجميع ويعاقب مخالفها — بالطرد والحرمان — وأحياناً بالتشريد والقتل .

٥ — المجامع المكانية : كان البحث فيها يدور حول بعض المسائل الفرعية والشرعية من الدين أما المجامع المسكونية فكان البحث والجدل فيها يدور حول أصول العقيدة [1] .

ومن هنا ضاع أثر الكنيسة ورجال الدين فى الدولة ، واصبح تحت رأى الامبراطور الذى كان وثنيا فى غالب الأمر .. يصرفهم فى أمور

---

(١) رسالتنا للدكتوراه ص ١٠٣ .

الدين كيفما شاء ، وحسبما اتفق يقول كرستوفر دوش فى النظام الذى سادت عليه المجامع المسكونية من عهد قسطنطين وما بعده ، مبينا صحة هذه الفروق .

« كان الجهاز الأساسى فى السياسة الدينية التى سار عليها قسطنطين وأخلافه هو المجمع الدينى العام — المسكونى — ولم يكن ذلك المجمع منظمة دينية صرفه ، مثل المجامع الإقليمية السابقة .. بل يدين بوجوده للسلطة الإمبراطورية ، لأن الإمبراطور أحتفظ لنفسه بحق الدعوة لذلك المجمع العام ، وهو الذي يقرر بنفسه جدول المسائل التى يناقشها المجمع ويصادق على قراراته بالموافقة الإمبراطورية [1] .

وكتب « هارناك » قائلا عن هذه المجامع :

« إنها كانت فى جميع الأحوال تنظيما سياسيا إبتكره أكبر رجال السياسة فى عصرهم ، وكان هذا التنظيم سلاحا ذو حدين ، يحمى وحدة الكنيسة المعرضة للخطر ويحد فى نفس الوقت من إستغلالها ، ومن هنا أصبح المجمع العام أداة للسيطرة الإمبراطورية على الكنيسة .. وان هذه المجامع المسكونية سارت على نهج مجلس السناتو الرومانى القديم [2] .. أى ليس لها أصل فى المسيحية الحقيقية التى جاء بها المسيح عليه السلام .

« ولقد جاءت المجامع المسكونية لتكمل الحلقة التى بدأها بولس ، لتغيير وجه المسيحية الأصلية ، فاذا كان بولس هو الذى وضع أساس الدين الذى يسمى بالدين المسيحى ، فان المجامع المسيحية هى التى أكملت الحلقة فى تثبيت الوجه الثانى أو الجديد فى المسيحية [1] ، وهى التى رسمت المسوح والتقاليد الكنسية القائمة فى الكنائس ، أو بعضها الكثير

---

(١) تكوين أوربا ص ٤٥ (٢) السابق ص ٤٦

إلى الآن ، وهى التى فلحت الأرض لتبذر بذور هذه المسيحية التى سادت أفكار المسيحية فى الأجيال من بعد[٢]، وكان المعول الأول لهذه المجامع المسكونية هو مجمع نيقية الأول الذى أمر بعقده قسطنطين، بانى القسطنطينية والنصرانية معا وحاميها .

« بيان المجامع المسكونية وعددها » :

تدل الإحصائيات التى أجريت لمعرفة عدد المجامع المسكونية التى انعقدت منذ القرن الأول الميلادى إلى عام ١٨٦٩ م إلى أن هذه المجامع تساوى عشرين مجمعا ، وهذا الإحصاء كما ذكر مؤرخوا أوربا العصور الوسطى مع الاختلاف والإنكار لعمومية بعضها أو لصحة قراراتها[٣].

وهذه المجامع المسكونية منها ما أنعقد قبل الانشقاق الكنسى وانقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية : أو أورثوذكسية ، وكاثوليكية .. ومنها ماأنعقد بعد هذا الانشقاق الذى تم نهائيا عام ١٠٥٤ م . واليك بيانها :

أولا : المجامع المسكونية قبل الإنشاق :

١ — مجمع نيقية الأول عام ٣٢٥ م .

٢ — مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ م .

٣ — مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ م .

٤ — مجمع خليقدونية سنة ٤٥١ م .

(١) ياأهل الكتاب تعالوا ص ٢٠٩

(٢) محاضرات فى النصرانية ص ١٣٨

(٣) أوربا العصور الوسطى « عاشور » ج ٢ ص ١١ ومابعدها ، والرسالة ص ١٠٥

٥ — مجمع القسطنطينية الثانى عام ٥٥٣ م .

٦ — مجمع القسطنطينية الثالث سنة ٦٨٠ م .

٧ — مجمع نيقيه الثانى سنة ٧٨٧ م .

٨ — مجمع القسطنطينية الرابع سنة ٨٦٩ م .

ثانيا : المجامع المسكونية بعد الإنشقاق :

١ — مجمع اللاتران الأول سنة ١١٢٣ م .

٢ — مجمع اللاتران الثانى سنة ١١٣٩ م .

٣ — مجمع اللاتران الثالث سنة ١١٧٩ م .

٤ — مجمع اللاتران الرابع سنة ١٢١٥ م .

٥ — مجمع ليون الأول سنة ١٢٧٤ م .

٦ — مجمع ليون الثانى سنة ١٢٧٤ م .

٧ — مجمع فينا سنة سنة ١٣١١ م .

٨ — مجمع كونستانس سنة ١٤١٤ — ١٤١٨ م .

٩ — مجمع بازل سنة ١٤٣١ م .

١٠ — مجمع فرارا وفلورانسا سنة ١٤٣٨ — ١٤٤٢ م .

١٢ — مجمع ترنت سنة ١٥٤٥ — ١٥٦٣ م .

١٢ — مجمع الفاتيكان بروما سنة ١٨٦٩ — ١٨٧٠ م [١] .

ولست بصدد الحديث مفصلا عن هذه المجامع فقد كان هذا موضوع

(١) انظر المجامع المسيحية وأثرها فى النصرانية للمؤلف .

رسالتى للدكتوراه ، وقد أثبت فيها أن هذه المجامع باعتراف القوم على أنفسهم « كانت أداة هدم فى المسيحية ولم تكن أداة بناء لها حيث بدلت دين المسيح وغيرته من التوحيد إلى التثليث ، وأن هذه المجامع كانت سببا فى ظهور المذاهب والكنائس المختلفة . فقد انشقت الكنائس واختلفت بعضها على بعض .. إذ لم يكد المجمع الرابع المسكونى ينفض حتى ظهرت كنيسة الأقباط بمذهبهم وانشقت عن الكنيسة الأرثوذكسية وخرجت معها المذاهب الحبشية والأرمنية والسريانية ، وهكذا تولدت المذاهب الجديدة واعتقد كل أن مذهبه هو الصحيح ، وكفر المخالف له وأنكر عليه عقيدته . . ثم ظهرت الكنيسة الكاثوليكية وانشقت عن الأرثوذكسية على أثر اختلاف النصارى فى الروح القدس . . وهل هو منبثق من الآب أو الابن أو منهما معا ... . ثم تولدت الكنيسة البروتستانية بعد ذلك خاصة بعد أن اشتطت البابوية فى تعاليمها ... فظهر مارتن لوثر بحركته « الاصلاحية للكنيسة » ودعوته الناس لتعاليم الإنجيل . . ليصبح فى العالم النصرانى ثلاثة مذاهب فى العقيدة ، الأرثوذكسية ، الكاثوليكية ، البروتستانتية .

وبينت أن أخطر هذه المجامع وأهمها هى المجامع الأربعة الأولى ، وإن كانت أكثر الكنائس لا تعتد بمجمع خليقدونيه المنعقد سنة ٤٥١م . كما يقول القمص كيرلس الأنطونى » ولسنا نجد فى تاريخ الكنيسة من المجامع التى تنطبق عليها شروط المجمع المسكونى — سوى ثلاثة فقط تطلق عليها المسكونية وهى :

مجمع نيقيه الأول الذى انعقد لظهور بدعة أريوس ، ومجمع القسطنطينية الأول الذى انعقد عام ٣٨١م . لدحض بدعة مقدنيوس ، ومجمع أفسس الأول الذى انعقد عام ٤٣١ لظهور بدعة نسطور ، ولقد اعترفت كافة الكنائس شرقا وغربا بهذه المجامع الثلاثة وتمسكت بقانون الإيمان — أو الدستور — الذى صدر عن هذه المجامع ، كما نفذت قراراتها وقوانينها .

عاشرا : الرد على عقيدة التثليث :

وإذا نظرنا إلى تلك المجامع الثلاث التى اعترفت بها جميع الكنائس ونفذت قراراتها نجد أن هذه المجامع هى التى تولدت منها عقيدة التثليث ، وهى التى أقرت تلك العقيدة على مراحل، وألزم الأباطرة الناس بالاعتقاد بتلك العقيدة وإبطال ماعداها ، وكان قانون الإيمان . . أو الدستور : كما يسميه النصارى . هو وليد تلك المجامع أيضاً : فوضع المجمع الأول الجزء الأوسط منه والمجمع الثانى : مؤخرته ، والمجمع الثالث مقدمته .

وقرارات هذه المجامع وعقيدتها هى التى جاء الرد عليها من القرآن الكريم وأبطل تلك العقيدة المثلثة التى تولدت من هذه المجامع . .

وإذا نظرنا إلى آيات سورة المائدة نجد أن القرآن الكريم يرد على تلك المجامع وقراراتها واحدا بعد الآخر ، فى آيات متتاليات[1] .

١ - فاذا كان المجمع الأول المنعقد فى نيقيه عام ٣٢٥م .قد قرر الوهية المسيح ردا على آريوس الذى كان يقول ويعتقد أن المسيح إنسان مخلوق مصنوع .

فتأتى آيات القرآن الكريم لترد على هؤلاء الذين ألهوا المسيح بأمر قسطنطين : .

قال تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم . ومع هذا يبين القرآن الكريم دعوة المسيح الأصلية وأنه عليه السلام مادعا قومه الا الى التوحيد المطلق لله رب العالمين ، وأنه مع بيان هذا التوحيد لبنى إسرائيل حذرهم من الشرك وبين لهم عاقبته وجزاءه قال تعالى «وقال المسيح

---

(١) الآيات من سورة المائدة / ٧٢ - ٨٠ .

يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وماللظالمين من أنصار » سورة المائدة (٧٢)

٢ — وإذا كان المجمع الثانى — المنعقد فى أفسس عام ٤٣١ م والذى انعقد لدحض بدعة مقدنيوس : الذى رد على المجمع الأول المسكونى ، وقال إن هذا المجمع لم ينظر فى الروح القدس ، ولم يبين لنا أنه إله أو غيره ، وأخذ يدعو إلى اعتقاده فى الروح القدس ، وأنه ليس بإله قط.

فاجتمع من أجله المجمع . ، وأقر المجمع عقيدة التثليث حيث أقر المجمع بأن الروح القدس إله بجانب ألوهية المسيح ، وألوهية الآب ، ولذا ألزم المجمع جميع النصارى بالقول بآلهة ثلاثة: الآب والابن والروح القدس ، وقالوا فى أمانتهم : « نومن بالآب ، والابن ، والروح القدس ، أحديه فى تثليث . وتثليث فى أحديه »

لذلك تأتى الآية الثانية بعد الأولى التى ردت على مجمع نيقية لترد على تلك العقيدة التى تولدت من مجمع أفسس ٤٣١ م .. لترد على عقيدة التثليث من ناحية ولتبين للبشرية أن الإله لابد وأن يكون واحدا . . وتنذر من ناحية أخرى هؤلاء المثلثين . . الذين اتخذوا من دون الله آلهة أخرى قال تعالى :

« لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة . ومامن إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم ،أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم » سورة المائدة (٧٣ ، ٧٤)

٣ — ولما اختلف النصارى بعد ذلك فى أمر المسيح عليه السلام — وظهر نسطور ، وأخذ يرد على مجمع نيقية الأول مبينا أن هذا المجمع كان خطأ لأنه قرر ألوهية المسيح ، والمسيح كما يقول نسطور ليس إلا

إنسان مخلوق مصنوع ، لأنه تولد من مريم الإنسان وما تولد من الإنسان لا يكون إلا إنسانا فكيف يكون إلها :

فاجتمع من أجله المجمع ، وقرر لعن نسطور ، وتحريم مذهبه : وأن مريم والدة الله وليست والدة المسيح الإنسان كما يقول نسطور ومن هنا تأتى الآيه الثالثة لترد على هؤلاء الذين ألهوا مريم أم المسيح عليه السلام وبين القرآن الكريم أن مريم ليست إلا إنساناً فقط وكيف تكون مريم الإنسان إلهاً ، وقد كنتم أيها الناس ترونها هى وابنها يأكلان ويشربان والذى يأكل ويشرب لابد وأن يخرج الفضلات والنجاسات من البول والبراز . . وغير ذلك فكيف يكون ذلك إلهاً . قال تعالى : « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل : وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون » سورة المائدة ٧٥

٤ — ولما لم تتوقف المجامع ، وزاد النصارى فى الغلو فى الدين وفى مريم والمسيح عليه السلام وهل هو ذو طبيعة واحدة ، أو طبيعتين : وهل هما منفصلتان أم متحدتان .. وهل المسيح الإله — عندهم ذو مشيئة واحدة أو مشيئتين . . إلخ تلك الاختلافات .

ولما كانت تلك العقائد والأفكار قد تقررت بأمر الأباطرة الرومان الوثنيين . وكان القساوسة مغلوبين على أمرهم . جاء القرآن الكريم مخاطباً أهل الكتاب من اليهود والنصارى معاً : بعدم الغلو فى الدين وعدم اتباع هؤلاء الوثنيين من الرومان وغيرهم . . قال تعالى « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » سورة المائدة (٧٧)

ولا عجب إذا جاء القرآن الكريم بهذا النداء لأهل الكتاب من اليهود والنصارى معاً فالقول بألوهية المسيح وبنوته لله : كان قول بولس اليهودى

وهو الذى جاء بهذه الأفكار كما قلنا سابقاً، وقد جلب هذه الأفكار وتلك العقائد من أصحاب الديانات التى كانت آنذاك من الإغريق، والرومان والهنود، والفراعنة فانتقلت هذه الأفكار إلى اليهود، وقالوا كما أخبر القرآن الكريم «عزير ابن الله» ثم نقل بولس هذه الأفكار إلى المسيحية وأخذ يغذيها حتى وجدت أرضاً خصبة بفعل هذه المجامع التى جاءت أخيراً وأقرتها وأصبحت عقيدة القوم ولذا نجد القرآن الكريم فى سورة التوبة يضع هذه الحقائق العلمية أمامنا ويبين لنا من أين جاء اليهود والنصارى بهذه العقائد قال تعالى «وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون، اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون» (٣٠، ٣١).

وتأتى آية المائدة لترد على هؤلاء المثلثين الذين ساروا على هوى الملوك والحكام من الأباطرة الرومان قال تعالى:

[ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل] (المائدة ٧٧)

ولما كانت دعوة رسل الله إلى بنى إسرائيل لم تجد آذاناً صاغية، ولا قلوباً واعية . . . من هنا لعن الله هؤلاء القوم الذين عصوا الرسل وأنكروا دعوتهم وقتلوا الكثير منهم قال تعالى:

[لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون] سورة المائدة (٧٨)

ويسجل القرآن الكريم فوق ذلك ،، هذه البراءة التى يعلنها عيسى — عليه السلام — أمام ربه عز وجل يوم القيامة حينما يسأله الله عز وجل عن هذه العقيدة التى جاء بها القوم بعده فيقول له عز وجل : « ياعيسى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله » فما يكون الجواب من عيسى يوم القيامة إلا كما قال القرآن الكريم : « ماقلت لهم إلا ماأمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد » سورة المائدة [١١٦ ، ١١٧]

الفصل الحادي عشر

عقيدة صلب المسيح

١ — بيان عقيدة الصلب :

وكما اتفق النصارى على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم على التثليث كذلك اتفقوا أيضا على عقيدة صلب المسيح — عليه السلام — كما جاء ذلك فى نص الأمانة السابق ذكره . واعتقد النصارى أن من لم يؤمن بصلب المسيح فقد كفر .

وقبل أن نضع هذه العقيدة فى الميزان نتحدث أولا عن السبب فى الإعتقاد بها وأصول هذه العقيدة وجذورها قبل المسيحية ثم نتحدث عن الواقع التاريخى لحادثة الصلب كما تحكيه الأناجيل وشهادة القوم من مؤيد ومعارض :

والواقع أن النصارى بنوا عقيدتهم فى الصلب على ما جاء من نصوص إنجيلية لديهم حيث جاء فى رسالة يوحنا الأولى « الله محبة ، ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه » رسالة يوحنا الأولى (٤ : ١٦) .

فقد زعم النصارى أن محبة الله ظهرت فى تدبيره طريق الخلاص للعالم : لأن من عهد سقوط آدم فى الخطيئة وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا مبتعد عن الله بسبب تلك الخطيئة ، ولكن الله من فرط محبته وفيض نعمته رأى أن يقربه إليه بعد هذا الإبتعاد فأرسل لهذه الغاية إبنه الوحيد إلى العالم ليخلص العالم .

ولما كان قد قضى الله — فى زعم النصارى إلى أن القصاص من بنى

آدم الخطيئين بالوراثة أرسل إبنه رحمة منه فى صورة جسد من أجساد الخطئين ليقوم بتقديم هذا الجسد للقصاص والعقاب فداء وكفارة عن سائر البشر .

يقول النص « فا الله إذ أرسل إبنه فى شبه جسد الخطيئة ولأجل الخطيئة دان الخطيئـــة فى الجسد لكى يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين »[1] .

فبسبب الخطيئة التى اكتسبها الجسد الآدمى كانت الخطيئة دينا يستوجب القصاص بالعقاب من فاعلها فلأجل ذلك تجسد اللاهوت أى حل فى جسد بشرى من أجساد الناس[2] ، ولما كان كذلك سمى ناسوتا نسبة إلى الناس كما سمى الجزء اللاهوتى باللاهوت نسبة إلى الإله ، فإن الإبن نزل من عند أبيه وحل فى أحشاء مريم واتحد بالناسوت إتحادا كاملا ، وخرج من بطنها إنساناً كاملا ولاهوتا كاملا ليعظ الناس ويدعوهم إلى التوبة من الخطيئة »[3] .

فالنصارى اعتماداً على هذه النصوص وغيرها يعتقدون إعتقادا جازما بأن المسيح مات صلبا لينوب عن آدم وبنيه — ذلك : أن الله خلق آدم وأسكنه جنة عدن وأوصاه قائلا : من جميع شجر الجنة تأكل أكلا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت « لأن أجرة الخطيئة هى موت »[4] .

ولكن بمقتضى رحمة الله كان العفو والصفح عن آدم — وفى تنفيذ

---

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية (٨—٣) .
(٢) رسالة إلى أهل كورلوس (٢ : ١) .
(٣) رسالة إلى العبرانيين (١ ، ٢) .
(٤) رومية ٦ : ٢٣

مقتضى المطلبين الموت والصفح تناقض وتضاد ، فإن عفا برحمته فقد بطلت وظيفة العدل الإلهى ، وإن أقام القصاص بالموت لعدله فقد بطلت وظيفة رحمته(١) .

ومن هنا نشأت مشكلة ، وبينما كان الله يدبر ما يحقق رحمته بآدم بدون تناقض كان آدم يتناسل فوجدت ذريته تحمل نفس الخطيئة كما يقول بولس من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت ، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع(٢) . الرسالة إلى رومية [٥ : ١٢] .

وهكذا استوجبت البشرية الموت كآدم فهم بذلك مبعدون عن رحمة الله وعدله ولكن الرحمة أوقفت التنفيذ حيث اهتدى الله — في زعمهم — إلى طريقة للحل وهى : أن يتقدم فادعن البشر ، ولما كان البشر جميعاً خطئون ، ولا طاهر إلا الله فلا يصلح للفدية إلا هو ، والله ليس جسداً ، وهنا نشأت مشكلة أخرى هى تجسد الذات الأقدس لذلك أنزل الله إبنه واتخذ الإبن لنفسه جسد إنسان فى بطن مريم — وتنفيــذاً لذلك قام الإبن بتسليم نفسه للصلب مختاراً كفارة لخطايانا وبذلك تم فداؤنا وتحقق خلاصنا(٣) وتوافق العدل والرحمة وفى ذلك يقول بولس :

[ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاه مات المسيح لأجلنا ». الرسالة لأهل رومية « ٥ : ٨ » .

هذه هى عقيدة النصارى فى صلب المسيح — عليه السلام — وهى

---

(١) إنجيل برنابا بين الإسلام والمسيحية صـ ١٤٢

(٢) السابق صـ ١٤٣

عقيدة تستلزم البحث عن الحقيقة : فكبرى الحقائق أنهم « ما قتلوه وما صلبوه .. بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما :

٢ — الأدلة على أن المسيح ما قتل وما صلب .

قبل أن نسوق الأدلة على بطلان تلك العقيدة فإننا ننزه المسيح عليه السلام بما جاء فى كتب القوم وهم يصورن حادث الصلب وكيفية القبض على المسيح وما جرى له » .. إلخ تلك الإهانات التى ألحقتها أناجيل القوم بالمسيح[1] .. ونحن حينما ننزه المسيح عن ذلك فما ذاك إلا لأن المسيح واحد من المصطفين الأخيار الذين اختارهم الله لتبليغ رسالة من رسالاته إلى البشر فكيف تليق به تلك الإهانات وقد جعله الله «مباركاً أينما كان » كما أخبر المسيح نفسه عن ذلك فى القرآن الكريم « وجعلنى مباركاً أينما كنت »[2] ، وكيف يتحدثون عن المسيح بذلك ثم يعتقدون أنه صلب وفى الوقت نفسه يتخذونه إلهاً بل ويرفعون تلك الخشبة التى صلب عليها الإله : إلى مكان التقديس حتى قالوا : الصليب هـــو قلب المسيحية النابض ، بل الصليب هو المسيحية ، والمسيحية هى الصليب والصلب هو اعلان محبة الله التى لا حد لها للبشر »[3] .

أما عن الأدلة التى تثبت أن المسيح ما قتل وما صلب فأول شهادة لذلك هو الواقع التاريخى لبداية تقديس الصليب .

---

(١) وردت قصة الصلب فى الأناجيل الأربعة .

(٢) سورة مريم ٣١

(٣) صلب المسيح وآراء الفلاسفة الغنوسطيين ص ١١٨

(أ) الواقع التاريخى لتقديس الصليب :

فإن الصليب زمن المسيح إلى عام سنة ٣٢٥م لم يكن مقدسا لدى النصارى ولم يقدسه الحواريون ولم يكن معروفا لدى النصارى إلى هذا التاريخ القرن الرابع الميلادى حتى جاء قسطنطين وجمع النصارى فى المجمع المذكور آنفا وأخذ يجمع لهم المخلفات الأثريه وأمرهم بتقديسها وتعظيمها :

يقول م هـ . برود بنت : «بدأ احترام المخلفات الأثرية منذ عصر مبكر فى تاريخ الكنيسة فقد أتت هيلانة أم قسطنطين الكبير عند عودتها من أورشليم بقطعة من الخشب ، وزعموا أنها قطعة من الصليب ، وكذلك ببضعة مسامير اعتقدت أنها مما استعمل فى صلب المسيح ، وهكذا بدا أن أن يكون للصور والتماثيل والأيقونات ، قيمة ، وصارت الكنائس تبنى لحفظ هذه المخلفات وأخذت الكنائس تملأ بالتماثيل والصور التى أصبحت موضوعا للعبادة .. وعادة الأصنام الوثنيه إلى الظهور ، وتحولت الصلاة من الله إلى العذراء والقديسين»[1] .

ويقول ول ديورانت : كانت الكنيسة أول أمرها تكره الصور والتماثيل وتعدها بقايا من الوثنية وتنظر بعين المقت إلى فن النحت الوثنى الذى يهدف إلى تمثيل الآلهة .. ولكن بانتصار المسيحية فى عهد قسطنطين لم يعظم الناس الصور التى يزعمون أنها تمثل المسيح فحسب بل عظموا معها خشبة الصليب ، حتى لقد أصبح الصليب فى نظر ذوى العقول الساذجة طلسما ذاقوة سحرية عجيبه ، وأطلق الشعب العنان لفطرته فحول الآثار

---

(١) الكنيسة المتغربة ص ٥٥

والصور والتماثيل إلى معبودات يسجد الناس لها ، ويقبلونها ، ويوقدون الشموع ، ويحرقون البخور أمامها »[١] .

ومن هذا التاريخ — القرن الرابع الميلادي — كما ذكر علماء الكنيسة قدس المسيحيون الصليب ، وأصبح الصليب هو المسيحية والمسيحية هي الصليب . ولا عجب إذا وجدنا النصارى الآن يعتزون بالصليب ويفخرون به ولسان حالهم يقول « حاشى لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع الذى به صلب »[٢] .

ولا عجب أيضا إذا وجدناهم يناجون الصليب فى صلواتهم قائلين : السلام عليك أيها الصليب خلص هذا الجمهور المجتمع لتقديسك ، أيها الصليب الذى أتى بالخلاص للأشقياء ، وإن تعجب فعجب لهؤلاء الذين لا يفرقون فى صلاتهم بين الآب والإبن والروح القدس ، والصليب ، ومريم بل والقديسين حيث ينادون فى الصلاة « الثالوث الأقدس »[٣] .

والصليب ناسوت ربنا يسوع المسيح وللعذراء المباركة الدائمة البتولية ولجميع القديسين ليكن الحمد الدائم والكرامة والثناء ، ولا عجب أيضا إذ رأينا النصارى يرسمون علامة الصليب على جباههم وصدورهم بل ، ويعلقون الصليب شارة على صدروهم[٤] .

---

(١) قصة الحضارة — مجلد ٤ جـ ٣ عصر الإيمان ص ١٥٤ ترجمة محمد بدران

(٢) رسالة بولس لأهل غلاطية ف [٦ : ١٤]

(٣) تقدم أن كلمة الثالوث أو التثليث لم ترد فى الكتاب المقدس ولكنها وضعت فى عقيدة المجمع النيقاوى سنة ٣٢٥ م

(٤) الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ص ٢٥٥

وما درى النصارى أنهم بتقديس الصليب وعبادتهم له أصبحوا يخالفون الناموس ويناقضون تعاليم عيسى فقد قال لهم عيسى (ملعون الرجل الذى يصنع منقوشاً أو مسبوكا رجساً لدى الرب صنعه[1]).

وأوصاهم قائلا: «لاتصنع لك منحوتاً، ولاصورة شيء مما فى السماء من فوق ولا مما فى الأرض من أسفل، ولاتسجد لهن، ولاتعبدهن»[2].

وبشهادة القوم على أنفسهم نرى وجه الصواب والحق فى هذه العقيدة الشاذة وهى: أنها لم توجد فى الكنائس مدة الثلاثة أجيال الأولى قبل مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م. ولم يأمرهم المسيح بها، ولم تعرف عبادة الصليب كما يقول ديوارنت، وبروديئت، وإدوارد جيبون، وغيرهم: إلا بعد المجمع المذكور. فكانت الصور والتماثيل والصليب فى الكنائس والأديرة والحوانيت وحتى أثاث المنازل والحلى والملابس لم تخل منها. حتى قال جيبون: تسربت إلى الكنيسة الكاثوليكية شعائر الوثنية المتمثلة فى الركوع وإيقاد الشموع وحرق البخور للقديسين والصليب، ورسخ استخدام التماثيل والصور وعبادتها قبل القرن السادس الميلادى.

وبهذه الشهادة التاريخية يتبين أن عقيدة الصليب مثلها مثل عقيدة التثليث تولدت عند النصارى بعد زمن المسيح بثلاثة أجيال، ومن ثم أنكرها كثير من الفرق النصرانية القديمة وعلى رأسها فرقة الغنوسطيين. وهذا هو الدليل الثانى لإبطال عقيدة الصلب.

---

(١) سفر التثنية (ف ٢٧).

(٢) سفر الخروج ف ٢٠ ع ٤، ٥.

(ب) رأى الفلاسفة الغنوسطيين

فى عقيـــدة الصلب

والدليل الثانى على بطلان عقيدة الصليب أنه وجدت فرق كثيرة من فرق النصارى القديمة كانت ترفض وقوع الصلب للمسيح رفضاً كلياً ، لأن البعض منهم كان يعده إهانة لشرف المسيح ، والبعض الآخر كان يرفضه استناداً للأدلة التاريخية وعلى رأس هـــذه الفرق [1] : فرقة الغنوسطيون ولذيوع رأيهم حتى إلى الآن كتب كثير من النصارى عنهم وعلى رأس هؤلاء القس (عوض سمعان) الذى كتب كتاباً بعنوان : (صلب المسيح وآراء الفلاسفة الغنوسطيين) عرف فيه هذه الطائفة قائلا: الغنوسطيون : أو أهل المعرفة فرقة ظهرت فى المدة الواقعة بين القرنين الثانى والرابع للميلاد : وهم أول من اعتقدوا بعدم صلب المسيح ، وانتقل اعتقادهم هذا إلى بعض الذين رفضوا الوثنية واعتنقوا المسيحية فى القرون الأولى ... وأول من عرف من العنوسطيين شيئاً من المسيحية شخص يدعى ميمون من بلاد السامرة . وذهب هؤلاء إلى أن المسيح لم يصاب ، وأن الذى صلب هو شخص غيره خيل لليهود أنه المسيح ... ثم يقول المؤلف : ومن ثم أطلق المؤرخون على الغنوسطيين اسم « المشبهة » ولا تزال إلى وقتنا الحاضر جماعة فى أمريكا تؤمن بآراء الغنوسطيين هى (محفل الأخوة العظيم الأبيض) [2] .

---

(١) من هذه الفرق التى أنكرت حادثة الصلب : المرقيونيون ، المانيون . البوليسيون . الدوسيتيه ... وغيرهم .

(٢) صلب المسيح وآراء الفلاسفة الغنوسطيين ص ٣ — ١١ بإيجاز .

ثم عرض القس عوض سمعان آراء بعض من زعماء تلك الفرقة فقال «أن مرقيون الذى كان فى القرن الثانى كانت عقيدته أن الذى صلب ليس المسيح بل شخص غيره ظن اليهود أنه المسيح ، أما المسيح نفسه فقد رفعه الله إلى السماء سالما » .

وقال (الدوكيتيون)(١) فى أوائل القرن الثانى (أن الله يسبب محبته للناس أرسل المسيح إليهم ليرشدهم ويهديهم ، لكن لما وجد أن اليهود قد عقدوا النية على صلب المسيح رفعه إلى السماء ، ولذلك فإنهم لم يصلبوه ، بل صلبوا شخصاً آخر تراءى لهم (أوخيل لهم) أنه المسيح .

وقال نطانيوس : فى آواخر القرن الثانى . لما أخذ المسيح يوبخ اليهود على شرورهم وآثامهم ، مدوا أيديهم إليه لكي يقتلوه فوقعت على شخص آخر ظنوا أنه المسيح ، أما المسيح نفسه فقد صعد إلى السماء سراً كما نزل سراً منها » .

وقال مانى فى القرن الثالث : (مد اليهود أيديهم — إلى المسيح — لكي يصلبوه فوقعت على شخص كان قد أساء إليه من قبل ظنوا أنه المسيح فأخذوه وصلبوه ، أما المسيح نفسه فقد رفعه الله إليه دون أن يصيبه سوء ، هذا بعض ما نقله القس (عوض سمعان) عن طوائف النصارى فى القرون الأولى . وكلها تنكر حادثة الصلب وتنزه المسيح عليه السلام عما ألحقه النصارى به وهذه شهادة توافق ما جاء فى إنجيل برنابا هذا الإنجيل الذى كتبه أحد حواريى المسيح كما يعتقد النصارى فى برنابا .

---

(١) الدوسيتيون : مشتق من فعل يونانى معناه يتراءى وذلك للدلالة على عقيدتهم المذكورة فى المسيح .

(جـ) برنابا يشهد أن المسيح ماقتل وما صلب ولكنه رفع :

الشهادة الثالثة على بطلان عقيدة الصلب : أن برنابا أحد الحواريين والمعروف عند النصارى [بابن الوعظ] بعد أن كان اسمه يوسف وهو الذى كان يعظ الناس بل ويقدم الوعاظ للناس وهو الذى قدم بولس للناس كما جاء فى نصوص الأناجيل[1] . قد أنكر حادثة الصلب فى إنجيله وبين أن المسيح لم يصلب ولكنه رفع .

جاء فى إنجيل برنابا [ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع ورأى الله الخطر على عبده ، أمر جبريل وميخائيل وروفائيل وعزرائيل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب][2] .

وفيه أيضا : [ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التى أصعد منها يسوع ، وكان التلاميذ كلهم نياما ، فأتى الله العجيب بأمر عجيب ، فتغير يهوذا[3] فى النطق وفى الوجه فصار شبيها بيسوع حتى أننا أعتقدنا أنه يسوع إلى غير ذلك من الشواهد الكثيرة التى ذكرت فى هذا الإنجيل والتى تدل دلالة قاطعة على أن الذى صلب ليس هو المسيح ولكنه شخص آخر عرفه الإنجيل بأنه يهوذا أما المسيح فقد رفعه الله إليه وهذا ماشهد به القرآن الكريم .

---

(١) يراجع فى هذا أعمال الرسل ف [٤ ، ١ ، ٤٣] وقاموس الكتاب المقدس ص ١٧٨ فى ترجمة برنابا .

(٢) إنجيل برنابا [٢١٥ : ١ — ٥]

(٣) السابق ٢١٦ : ١ — ٩

(د) القرآن الكريم ينفي الصلب عن عيسى عليه السلام ويبين أنه رفع :

الشهادة الرابعة : على أن المسيح عليه السلام لم يصلب أن القرآن الكريم وهو الكتاب الخاتم والمهيمن على كل الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل قد بين الحقائق كاملة في أمر عيسى عليه السلام ، فعيسى عليه السلام : قد جعله الله آية . كما قال القرآن الكريم [ولنجعله آية للناس](١).

ولما كان عيسى آية فاقتضت إرادة الله وقدرته التي هي دائما بين الكاف والنون أن ينطق عيسى عليه السلام وهو في المهد صبيا ويتحدث عيسى عن ثلاثة أيام ، يوم ميلاده ويوم موته ويوم بعثه : ويصدر الكلام عن هذه الأيام الثلاثة بالسلام المعرف بالألف واللام ، قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا »(٢) .

فقد برأ الله نبيه عيسى عليه السلام مما سيتحدث عنه البشر فقد قالوا : لأمه ساعة ولادته «ياأخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا»(٣) فبرأها الله من البغاء والزنا والسفاح ، مبينا أن عيسى عليه السلام إنما جاء كذلك لأمر أراده الله عز وجل وأمره دائما [إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون](٤) .

ثم إن القوم جعلوها «أى مريم بعد ذلك إلها وأنها ولدت عيسى الإله من أجل ذلك تحدث عيسى عن يوم الولادة ليتق تلك الشبه ويزيل

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) الآيات من سورة مريم «٢١ ، ٣٣ ، ٢٨ ، ٣٥».

هذه الأباطيل كما تحدث عن يوم موته ليرد على حادثه الصلب مبينا أنه ساعة موته لم ولن تمتد إليه يد بسوء، وكيف يمتد إليه السوء وهو رسول من عند الله جعله الله آية .

ومن متطلبات الآية : أنها على خلاف مايعهده البشر ومن أجل ذلك كان الأمر فى عيسى : خلقه وحمله ، وولادته وبعثه ومعجزاته ورفعه إلى السماء .. وشأنه كله كان على نحو لم يعرفه البشر من قبل .

فقد كان خلقه عن طريق النفخ لأن القوم كانوا ينكرون وجود الروح .

ومن ثم ناسب أن يأتيهم عيسى نفســـه عن طريق نفخ الروح وجاءت معجزاته كذلك على هـذا النحو لأن القوم الذين أرسل اليهم عيسى كما أنكروا وجود الروح أنكروا مايتعلق عليها وهو البعث ومافيه من حساب وجنة ونار ومن أجل ذلك كان كلام عيسى وهو فى المهد عن يوم بعثه أيضا ليبين أن الله هو الذى يحرصه وينجيه والذى خلقه هو الذى سيميته ثم يبعثه دون أن تمتد اليه يد بسوء فى هذه الأيام الثلاثة وهذا ما جاء مفصلا فى آيات القرآن الكريم ، قال تعالى : ويكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما[1].

---

(١) سورة النساء « ١٥٦ — ١٥٧ »

ومن هنا ذهب جمهور المسلمين من الصحابة والتابعين وعلماء الأمة إلى القول برفع المسيح عليه السلام حيا وأنه ما صلب ولكن الله أنجاه من كيد اليهود بناء على ما يدل عليه قوله تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ، إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا)[١] .

ومن هذه الأدلة المتضافرة نقول : إننا نحن المسلمين نعتقد إعتقادا جازما لاريب فيه ولا شك أن الله عز وجل حفظ المسيح عليه السلام من أن يصيبه أذى مدة حياته كما جاء فى إنجيل لوقا فى قول الملاك لمريم (هاأنت ستحبلين وتلدين إبنا وتسمينه يسوع هذا يكون عظيما)[٢] .

وقول الله حق ووعد وصدق فكيف تتحقق عظمة المسيح ومكانته بين الناس مع ما ذكرته أناجيلهم المعتمدة لديهم فى وصف ما حدث للشخص المصلوب من تتويجه بإكليل من الشوك وجذبه وضربه ولطمه ، وبصق على وجهه ... الخ .

إن هذا لا يليق بعامة الناس فكيف بالمسيح الذى هو نبى ورسول عندنا نحن المسلمين ، وكيف يليق أن يفعل به ذلك ثم يصلب وهو إله عند النصارى، إن شخصا له مثل هذه المكانة وتلك العظمة لابد أن يحميه الله من هذه الإهانات وأن يمتد حفظه له إلى عصمته من البشر فلا تمتد إليه يد بسوء ولا يصلب : فيكون وجيها عند الله وعند الناس ، وهذا ما أخبر به الحق تبارك وتعالى مريم أم المسيح إذ نادتها الملائكة (يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا

---

(١) سورة آل عمران (٥٣ ، ٥٤) .

(٢) انجيل لوقا (١ : ٣١ ، ٣٢) .

والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين)[١].

خامسا : شهادة القوم على أنفسهم :

(و) وأخيرا : وإذا كان الاعتراف سيد الأدلة فإن شهادة القوم على أنفسهم خير شاهد لما جاء به القرآن الكريم عن حقيقة الصلب والصليب ومن أين جاء النصارى بهذه العقيدة : إذ يقول القس حبيب سعيد : فى كتابه : الوصايا العشر فى العصر الحديث — عن الصليب وعبادة الأوثان مبينا عقيدة الكنيسة المسيحية الأولى :

« والصليب نفسه لم يكن معروفا فى العبادة المسيحية قبل القرن السادس الميلادى »[٢] ويرجع الفضل فى هذا إلى التمسك بأحكام هذه الوصية « ... لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ، مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن ، لأنى أنا الرب إلهك إله غيور » سفر الخروج ج ٢٠ (٤ — ٦)[٣].

« أيها الأولاد احفظوا أنفسكم من الأصنام آمين » :

إذ تحظر الوصية حظرا تاما صنع تمثال منحوت لأى مخلوق وجعله موضوعا للعبادة :

ثم يسترسل القس فى حديث طويل فيعطى صورة كاملة عن تاريخ عبادة الأصنام والصور والتماثيل والصليب فى الكنيسة المسيحية والمراحل التى مرت بها وموقف المسيحية من هذه العبادات فيقول :

١— إن عبادة الصور والتماثيل فى الكنيسة ترجع إلى تاريخ ما قبل

---

(١) سورة آل عمران (٤٥ ، ٤٦) .
(٢) الوصايا العشر ص ٤٠ (٣) السابق ص ٣١

الميلاد حيث عثر على الحجر المؤابى الذى يرجع تاريخه إلى عام ٨٤٧ ق.م. وقد وجد علماء الكتاب المقدس فى هذا الحجر لذة وإشباعا لأنه يدون بعض الحوادث فى التاريخ العبرانى .. إذ نصف الفتوحات التى تمت على يد ملك مآب وانتصر فيها على آخاب ملك إسرائيل فأقام ملك مؤاب هذا النصب إحياء لذكرى انتصاراته — وتكريما لإلهه « كيموش » الذى عزا إليه هذا الانتصار.

٢ — عاش العبرانيون — اليهود — بعد استيطانهم فى أرض كنعان بين شعوب عبدت آلهة كثيرة ووضعت لآلهتها تماثيل مجسمة من أشكال الإنسان ، والحيوان ، والحجر ، والشجر وحسبوها آلهة يسجدون لها ويعبدونها [1] ومن ثم .

٣ — لم تخل عبادة العبرانيين من عبادة الأصنام والتماثيل والدليل على ذلك أنهم طلبوا من هارون أن يصنع لهم إلها بعد أن غاب موسى عنهم كما جاء فى سفر الخروج :

« ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب كله على هارون وقالوا له : إصنع لنا آلهة تسير أمامنا... فقال لهم هارون أنزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتونى بها فنزع الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر » [2] .

---

(١) وقد أشار القرآن الكريم إلى عبادة الكنعانيين منذ زمن إبراهيم عليه السلام حيث توجه إبراهيم إليهم بالدعوة إلى نبذ عبادة الكواكب والأصنام كما جاء فى سورة الأنعام والأنبياء وغيرهما من سور القرآن الكريم ».

(٢) نزه القرآن الكريم هارون — عليه السلام — مما نسب إليه =

ومن ثم وجدت عبادة «العجل الذهبي» كطقس من الطقوس، وتارة عبادة «البعل»[1]، وهو نوع من أديان الطبيعة — وأخرى عبادة التنجيم المستوردة من آشور.

٤ — وفى سنة ٦٣ ب. م استولى القائد الرومانى على مدينة أورشليم ودخل الهيكل مع نفر من ضباطه، وأوغلوا إلى قدس الأقداس يبحثون عن صنم داخل الهيكل فذهلوا ألا يجدوا شيئاً وحسبوا هذا دليلا على جنون القوم وحماقتهم — يعنى اليهود — .

٥ — وفى القرن الأول للمسيحية كانت الكنيسة وريثة اليهودية فى بعض هذه النواحى وقد بدأ المسيحيون الأولون غامضين — لأنهم لم يلجأوا فى عبادتهم إلى الصور والتماثيل .

= القوم من هذه الجرائم المنكرة وبين القرآن الكريم أن الذى صنع العجل الذهبي هو موسى السامرى . أما هارون عليه السلام فقد قال لهم كما قص القرآن الكريم «يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى» ولما رجع موسى إليهم قال لهم : «ألم يعدكم ربكم وعداً حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى وقال السامرى فأخذت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى» فقال له موسى اذهب: «فإن لك فى الحياة أن تقول لامساس وإن لك موعداً لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا» ثم توجه موسى إلى بنى إسرائيل قائلا : «إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شىء علما» . «سورة طه»

(١) وقد شار القرآن إلى هذا الإله وقد دعاهم نبى الله إلياس قائلا : «أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين» .

٦ — وفى القرن الثانى للميلاد قام خصم عنيد للمسيحية وعيروا أبناءها بقوله ، إنهم لا يسمحون بالهياكل ولا المذابح ولا الصور والتماثيل فى عبادتهم ، فرد عليهم «أوريجانوس» « إنهم يفعلون ذلك إطاعة للوصية — لا تصنع لك منحوتاً ... » ونظر الرومان واليونان إلى المسيحيين إلى أنهم طائفة من طوائف اليهود المتزمنة ، وحسبوهم كفاراً مارقين .

٧ — وفى مدينة كورنتوس الشريرة ذات السمعة الشائعة حيث كانت تمثل الملذات والشهوات وكان الفسق مظهراً بشعاً فى عبادة الآلهة أوروديت فى هذه المدينة قامت المشكلة مشكلة عبادة الصور والتماثيل وهنا كانت رسالة بولس إلى هذه المدينة ذلك الرحالة التى صور فيها الإنسان بصورة الله ، إذ يقول : إن الإنسان خلق على صورة الله ، والمسيح صورة الله . وإنه صورة الله غير المنظور ... » إلخ تلك النصوص .

٨ — واستنادا إلى هذة النصوص البولسية — قال بعض المفكرين من المسيحيين أن التجسد يبرر استعمال الصور فى الكنائس والمعابد ، أو أن استعمال الصور هو دليل شاهد منظور على صدق التجسد .

٩ — وقد ثار جدل عنيف حول الأيقـــونات والصور فى المجمع المسكونى المنعقد بنيقية سنة ٧٨٧ م الذى انعقد من أجل عبادة الصور ، والتماثيل فى النصرانية ثم فى مجمع ترنت سنة ١٥٦٣ م قرر النصارى ما يلى : —

١ — أجازت الكنيسة الأرثوذكية عبادة الصور ويرون أنها مسألة لياقة ليس إلّا .

٢ — أجازت الكنيسة الكاثوليكية عبادة الصور والتماثيل مع أبحجة التأثير على عواطف الشعب .

٣ — أجازت الكنيسة البروتستانتية : وضع الصليب فوق المذبح ، وعلق على ذلك « سرتوماس براون قائلا :

« حين أرى الصليب أرفع قبعتى منحنياً ولكن يتجه فكرى إلى خلصى »[١] .

هذه شهادة القوم على أنفسهم ومنها نتبين وجه الصواب فى عقيدة الصلب التى ما عرفت فى حياة المسيح ولا بعده بأجيال وأجيال وشهد القوم على أنفسهم « أنهم لا يفقهون » .

---

(١) انظر : الوصايا العشر فى العصر الحديث : حبيب سعيد ص ٢٩ — ٤٧ بإيجاز .

الفصل الثانى عشر

الطوائف النصرانية المعاصرة

يوجد فى النصرانية ثلاثة طوائف هى :ـ

١ ـ الطائفة الأورثوذكسية وتختص بالمذهب الأورثوذكسى .

٢ ـ « الكاثوليكية ، وتختص بالمذهب الكاثوليكى .

٣ ـ « البروتستانتية : وتختص بالمذهب البروتستانتى .

وإليك بيان هذه الطوائف ومذاهبها :

أولا : الطائفة الأورثوذكسية ومذهبها :

المذهب الأرثوذكسى معناه فى الاصطلاح الكنسى . . الدين القويم ـ إذ تعنى كلمة أرثوذكسى استقامة الرأى ـ لأنها مأخوذة من كلمة يونانية معناها الحق القويم ـ أو المذهب المستقيم ـ ولهذا عرفت الكنيسة الأرثوذكسية بأنها الكنيسة القاطعة كلمة الحق باستقامة المقدسة التى لا عيب فيها ولا دنس[1] .

ولهذه الكنيسة أسماء متعددة :

---

(١) تاريخ العصور الوسطى فى الشرق والغرب هامش ص ٥ والعشاء الربانى هامش ص ٣٠٠ وكنز النفائس فى اتحاد الكنائس ص ١٣

فهى تسمى بكنيسة الروم الارثوذكسية – أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين ومن بلاد الشرق كروسيا ، والبلقان واليونان وكان مقرها الأصلى فى القسطنطينية[١] ، ثم فصلت الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية – على أثر الاختلاف بينهما فى العقيدة . حيث اختلفت الكنيستين فى عقيدة انبثاق الروح القدس هل هو منبثق من الأب فقط وبه قالت الكنيسة الشرقية أو من الآب والابن وبه قالت الكنيسة الغربية .

وعقدت كل منهما مجمعاً شايع اعتقادها ومذهبها فعقدت الكنيسة الغربية مجمعها الذى أطلق عليه المجمع الغربى اللاتينى عام ٨٦٩ م . وعقدت الكنيسة الشرقية مجمعها الذى أطلق عليه .. المجع الشرقى اليونانى عام ٨٧٩ م . ومن يومها كان الانفصال بين الكنيستين على نحو ماسبق بيانه[٢]

عقائد الكنيسة الأرثوذكسية :

يقول الأستاذ : زكى شنودة توجد بعض أوجه الخلاف العقائدية والمتعلقة بالطقوس بين الكنائس المسيحية. نتيجة للاختلاف فى وجهات النظر والتباين فى فهم أسرار الدين المسيحى[٣] .

ومن الواضح الجلى أن أمور العقيدة لايختلف فيها أحد لأنها تكون

---

(١) المسيحية « أحمد شلبى » ص ٢٣٨

(٢) موسوعة تاريخ الأقباط جـ ١ ص ٢٧٥

(٣) موسوعة تاريخ الأقباط جـ ١ ص ٢٧٥

من وضع إلهى . . أما وقد حصل الخلاف . . وظهر التباين فهذا دليل قاطع بأن هذه العقيدة من صنع البشر وليست من صنع إلهى ..

ولم يكن الأستاذ زكى شنودة الفريد حينما قرر وأظهر هـــذه الخلافات فى العقيدة فى كتابه . . ولكن الكتب المسيحية كانت تجمع على الخلاف البين بين العقائد السائدة فى الكنيسة ومذاهبها وقد آثرت أن أذكر ما كتبه القس . . نقولا امبرازى . . فى كتابه كنز النفائس فى اتحاد الكنائس » حيث عقد القسم الثانى من هذا الكتاب للخلافات العقائدية بين للكنائس المسيحيه وقال فى بيان موضوعاته : « إننا سنبين فى هذا القسم جميع الحقائق المسيحية التى اتفق عليها عموم المسيحيين والتى لم تزل موضوعاً للخلاف ثم شرع فى بيان تلك الخلافات عن طريق السؤال والجواب[1] . . وباعتراف القوم على أنفسهم . . بقصد أو غير قصد تكون العقائد المسيحية كلها قد نسفت نسفاً . حيث أن كل كنيسة لعنت أختها ، وكل حزب بما لديهم فرحون ، وكل أمة تلعن أختها ، والجميع قد أقام بنيانه على غير أساس .

وصدق الله العظيم :

[أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير . . أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم[2]

وفى بيان العقيدة الأرثوذكسية نذكر ما كتبه الأستاذ زكى شنودة

---

(١) كنز النفائس فى اتحاد الكنائس القسم الثانى ص ١٥٧ إلى آخر الكتاب ص ٢٢٩

(٢) سورة التوبة من الآية (١٠٩)

وغيره عن عقيدة : « الأقباط الأرثوذكسية » حيث أنها جزء من الكنيسة الأرثوذكسية وانفصلت عنها على أثر المجمع الخلقدونى المنعقد فى عام ٤٥١م. الذى قرر أن للمسيح طبيعتان وكما قال القس « نقولا امبرازى » عن الأقباط الأرثوذكس : أنهم لا يفترقون عن الأرثوذكسين إلا فى عقيدة طبيعة المسيح ، فإنهم يعتقدون بأن المسيح له طبيعة واحدة الهية ، وبالتالى ينكرون طبيعته الإنسانية أما فى جميع العقائد الأخرى فهم أرثوذكسيون بالتمام[1] .

وتتلخص مبادىء المذهب الأرثوذكسى وعقائده فيما يلى :

(١) تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية وتؤمن هى — وجميع الكنائس المسيحية بأن الله واحد — بثلاثة أقانيم إلهيه متساوية فى الجوهر : هى الآب والابن والروح القدس ، على نحو ما جاء فى قرارات المجامع المسكونية الكبرى[2] ... وهذا المبدأ تعتقد به جميع الكنائس المسيحية : إذ يقول زكى شنوده والقس حبيب جرجس عن هذا المبدأ ، وقد عرف المسيحيون من تعاليم السيد المسيح بأن الله واحد فى ثلاثة أقانيم هم الآب والابن والروح القدس وان هذه الأقانيم الإلهية هى طبيعة واحدة وذات جوهر واحد يسيط منزه عن التأليف والتركيب فالآب إله، والابن إله ، والروح القدس إله . . الآب والد ، والابن مولود، والروح القدس منبثق .. الآب هو الجوهر مع صفة الأبوة ، والابن هو الجوهر مع صفة البنوة ، والروح القدس هو الجوهر مع صفة الانبثاق ، وكل الأقانيم

---

(١) كنز النفائس ص ١٠١

(٢) قرارات المجامع المسكونية الكبرى الباب الثانى من الرسالة . .
وكنز النفائس فى إتحاد الكنائس ص ١٦١

الثلاثة متساوية فى الأزلية والأبدية .. وجميع الكماليات الالهية[١] .

وقد دعى الأقنوم الأول أبا أو والدا ..

ودعى الأقنوم الثانى ابنا أو ولدا .. وليس المقصود هنا خروج كائن من كائن ، وإنما هو مولود من الآب من طبيعته وجوهره ، كولادة المنطق من العقل والشعاع من الشمس — فيكون الأقنوم الأول بمثابة ينبوع أعطى الأقنوم الصادر عنه بطبيعته وجوهره كله فكان الأقنوم الثانى صورة كامله للأقنوم الأول » ومساويا له فى الطبيعة والجوهر[٢] ، ودعى الأقنوم الثالث الروح القدس ، ليس لأن بينه وبين الأقنومين الآخرين تميزا فى روحانية الجوهر لأنهم متساوون فى ذلك ولأن كلا من الأقنومين الآخرين سمى « روحا كذلك » وإنما لأعماله الخاصة به .

والروح القدس وإن كانت له طبيعة الآب وجوهره كالابن إلا أنه لم يدع إبنا أو مولودا بل يقال له روح منبثق « أى صادر عن الآب وهذا سر من أسرار اللاهوت الغامضة التى لا يمكن إدراك فهمها بالعقل البشرى وإنما ينبغى أن نؤمن بها كما وردت على لسان السيد المسيح إذ قال : ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق .

« والسيد المسيح هو الأقنوم الثانى من الثالوث الأقدس وهو مساو للآب والروح القدس فى كل الصفات الإلهية والروح القدس هو الأقنوم

---

(١) المبادىء المسيحية الأرثوذكسية حبيب جرجس — الناشر مكتبة الهلال بمصر سنة ١٩٤٨ م . ج ١ ص ٨٣ — ٩٥ بإيجاز . وموسوعة تاريخ الأقباط ج ١ ص ٢٤٠

(٢) السابقين : الأول ج ١ ص ٩٠ والثانى ج ١ ص ٢٤١

الثالث من اللاهوت الأقدس وهو مساو للآب والإبن فى الذات والجوهر والطبع ، وكل صفات اللاهوت وهو روح الله وحياة الكون ومصدر الحكمة والبركة ومنبع النظام والقوة ولذلك فهو يستحق العبادة الإلهية والمحبة والإكرام والثقة مع الآب والإبن[١] .

٢ — انبثاق الروح القدس . . تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية بأن الروح القدس منبثق من الآب فقط على نحو ما جاء فى قرار المجمع القسطنطينى الأول عام ٣٨١م[٢] .

٣ — تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية : أن للمسيح بعد التجسد طبيعتان — إلهيه ، وإنسانية اتحدتا فيه بلا امتزاج ولا انفصال وألفتا أقنوما واحدا هو « يسوع المسيح الإله المتأنس » بخلاف عقيدة الأقباط الذين ينكرون طبيعته الإنسانية[٣] .

٤ — تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية بأنه فى العشاء الربانى . . أن الخبز والخمر يتحولان بطريقة سرية إلى ذات لاهوت المسيح وناسوته وأنه لا يفيد إلا الأتقياء[٤] .

٥ — تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية بأسرار الكنيسة السبعة التى سيأتى ذكرها فيما بعد[٥] .

---

(١) موسوعة تاريخ الأقباط جـ ١ صـ ٢٤١ ، ٢٤٦
(٢) كنز النفائس صـ ١٦٢
(٣) السابق صـ ١٦٨
(٤) العشاء الربانى صـ ٣١
(٥) موسوعة تاريخ الأقباط جـ ١ صـ ٢٦٤ — ٢٧٠

٦ — تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية بأن تفسير الكتاب المقدس هو من اختصاصات الكنيسة التي يسوسها على الدوام الروح القدس وبالتالي فهو من اختصاصات نواب الكنيسة أي المجامع المسكونية ومعلمي الكنيسة[١] .

٧ — تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية : أنه من الواجب علينا أن نكرم أيقونة المسيح وأيقونات القديسين ، وأنه من الواجب أن نكرم ونسجد لبقايا القديسين ونستغيث بهم ونطلب إليهم أن يتضرعوا إلى الله من أجلنا[٢] .

٨ — لا تعترف الكنيسة الأورثوذكسية ولا تعتقد بما تعتقد به الكنيسة الكاثوليكية ولا برئاسة البابا المزعومة وعصمته الموهومة ، وكونه رأسا للكنيسة على نحو ما قررته مجامع الكنيسة الكاثوليكية[٣] .

إنقسام الكنيسة الأرذثوذكسية « الشرقية » على نفسها :

لم يقف أمر العقيدة المسيحية عند هذا الحد من التغيير والتحريف ولم يستتب أمر العقيدة وما أحدثته المجامع فيها بعد ، ولكن أمر العقيدة المسيحية أخذ فى الاختلاف والإنقسام حتى رأينا أصحاب المذهب الواحد قد انقسموا على أنفسهم ولعن بعضهم البعض الآخر كما هو الحال والشأن فى المجامع . . وساد الصراع أصحاب المذهب الواحد والكنيسة الواحدة حتى رأينا كل نحلة اختلفت على نفسها وتفرقت وانقسمت فأصحاب المذهب الأرثوذكسي : انقسموا واختلفوا وأصبحوا فرقا ومذاهب

---

(١) كنز النفائس ص ١٦١ .
(٢) السابق ص ١٦٢ وما بعدها .
(٣) السابق ص ١٩ .

متعددة حتى رأينا منهم « الأقباط الأرثوذكس . واليعاقبة الأرثوذكس والنساطرة ، والأحباش .. إلخ .

١ — كنيسة الأقباط الأرثوذكسية :

من أبرز الكنائس المنشقة عن الكنيسة الأرذثوذكسية هـذه الكنيسة — كنيسة الأقباط — الأرثوذكسية — بمصر وهذه الكنيسة انشقت عن الكنيسة الأرثوذكسية منذ عام ١٠٥٤ م . على أثر قرارات مجمع خلقونية « أن للمسيح طبيعتان ومشيئتان ، وذلك فى مقابلة أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة الذى قال به « أو طيخا وديقورس » ومنذ هذا المجمع — ولدت كنيسة الأقباط المصرية الأرثوذكسية التى تقول بالطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة حتى أنها لا تعترف بقرارات هذا المجمع ، ولا بالمجامع التى عقدت بالقسطنطينية بعد ذلك كما يقول الأستاذ : زكى شنوده — لمخالفة الذين اشتركوا فيها مع الكنيسة القبطية فى الاعتقاد بأن للمسيح طبيعة واحدة — ومشيئة واحدة[1] — وهذا هو أهم الفروق الإعتقادية بين الكنيسة القبطية والكنيسة الأرثوذكسية .

أما بقية العقائد فهم يقبلون ويعترفون بدستور الإيمان الذى وضعته المجامع المسكونية : « الأول النيقاوى ، والثانى القسطنطينى والثالث فى أفسس ، وعندهم الأسرار السبعة كما هى عند الأرثوذكش ، ويشاركونهم فى استحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه ، ويحولون العشاء بخبز وخميركما يفعل الأرثوذكس ، ويقبلون رتب الكهنوت الثلاث كما هى عند

---

(١) موسوعة تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٧٩ .

الأرثوذكس — القس والأسقف والشماس[١] وعندهم درجة أخرى تسمى — الأسخيا » وهى درجة الأولاد الإكليروسين للخدمة فى العبادة الإلهية — ويتبعون سر المعمودية بثلاث تغطيسات ويستعملون الختان — مخالفين بذلك أوامر بولس بعدم الختان وقرارات مجمع أورشليم عام ٥٠ م . ورئيس هذه الكنيسة هو بابا الاسكندرية القبطية وهو حاليا — « البابا شنودة »[٢] .

الكنيسة اليعقوبية :

وهذه الكنيسة هى الأخرى انشقت عن الكنيسة الأرذثوكسية إثر قرارات مجمع القسطنطينية الثانى — الخامس المسكونى سنة ٥٥٣ م . حيث وانتشر مذهب الطبيعة الواحدة الذى نادت به كنيسة الأقباط بمصر ، وانتشر هذا المذهب فى كل من سوريا وفلسطين وبلاد ما بين النهرين ، وذاع هذا الرأى وعم حتى ساد الإنقسام الإمبراطورية الرومانية كلها حتى القصر الإمبراطورى حيث اختلف « جوستنيان وزوجته تيودورا » فأيد هو مذهب الطبيعتين — وكانت هى على مذهب يعقوب البرادعى — تنادى بالطبيعة الواحدة — ، فشجعت اليعاقبة على إنشاء كنيسة لهم تحمل هذا الاسم وامتدت هـــذه الكنيسة إلى الكنيسة السريانية فى أنطاكية التى تمثلها اليوم الكنيسة السريانية الأرثوذكسية وبطريركيتها فى الموصل فى شمال العراق[٣] .

---

(١) باعتبار الأصل ويعترفون أيضا بالثـــلاثة الأخرى « البابا » البطريرك ، المطران » أما القمص فهو مقدم القساوسة .

(٢) يراجع موسوعة تاريخ الأقباط جـ ١ صـ ٨٦ ، ٢٣٦ وما بعدها وكنز النفائس فى اتحاد الكنائس صـ ٩٨ وما بعدها .

(٣) صراع عبر الزمان أو المسيحية معركة متواصلة صـ ٩٤ وما بعدها واضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها جـ ٢ صـ ٥٣٦ .

ويطريرك هذه الطائفة يلقب بطريرك أنطاكية ويخضع له أصحاب الطبيعة الواحدة فى سوريا والعراق، ولا يزالوا محافظين على تلك العقيدة التى تخالف العقيدة الأرثوذكسية ويقيمون شعائرها باللغة السريانية — ويكرهون البابوية ولا يعتقدون بما تعتقد به الكنيسة الكاثوليكية الغربية[1] .

٣ — الكنيسة النسطورية :

تسمى هذه الكنيسة النسطورية نسبة الى نسطور بطريرك القسطنطينية الذى تبوأ العرش البطريركى عام ٤٢٨م ، والذى كان مذهبه محاولة للعودة إلى التوحيد أو القرب منه ، إذ كان أول من نادى بالطبيعة الإنسانية فى المسيح واثنينية الأقنومية وشرح مذهبه قائلا : «ان مريم ولدت يسوع المسيح ، وهى والدة المسيح لأن الإله لا يمكن أن يولد من بشر ..» إلخ .

وكان لهذا المذهب الأثر الاكبر فى الدعوة إلى التوحيد مما أثار قلق الأباطرة والقياصرة آنذاك فكان مجمع أفسس الأول عام ٤٣١م . المسكونى الثالث الذى حكم بتكفير نسطور وحرمه ولعنه ونفيه .. ومنذ ذلك المجمع ولدت كنيسة النسطورية — إذ أحيا المذهب من بعد نسطور — كما يقول ابن البطريق مطران نصيبين وثبت النسطورية فى المشرق خاصة فى أهل فارس .. ولذلك تكاثرت النسطورية فى المشرق والعراق والموصل والفرات، والجزيرة فسمو النسطورية ولا يزال يوجد بعضهم الى اليوم فى ايران وملبار بالهند ولهم كنائس فى تلك الجهات حتى اليوم[2] .

---

(١) كنز النفائس فى اتحاد الكنائس ص ١١٣

(٢) تاريخ بن البطريق ص١٥٨ حـ ١ وقصة الحضارة حـ١ مجلد ٤ عصر الايمان ص ١٠١ عدد ١٢

أما عن عقيدتهم فهم كما يقول العلامه كيريا كو أستاذ اللاهوت فى كلية أثينا — إنهم متفقون تقريبا فى العقيدة وفى العبادة مع الأرثوذكسيين وهذا يدل على أن مصدرهم الكنيسة الارثوذكسية .

الا أنهم يرفضون أحكام المجمع الثالث المسكونى الذى حكم على نسطور ، ولا يوجد فى كنائسهم أيقونات يكرمونها كما يفعل غيرهم من المسيحيين ، ويرفضون تسمية العذراء بأم الإله — بل يقولون : أنها أم الانسان . وأن عيسى انسان واله معا ، ويشجبون إكرام القديسين ، ولا يحترمون الأيقونات ، ولا يسمحون بعدم زواج الإكليروس[1] .

ثانياً : الطائفة الكاثوليكية ومذهبها :

١ — المذهب الكاثوليكى : هو مذهب الكنيسة الكاثوليكية الغربيه المنشقه عن الكنيسه الشرقية كما قلنا على أثر المجمع الثامن المسكونى والاختلاف بينهما فى عقيدة « انبثاق الروح القدس»[1] ، وعلى أثر هذا الاختلاف العقدى تم الانفصال بين الكنيستين ، وأصبحت الكنيسه الكاثوليكية تكون مذهبا خاصا لها . وتسمى هذه الكنيسة كما قلنا أيضا — الكنيسة البطرسيه أو الرسولية لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول . والبابا خليفة له ، وهذه دعوى غير صحيحة ، بل إنها واهيه كما يقول المعلم « نقولا امبرازى» لان بطرس الذى بنى عليه المسيح كنيسته لم يذهب الى روما بل ذهب الى أنطاكيا ، ومن ثم فالعقل السليم يحكم بسقوط هذا البناء البابوى الواهى المؤسس على الرمل[2] .

---

(١) كنز النفائس ص ١١٤ وما بعدها

(٢) راجع المجمع الثامن المسكونى

(٣) كنز النفائس فى اتحاد الكنائس ص ١٧ ، ١٨

وتسمى كذلك : أم الكنائس ومعلمتهن لان معنى كاثوليك — العام، وتسمى كذلك الغربية اللاتينية : لامتداد نفوذها الى الغرب اللاتيني مثل بلاد : ايطاليا، وبلجيكا وفرنسا، وأسبانيا والبرتغال، وشعوبها منتشرة في أقطار الغرب، كما تسمى كذلك كنيسة « روما » والكنيسة الكاثوليكية[1] .

٢ — مبادىء الكنيسة الكاثوليكية وعقائدها :

١ — تعتقد الكنيسة الكاثوليكية كما تعتقد الكنيسة الارثوذكسية وبقيه الكنائس : بأن الله واحد بثلاثة أقانيم إلهية متساوية في الجوهر والصفات كما بينا سابقا . فالآب إله والابن اله والروح القدس اله[2] .

٢ — يعتقد الكاثوليك بأن للمسيح طبيعتان بعد الاتحاد احداهما لاهوتية والأخرى ناسوتية .

٣ — زيادة « ومن الإبن » في دستور الايمان : أعني إعتقادهم بأن الروح القدس منبثق من الاب والإبن معا .

٤ — تعتقد الكنيسة الكاثوليكية : بالنار المطهرية، أعني — أن نفوس المسيحيين الذين ماتوا تذهب الى مكان تعتقل فيه النفوس للتطهير حتى تصل الى درجة النقاوة، حينما تطهر هناك بتلك النار بواسطة القداديس والصدقات ثم بعد أن تطهر تنتقل الى الملكوت والفردوس . ومن هنا كانت :

---

(١) راجع العشاء الرباني ص ٣٠ هامش . والأسفار المقدسة ص ٨١ ومحاضرات في النصرانية ص ١٦٦

(٢) راجع قررت المجامع المسكونية الأولى

٥ — عقيدة صك الغفران ، وبيعها فى الكنيسة ، وإذ كانت المغفرة حقاً من حقوق الكنيسة الغربية تعطيها لمن تشاء ممن يبتاعون هذه الصكوك[١]: وأن هذه الصكوك كما يقول الأستاذ زكى شنودة : ليس الغفران فيها قاصراً على الأحياء ، وإنما ينسحب كذلك على النفوس القائمة بعد الموت فى المطهر[٢] .

٦ — اعتقادهم أن البابا معصوم من الخطأ ، وهو نائب المسيح على الأرض ، وأنه رأس الكنيسة المنظور ، وأن له تحت سلطانه كنز الاستحقاقات التى فضلت عن المسيح وعن القديسيين ، وأنه يسوغ له أن يبيع من هذا الكنز للمسيحيين بدراهم ، وفضلا عن كونه أعلى رئيس للكنيسة هو أيضاً أعلى رئيس أرضى للسياسة المدينة فهو يسود الجميع .

٧ — تحريم الزواج على جميع رجال الكنيسة : الأساقفة والقسوس والشمامسة : الأمر الذى عمل على تكثير الفجور والفساد فى الكنيسة الرومانية لأن هذه البتولية الإجبارية كما يقول المعلم : « نقولا إمبرازى » هى منافية لنص الكتاب المقدس .

٨ — إتخاذ التماثيل والصور وتقديسها فى أماكن العبادة وتعظيمها والسجود لها .

٩ — تحريم الطلاق حتى فى حالة الزنا .

١٠ — الإعتقاد بتناول جسد المسيح فى العشاء الربانى ، واستبدال

---

(١) يراجع : صكوك الغفران ومجمع اللاتران الرابع : الثانى عشر المسكونى .

(٢) موسوعة تاريخ الأقباط جـ ١ ص ٢٧٨ وكنز النفائس ص ٤٥ .

الخبز المخمر بالفطير ، ومنع عامة الشعب من تناول الدم الكريم وقصر تناول هذا العشاء على رجال الإكليروس وحده .

١١ — تفسير الكتاب المقدس هو مختص بالبابا فلا يجوز لأحد تفسير الكتاب المقدس إلا للبابا وحده فهو أعلى حتى من المجامع [1] .

٣ — الكنائس الغربية المنشقة عن الكنيسة الكاثوليكية :

تمهيـــد :

وكما انشقت الكنيسة الأرثوذكسية على نفسها ، كذلك وجد الشقاق والانقسام فى الكنيسة الغربية الكاثوليكية — وتولدت من تلك الكنيسة — كنائس أخرى لكل كنيسة منها مذهبها ونحلتها التى تدين بها .. ولا نعتقد بغيرها — ومن هذه المذاهب والكنائس كنيسة الكاثوليك القدماء ، والكنيسة الإنكليكانية ، والكنيسة البانسانتية الخ .

كنيسة الكاثوليك القدماء المنشقة

هذه الكنيسه قد انشقت عن الكنيسة الغربية الكاثوليكية على أثر قرار المجمع الفاتيكانى الذى انعقد فى روما عام ١٨٦٩ م . العشرون المسكونى ، حيث قرر هذا المجمع — العصمة للبابا ، أى أنه منزه عن الخطأ فى قوله وحكمه .. فكان لهذا القرار أثره فى بلاد أوربا — والشرق إذا انقسمت الطوائف الكاثوليكية فى هذه البــــلاد — وقام مذهب الكاثوليك القدماء على أيدى أساتذة اللاهوت فى ألمانيا وفرنسا وإيطاليا

---

(١) يراجع عقيدة الكنيسة الكاثوليكية : كنز النفائس فى اتحاد الكنائس ص ٤٤ ومابعدها ص ١٦٠ ومابعدها وموسوعة تاريخ الأقباط حـ ١ ص ٢٧٧ .

وهجروا الكنيسة البابوية ومعتقداتها الجديدة وسموا أنفسهم بالقدماء ليثبتوا أنهم كاثوليك حقيقيون يحافظون على العقائد القديمة ويرفضون البدع المستحدثة فى الكنيسة الغربية ، وعلى هذا فهم يخالفون الكنيسة الكاثوليكية وعقائدها فى :—

١ — رفضوا عصمة البابوية التى قررها المجمع الفاتيكانى العشرون المسكونى .

٢ — رفضوا الاعتقاد بأن مريم ولدت بلا خطيئة .

٣ — ادخلوا فى عقيدتهم اللغة المفهومة من الشعب عوضاً عن اللغة اللاتينية التى كانوا يستعملونها بالإلزام .

٤ — قرروا وجوب انتخاب الاكليروس بصوت الشعب .

٥ — أبطلوا العادة البابوية أن يتناول الشعب الأسرار الطاهرة تحت شكل الخبز فقط .

٦ — عزموا على إبطال بتولية الإكليروس الإجبارية .

٧ — وقفوا فى وجه البابوية وذلك بطلبهم الاتحاد مع الكنيسة الأرثوذكسية إلا أن ذلك لم يتم لاختلافهم فى عقيدة انبثاق الروح القدس — حيث تعتقد الكنيسة الارثوذكسية بانبثاقه من الآب فقط — والكاثوليك القديمة تعتقد بانبثاقه من الآب والإبن «وعلى ذلك فالكنيسة القديمة تعتقد وتتمسك بمذهبها وعقيدتها .. مخالفة بذلك الكاثوليك والأرثوذكس »[1] .

---

(١) كنز النفائس فى اتحاد الكنائس ص ١١٩ وما بعدها .

ثالثاً : الطائفة البروتستانية ومذهبها

١ — المذهب البروتستانتى :

قلنا إن الكنيسة البروتستانتية — قد ظهرت على الوجود إثر مظاهر الفساد التى بدت فى كثير من شئون الكنيسة الكاثوليكية ومناهجها وطقوسها ، وما أحدثته من بدع فى عقائدها حتى قام المصلحون والمحتجون وعلى رأسهم مارتن لوثر فى أوائل القرن السادس عشر وأخذوا يناوئون الكنيسة وعقائدها حتى كان مجمعى « أسبير » عامى ١٥٢٦ ، ١٥٢٩ ، حيث قرر الأول أن يكون لكل أمير الحق فى اختيار المذهب الذى يتبعه فى بلاده فأصبح لأنصار لوثر مذهب يعترف به ، ولكن عندما عارض الامبراطور هذا القرار الذى اتخذه فى مجمع أسبير الثانى ضد اللوثريين قدم هؤلاء احتجاجا ضد القرار الامبراطورى . فعرفوا من ذلك الوقت بالمحتجين أو البروتستانت ، ومنذ هذا التاريخ قام هذا المذهب البروتستانتى ليكون المذهب الثالث من مذاهب الكنيسة [١] .

٢ — مبادىء المذهب البروتستانتى وعقائده [٢] :

أما عن مبادىء هذا المذهب ، فقد أسسها لوثر وأقامها على مبادىء الكتاب المقدس فهى تقول بما قال به الكتاب المقدس والأناجيل فقط ، ومن أجل ذلك يطلق على أصحاب هذا المذهب « الكنيسة الانجيلية » أى أن أصحابها يتبعون الانجيل دون غيره ويفهمونه بأنفسهم ، ولا يخضعون لفهم سواهم به ، ولا تختص بفهمه طائفة دون الأخرى ، بل الكل أمام

---

(١) يراجع مبحث انعقاد المجامع المحلية من أجل لوثر ومجمع ترنت التاسع عشر المسكونى فى رسالتنا « المجامع المسيحية » .

(٢) يراجع مبادىء لوثر .

الانجيل سواء، وهم بهذا يعارضون الكنائس الشرقية والغربية التى تستند إلى تفسير الكتاب المقدس : للالهام لآباء الكنيسة عند الأولى وللبابا عند الثانية وتنتشر البروتستانية فى ألمانيا وانجلترا، والدانمرك وهولندا، وسويسرا، والنرويج، وأمريكا الشمالية[١] .

وتتلخص المبادىء البروتستانتية فيما يلى[٢] .

١ — الإيمان بأن الله واحد بثلاثة أقانيم : الآب اله ، والإبن إله ، والروح القدس اله .

٢ — للمسيح طبيعتان بعد الاتحاد أحدهما لاهوتية والأخرى ناسوتية .

٣ — أن الروح القدس منبثق من الآب والإبن معا كالكنيسة الغربيـــة .

٤ — لا تتقيد إلا بتعاليم الكتاب المقدس، فلا تعترف بتقليد الرسل ولا بآباء — الكنيسة لأنها تعاليم بشرية .

٥ — لا تؤمن بنظام الكهنة ولا بالبخور ولا بالهيكل .

٦ — لا تؤمن بنظام الرهبنة ، وتقول أن عدم زواج الأكايروس هو مناف للكتاب المقدس ولذلك هو مرفوض .

٧ — لا تؤمن بالسجود للأيقونات ولا للقديسين ، وليس للشهداء ولا للقديسين شفاعة ولا معنى للصلاة على الصالحين وطلب الرحمة لهم .

---

(١) الأسفار المقدسة ص ١٢١ وما بعدها ومحضارات فى النصرانية ص ١٨٩ هامش والمسيحية أحمد شلبى ص ٢٤٠

(٢) يراجع مبادىء لوثر وموسوعة تاريخ الأقباط حـ ١ ص ٢٧٥ وما بعدها — والدرة النفسية وشرح حال الكنيسة ص ٣٥٠

٨ ــ لا تعترف بالنظام البابوى: إذ لا يوجد فى الكنيسة البروتستانية القسس وشمامسة، والأسقف والقسيس رتبتهما واحدة عندهم .

٩ ــ لا تؤمن بالأسرار الكنيسة ولا تقول إلا باثنين فقط : سر المعمورية وسر الأفخارستيا ، وان العشاء الربانى لا يتحول إلى جسد المسيح بل يبقى الخمر والخبز على حالتهما ــ والجسد داخل فيها .

١٠ ــ تنكر فريضة الصوم ، وتنكر التبرير بهذه الأعمال الكنيسة ومن ثم تنكر الأعياد جميعها .

الفصل الثالث عشر

« الكنيسة وطقوسها »

أولا : معنى الكنيسة :

جاء فى قاموس الكتاب المقدس عن مدلول هذا اللفظ ما نصه « الكنيسة اسم سريانى معناه : مجمع : أما الكلمة اليونانية المستعملة فى العهد الجديد ، فانها تعنى مجمع المواطنين فى بلاد اليونان التى كانت الحكومة تدعوهم للتشريع أو لأمور أخرى .. وقد استعمل الكتاب الملهمون ، الكلمة نفسها للدلالة على مجمع المؤمنين الذين يعترفون أن يسوع هو رأسهم الأعلى ، فكانوا يجتمعون فى أوقات منتظمة معينة ، أو كما تسمح الفرص للعبادة والصلاة ، ولما تكاثر أتباع المسيح فى مدن متعددة بدأوا فى استعمال كلمة كنائس بصيغة الجمع للدلالة عليهم ، وكانت الجماعة الواحدة فى كل بلد تدعى كنيسة .. وتستعمل لفظة كنيسة الآن : للتميز بين طائفة وأخرى من الطوائف المسيحية إلا أنها لم ترد أصلا بهذا المعنى فى الكتاب المقدس ، ولا يجوز لطائفة الإدعاء ، بأنها هى الكنيسة الوحيدة دون غيرها [1].

ويقول الارشمنديتى جراسيموث ــ القس الأرثوذكسى ــ « معنى الكنيسة فى وضعها الأصلى ، لفظة يونانية: معناها فى الأصل اجتماع أناس كثيرين مدعوين لغرض فى مكان واحد ، ثم أطلق هذا المعنى على الجماعة المجتمعة نفسها ، وخصوصا على جماعة ــ جمهور أصحاب السياسة للنظر فى

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٨٨ ــ ٧٨٩

القضايا المدنية . وأطلق أيضاً على مكان الاجتماع فيه ، وعلى هذا جاء هذا الاسم عند المسيحيين بمعنى جماعة المؤمنين تحت رعاية الأسقف وبمعنى المكان الذى يجتمع فيه المؤمنون مع أسقفهم للصلاة . . وفى أول الأمر كانت فى كل مدينه كنيسة يجتمع فيها الشعب وفى مقدمتهم أسقف »[1] .

ويقول الأنبا يؤانس : « كانت الكنيسة قبل إنعقاد المجامع واحدة . وكانت تسمى الكنيسة المسيحية — إذ كانت المبادىء واحدة ، ولكن — بعد إنعقاد المجامع أخذت الكنائس فى التعدد ، مما جعل الكنيسة المسيحية تعانى من إنقسام وفرقة يظهران فى تعدد الكنائس والمذاهب فى نطاق المسيحية بصورة مذهلة ومخجلة فى آن معا ، وأن إنحراف الكثير منها فى الإيمان أو مبادىء المسيحية الأصلية[2] .

ثانياً : درجات رجال الأكايروس بالكنيسة :

تعنى « الأكايروس اللفظ الأعلى الذى يشمل جميع درجات الكنيسة .. والأكايروس الأعلى كان يعنى فى الأول ثلاث درجات فقط هى : « الأساقفة ، والقساوسة ، والشمامسة[3] ، ثم أضيف إليه بعد ذلك ثلاث درجات أخرى هى : « البابا — والبطريرك — والمطران » —

---

(١) تاريخ الانشقاق ج ١ ص ٢١ وتاريخ الاقباط « شنودة » ج ١ ص ٢٦٣

(٢) الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ص ١١

(٣) لم تكن فى الكنيسة المسيحيه فى عصر الرسل سوى — الأسقف والشماسي — وكان الأسقف هو قسيس والقسيس هو الأسقف « العشاء الربانى . هامش ٢٧

لتصبح درجات الكنيسة ست درجات هي : « البابا — البطريرك — المطران — الأسقف — القس — الشماس »[1] .

١ — معنى البابا :

« البابا — كلمة شرقية محضة ، وأول من سمى بها أسقف الإسكندرية » ، وقال المحققون أنها كلمة عربية الأصل . مترجمة من كلمة بطريرك الأعجمية التي كان يسمى بها أسقف إنطاكيا وحـــده . وقال آخرون : إنها كلمة يونانية الأصل مأخوذة من « باباس » معناها : الآب فقط . وقال ابن البطريق : أنها مركبة من « أب أبا » .. ثم أدرجت إلى « بابا » — وتخففت بلفظ « بابا » . . وقيل إنهـا لفظة يونانية معناها الآب : كان يستعمله النصارى الشرقيون لقبا للقسوس : وكان الغربيون في الأول يلقبون به الأساقفة ، أما الآن فهو مخصوص للحبر الأعظم في روما ، وإن كان يطلق الآن أيضاً .. على بابا الاسكندرية .

٢ — معنى البطريرك : صحة لفظها — « بوريا آرشيش » وهي كلمة يونانية الأصـــل والبناء . . مركبة من « بوريا » بمعنى العشيرة ، « وآرشيس » يعني الرئيس فيكون معناها رئيس العشيرة وأول من سمى بهذا الاسم رؤساء عشائر اليهود ، بعـــد خراب أورشليم ثم أطلق على أسقف أنطاكيا وحده ، وقصد به رئيس الأمة .. ثم اسم البطريرك في أنطاكيا ، والاسكندرية .

٣ — معنى المطران : كلمة يونانية مأخوذة من كلمة « متروبوليس » ومعناها : المدينة الأم . أو الأصلية التي رحل منها قوم ، وأقاموا في

---

(١) تاريخ الانشقاق جـ ١ ص ١٦

غيرها ، فالأولى أم ، والثانية بنت لها .. والمطران : هو أسقف المدينة الأم ، والمتقدم على الأساقفة فى المجامع باعتباره الاسقف الأعلى للمدينة الأم .

٤ — معنى الأسقف : كلمة يونانية أصلها « أبيسكبس » ومعناها : « الرقيب والناظر » كان اليونانيون يسمون بها آلهتهم .. ثم أصبح فى المسيحية — خليفة الرسول فى كل شىء ما عدا الرتبة الرسولية العامة ، وعمله محصور فى رعيته ومكانه فقط ، وله القوة على إقامة القس والشماس .

٥ — أما القس : فهو تحت سلطة الرسل والأسقف يعمل مساعداً = وعمله التعليم وإقامة أسرار الكنيسة .. إلخ .

٦ — والشماس : هو مساعد القس والأسقف فى الخدمة[1] .

ثالثاً : الأسرار الكنيسة :

السر فى المصطلح الكنسى : يعنى عملاً مقدساً به ينال العبد نعمة غير منظورة تحت مادة أو علامات منظورة وهى سبعه :

١ — سر المعمودية : وهو سر مقدس به يولد العبد ميلاداً ثانياً بالماء والكلمه وينال مغفرة جميع الخطايا الأصليه والفعليه السابقه للمعمودية ،

---

(١) درجات الأكليروس . . تاريخ الانشقاق ج ١ ص ١٨ — ٣٣ بإيجاز . أما لفظ « أنبا » فمعناها الأب المخصوص المقصود ذو الفضيلة والنسك . أو ذى الرئاسه النسكيه ولا يعرف لاستعمالها زمن ، وهى ليست من درجات الإكليروس .

وهى الشرط الأول لعضوية الكنيسة ولا يصح التعميد الا بواسطة الكاهن .

وتكاد تتفق كل الطوائف المسيحية على ضرورة التعميد .

أما عن وقت العماد ومكانه : فلم يتفق المسيحيون على وقت التعميد ، فبعضهم يعمد الشخص فى طفولته وبعضهم يعمده فى أى وقت من حياته وبعضهم يجرى التعميد والشخص على فراش الموت .. كما فعل قسطنطين القيصر الذى عمد وهو على فراش الموت على المذهب الآريوسى — كما سبق ذكر ذلك — وذلك اعتقادا منهم بأن التعميد يزيل السيئات ، ويطهر صاحبه من الذنوب[1] .

أما عن طريق التعميد ، فيتم التعميد بتغطيس المتعمد فى الماء ثلاث دفعات ويكون ذلك باسم الثالوث الأقدس « الآب والابن والروح القدس » ولا يجوز العماد بالرش — رش الماء الا فى أحوال المرض — أو الإشراف على الموت .. ولا يصح الا اذا أجرى بيد الكاهن .

ولا يقوم غير الكهنة بالتعميد إلا للضرورة وحينئذ يسمى التعميد تعميد الضرورة ولا تجيز الكنيسة القبطية — بمصر — التعميد بالرش إلا للضرورة كذلك ، وتلزم أن يكون بالتغطيس وأن يكون ثلاث مرات ، الأولى باسم الآب ، والثانية باسم الابن والثالثة باسم الروح القدس «[2] .

والتعميد فى الكنيسة فريضة مقدسة يشترط فيها الغسل بالماء باسم الآب

---

(١) المسيحية — أحمد شلبى ص ١٦٨ والكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ص ٢٣٣—٢٣٤

(٢) موسوعة تاريخ الأقباط ط ص ٨ « زكى شنوده »

والإبن والروح القدس إلى تطهير النفس من أدران الخطيئة بدم يسوع المسيح — وتدل المعمودية على اعترافهم العلنى بإيمانهم وطاعتهم للآب والإبن والروح القدس إلههم ومعبودهم الوحيد ، ولا يجوز أن يعمدوا إلا اذا اعترفوا بإيمانهم جهارا أمام الكنيسة[1] .

ويعمد النصارى بناء على ما جاء فى أناجيلهم من أن يسوع جاء من الجليل إلى الأردن وطلب من « يوحنا » « يحى » أن يعمده .. فعمده يقول النص « حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعمد منه ، ولكن يوحنا منعه قائلا : أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلى ، فأجاب يسوع وقال له : اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل أمر حينئذ سمح له، فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامه وآتيا عليه ، وصوت من السموات قائلا هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت» .

[متى ع ٣ : ١٣-١٧]

وفى النص السابق لهذا النص يقول يوحنا « أنا أعمدكم بماء التوبه ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار » [متى اصحاح ٣ : ١١]

وقد أمر المسيح تلاميذه بالتعميد قائلا لهم: « فإذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم بإسم الآب والإبن والروح القدس ، وعلموهم جميع ما أوصيكم به » . [إنجيل متى]

---

(١) المسيحية — أحمد شلبى ص ١٦٩

٢ — سر المسحة أو : الزيت المقدس :

وبهذا السر ينال المتعمد البركة من الروح القدس إذ يمسح الكاهن بيده من هذا الزيت على المتعمد بعد تغطيسه فى الماء فيحل عليه الروح القدس .. ويصنع هذا الزيت من القرنفل والقرنة والزعفران والعود الهندى .. ويتولى الكهنة دق هذه الأشياء وطحنها ثم يضيفون إليها الخميرة ويجعلون منه دهنا مقدسا خاتما للمعمودية .

٣ — العشاء الربانى أو : الأفخارستيا :

ويرمز به إلى عشاء المسيح الأخير مع تلاميذه إذا قسم معهم الخبز والنبيذ ، فالخبز يرمز إلى جسد المسيح الذى كسره لنجاة البشرية ، والخمر يرمز إلى دمه الذى سفك لهذا الغرض ، فمن أكل هذا الخبز وشرب من هذه الخمر فان الخبز يتحول إلى جسد المسيح والخمر إلى دمه فكأنه أكل لحم المسيح وشرب دمه فيحصل امتزاج بين الآكل: الانسان ،والمأكول الطعام الذى هو المسيح ، وهذا قالت به الكنيسة الكاثوليكية الغربية التى تعتقد بأن من أكل العشاء الربانى فكأنه أكل المسيح ذاته ،ومن أجل ذلك قصرت الكنيسة هذا السر على رجال الإكليروس ، أما الكنيسة الشرقية الأورثوذكسية فتعتقد بأن العشاء يتحول بطريقة سرية إلى ذات لاهوت المسيح وناسوته وأنه لا يعتقد إلا لأشقياء بينما الكنيسة البروتستانتية لا تؤمن بهذا التحول ولا بالعشاء الربانى[1] ، وإن تعجب فعجب لهذه الأسرار .

---

(١) العشاء الربانى : عوض سمعان ص ٣١

٤ — سر التوبة «أو الاعتراف» :

وهو السر المختص بفعالية الروح القدس فى الخاطىء التائب .. أى أنه إذا فعل — الإنسان خطأ وذهب إلى الكاهن واعترف بخطئه وذنوبه فإن الكاهن يمنحه غفران الذنوب والخطايا وسلام النفس فى صلاة التحليل التى تحله من ذنوبه وأخطائه .

ومن هذا السر : أخذت البابوية «صكوك الغفران» الذى آمنت به واعتقدته ، ودعت الناس إليه وكان ذلك من أسباب فساد الكنيسة الغربية البابوية .

٥ — سر مسحة المرضى :

وهو سر يمسح الكاهن بمقتضاه المريض بالزيت المقدس ، ويستمد له الشفاء من الله مادياً وروحياً ..

٦ — سر الزواج :

وهذا السر الذى يتم بموجبه عقد زواج شرعى بين الرجل والمرأة ليكون وسيلة لتجنب طريق الفساد ، وقد جعله المسيح سراً من الأسرار . إذ قال : فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان ولا يصح الطلاق على يد الكاهن ويجب أن يكون فى الكنيسة .

وقد اختلفت الكنائس فى أمر الزواج وتشريعاته .. فالكنيسة الغربية حرمت الزواج مطلقاً على جميع رجال الكنيسة «الاكايروس» الأمر الذى عمل على انتشار الفساد — البابوى .

وقد عارضت بذلك الكنيسة البروتستانتية معارضة قوية وأحلت الزواج لرجال كنيستها أما بالنسبة للرجل الذى توفيت زوجته فإن الكنيسة الأرثوذكسية حرمت الزواج الرابع له وأجازت الزواج

الثالث إن لم يرزق أولاداً على نحو ماسبق بيانه فى مجامع الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية [١] .

٧ — سر الكهنوت :

وهو عمل مقدس به يضع الأسقف يده على رأس الشخص المنتخب لخدمة الكنيسة فينال النعمة الإلهية التى ترفعه إلى إحدى درجات الكنيسة[٢] .

« طقوس الكنيسة »

الطقوس فى اصطلاح الكنيسة هى مجموعة الصلوات والابتهالات التى تتم فى الاحتفالات الكنسية ويتلوها الكاهن ومساعدوه فى أداء الأسرار المقدسة .

وقد وجدت الطقوس فى الكنيسة منذ عهد الرسل ، ونصت عليها قوانين المجامع المسيحية ..

ومن هذه الطقوس .

١ — واجب السجود أمام الهيكل بمجرد دخول الكنيسة [٣] .. ومن هذا الطقس . . يمكن أن نفهم اعتقاد الكاثوليك باتخاذ التماثيل والصور وتقديسها فى أماكن العبادة وتعظيمها والسجود لها وهو ما اتخذته فى قرار

---

(١) يراجع عقائد الكنيسة .

(٢) الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ص ٢٣١—٢٤٣ . وموسوعة تاريخ الأقباط حـ ١ ص ٢٦٥—٢٧١ .

(٣) موسوعة تاريخ الأقباط حـ ١ ص ٢٦٤ قوانين الرسل والمجامع

مجمعها «السابع المسكونى» .. وقد عارضت ذلك الكنيسة البروتستانية — حيث لا تعتقد فى السجود للصور ولا للأيقونات «التماثيل»[1] .

ومن هذا الطقس أيضاً — يمكن أن نفهم تقديس المسيحيين للصليب حيث اعتبروه قلب المسيحية النابض واعتبروا المسيحية هى الصليب والصليب هو المسيحية[2] .. حتى اعتبروه شعارهم فى كل أمورهم الدينية والدنيوية .. فقدسوه فى الصـــلاة وحملوه على صدورهم فى الحروب الصليبية وغيرها[3] . وكان السبب فى ذلك «هيلانة» أم قسطنطين التى زعمت أنها أتت بمخلفات عملية الصلب عند زيارتها لأورشليم .. فأرادت أن تحمل المسيحيين على تقديس العادة الرومانية عندهم والتى كانت تجعل حمل الصليب دليلا على صدور الحكم بالإعدام صلباً[4] .. ومن هنا حافظ المسيحيون على الصليب وقدسوه بحمله وحفظه والسجود له وجعلوه شعاراً لهم .

٢ — ومن هذه الطقوس : أداء الصلوات :

---

(١) يراجع عقائد الكنائس .

(٢) صلب المسيح وآراء الفلاسفة الغنوسطيين ص ١١٨ .

(٣) فى مجمع كليرمونت سنه ١٠٩٥م الذى اجتمع لشن الحملة الصليبية على المسلمين علق البابا إشارة الصليب لكل جندى على ذراعه الأيمن وبذلك أصبح هـذا الصليب شعار هذه الحروب أنظر تاريخ العصور الوسطى فى الشرق والغرب . تأليف د/ حسن إبراهيم حسن . وأحمد الصادق الطنطاوى ط ٢ سـنة ١٩٣٣ م دار الطباعة الأهلية . القاهرة ص ١٧١ .

(٤) المسيحية «أحمد شلبى» ص ١٧١ .

من أهم الطقوس الدينية فى الكنيسة – الصلاة التى يتوجه بها النصارى إلى المسيح – كما جاء ذلك فى الأناجيل – يقول المسيح – « الحق أقول لكم إن كل ما طلبتم من الآب باسمى يعطيكم – إلى الآن لم تطلبوا شيئا باسمى أطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا » .

(انجيل يوحنا ١٦ – ٢٣ ، ٢٤)

ويقول بولس إلى أهل أفسس : « ولكن الآن فى المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلا بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح لأنه هو سلامنا الذى جعل الإثنين واحدا » . (الإصحاح الثانى – ١٣ ، ١٤)

وفى انجيل مرقص « لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم ، ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شىء لكى يغفر لكم أيضا أبوكم الذى فى السموات » .

(انجيل مرقص اصحاح ١١ ، ٢٤ ، ٢٦)

يقول صاحب الأصول والفروع « للصلاة باسم المسيح معنى أرق ، وهو أن الاسم يمثل دائما المسمى ، فتكون صلاتنا باسم المسيح تمثل وحدته معنا بحيث تكون طلباتنا طلباته ، وصلاحنا صلاحه ، وحياتنا حياته وبالجملة كأنه يحيا فينا ولأجلنا »[1] .

ويقول صاحب الوصايا العشر « ونحن حين نصلى نختم صلواتنا « باسم المسيح » وقد قال له المجد « مهما طلبتم باسمى » ومعنى هذا أن كل طلبة لا تتفق وإرادة المسيح وصفاته لن تستجاب لأن الإسم يعبر عن الذات والصفات والإرادة »[2] .

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٢٧

(٢) الوصايا العشر فى العصر الحديث – حبيب سعيد ص ٥٩

وليس للصلاة عدد معين ، كما أنه ليس لها مواقيت معلومة ، بل كل ذلك قيد وكل إلى المصلى ونشاطه ورغبتـــه فى العبادة حسب ما جاء فى الأناجيل : « وقال لهم أيضا مثلا فى أنه ينبغى أن يصلى كل حين ولا يمل».

(انجيل لوقا ١٨ : ١)

وفى رسالة يولس الأولى إلى أهل تسالوتيكى « صلوا بلا انقطاع » .
(ح ٥ : ١٧)

وليست للصلاة عبارات خاصة بل يترك ذلك للمصلى بأن يقرأ مايشاء من الأناجيل بشرط أن لا تخرج الصلاة عن القاعدة التى علمتها الكنيسة إياهم وهى الصلاة المسماة بالصلاة الربانية ، وهى التى ذكرت فى الإصحاح السادس من انجيل متى (فصلوا أنتم هكذا : أبانا الذى فى السموات : ليتقدس أسمك : ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم ، واغفرلنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا ، ولا تدخلنا فى تجربة ، لكن نجنا من الشرير ، لأن لك القوة ، والمجد إلى الأبد آمين » .

(انجيل متى ح ٦ : ٩ — ١٣)

وكثيرا ما يقرأ آباء الكنيسة « الأمانة » التى قررتها المجامع المسكونية الأولى : والمسماة عندهم بدستور الإيمان ، فلاصلاة لأحدهم إلا إذا أعتقد بما فى هذه الأمانة وحفظها قلبا وقالبا ، ونصها : « نؤمن بالآله الآب ، والإله الابن ، والإله الروح القدس : إله حق من جوهر أبيه الحق — أحدية فى تثليث وتثليث فى أحدية ، ونؤمن باله واحد ضابط الكل ، ما يرى ومالايرى ، ونؤمن برب واحد ، يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق مساو للآب فى الجوهر الذى كان به كان كل شىء ، هذا الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء ، وتجسد من

الروح القدس، ومن مريم العذراء تأنس وصلب على عهد بيلاطس النبطى، وتألم وقبر، وقام من الأموات فى اليوم الثالث، وصعد إلى السموات وجلس على يمين أبيه ويأتى ليدين الأحياء والأموات الذى ليس لملكه انقضاء»[1].

ومرة يصلون بالأمانة التى تمجد العذراء والتى فيها «نعظمك يا أم النور الحقيق، ونمجدك أيتها القديسة والدة الإله لأنك ولدت لنا مخلص العالم، أتى وخلاص نفوسنا، المجد لك ياسيدنا وملكنا المسيح فخر الرسل، أكاليل الشهداء، تهليل الصديقين، ثبات الكنائس غفران الخطايا، يبشر بالثالوث الأقدس لاهوت واحد، نسجد له ونمجده يارب ارحم يارب بارك آمين»[2].

ومع هذه القراءات يرسمون الصليب وعلامات التثليث على وجوههم وصدورهم وإذا كانت تعاليم الأناجيل قد أمرت النصارى بأن لا يملوا من الصلاة وأمرتهم أن يصلو بلاانقطاع إلاأن الكنيسة فى العصر الحديث قد حددت الصلاة بسبع صلوات فى اليوم والليلة هى: صلاة باكر، وصلاة الثالثة والسادسة، والتاسعة، والحادية عشرة، والثانية عشرة ثم صلاة نصف الليل.

وفى صلاة باكر — أى الصباح: يطلبون بركة الرب — يسوع المسيح — ويرفع القسيس البخور، ويرنم ما شاء من الترانيم داخل الكنيسة وفى بعض الصلوات يفضلون تقديم الحمل، وهو عبارة عن طبق يقدم إلى الكاهن وعليه ثلاث قربانات خالية من الحبوب فيختار الكاهن واحدة ويمسها بقليل من الماء رمزا للتعميد — التغطيس — ثم

---

(١) علم اللاهوت مجلدا ص ٢٩٥، وعصر المجامع ص ٦٤

(٢) موسوعة تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٦٢

يضعها فى صينية ومعها الخمر والماء — العشاء الربانى — ثم يسجد للهيكل إلى أن تتم خدمة القداس ، ويغطى الجميع بستر كبير رمزا الدفن المسيح ، وتأمر الكنيسة بتقديم الذبيحة المقدسة يوميا على مدار السنة ما عدا الثلاثة أيام الأولى من أسبوع الآلام »[١] .

تقاليد الكنيسة

ومن أهم تقاليد الكنيسة — الصوم والاحتفال بالأعياد المقدسة .

(أ) أما الصوم : فهو امتناع الإنسان عن الطعام وقتا معينا من النهار ثم اقتصاره بعد ذلك على مأكولات خالية من الدسم .

ومن أهم الأيام التى يجب الصيام فيها :

١ — صوم الرسل : وعدد أيامه يزيد وينقص حسب التقاليد المتفق عليها فى المجامع المسكونية الأولى — لضبط عيد الفصح وتتراوح مدته بين خمسة عشر يوما وتسعة وأربعين يوما[٢] .

٢ — صوم السيدة العذراء مريم : ومدته خمسة عشر يوما[٣] . . . وذلك لتعظيمها وتقديسها ،

كما نص على ذلك « دستور الإيمان » خاصة الجزء الأول منه والذى وضعه مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ م . المسكونى الثالث : حيث وضع

---

(١) موسوعة تاريخ الأقباط جـ ١ ص ٢٦٤ وما بعدها .
(٢) السابق ص ٢٧٢
(٣) السابق نفس الصفحة .

مقدمة هذا الدستور التي تعظم العذراء مريم حيث يبدأ بقوله : تعظيمك يا أم النور الحقيقي ونمجدك أيتها القديسة والدة الإله[1] .. ومنذ هذا المجمع والمسيحيون يقدسون العذراء ويضعونها فى مرتبة الألوهية ... بل وصل الأمر إلى اعتقاد المسيحيين الأقباط بمصر أن السيدة العذراء تظهر للناس فى الكنائس وتشفى الأمراض.. وكان ذلك فى عام ١٩٦٨م. وبعد الهزيمة التى حلت بمصر سنة ١٩٦٧ م. إذ رأى هؤلاء أن القيادة السياسية آنذاك كانت تتلمس الطريق لأرضائهم ولو على حساب الحق والإسلام .. فلم يضيعوا هذه الفرصة ، وأرادوا أن يكسبوا جولة من النصر ، فادعوا أن العذراء ظهرت للناس ، وأعادت الأبصار للعميان والقوة للكسيح .

وقد رد الكاتب المسيحى «أنومنباردوس» على هذه الخرافات والترهات ، قائلا : ليس بحال من الأحوال أن تظهر العذراء ، لأنها لم تكن تشفى المرضى وهى حية فكيف يتأتى منها ذلك وهى فى موتها .. ثم يقول : إنه لو حدث ظهور للعذراء لاسرع البطارقة والقساوسة من كل مكان للسجود لها ثم تبين أن هذه الابتزاءات كانت سببا فى كارثة بشرية حيث أنه قتل فى يوم ١٩ مايو سنة ١٩٦٨ م. وطأ تحت الاقدام حوالى خمسة عشر شخصا فى زحام داخل الكنيسة بشبرا ، وبهذا الحدث الجلل توقف هذا الباطل وقطعت ألسنة الكاذبين[2].

وصدق الله العظيم الذى برأ العذراء من هذه الافتراءات الكاذبة حيث قال وهو أصدق القائلين: «ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت

---

(١) يراجع : قانون الإيمان الذي وضعته المجامع المسكونية الثلاثة الأولى .

(٢) المسيحية «أحمد شلبى» ص ١٠١ — ١٠٢ بتصرف وإيجاز .

من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف تبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون »[1] .

(ب) أما الاعياد التى تحتفل بهـا الكنائس : اكراما للمسيح أو القديسين : فهى قسمين :

١ — الاعياد السيدية السبعة الكبيرة — وسميت سيدية نسبة إلى السيد المسيح وأهمها :

عيد الميلاد فى ٢٨ أو ٢٩ كيهك ، عيد البشارة فى ٢٩ برمهات ، عيد الغطاس فى ١١ طوبة . إلخ . . تلك الاعياد المستحدثة[2] .

٢ — الاعياد السيدية السبعة الصغرى وأهمها : عيد الختان — وهذا العيد خاص بالكنيسة القبطيه التى تعظم الختان ، وتعمل به مخالفة بذلك أوامر بولس وقرارات مجمع أورشليم المحلى سنة ٥٠ م . الذى قرر عدم الختان على ماسبق بيانه فى ذلك المجمع . أما باقى الكنائس فقد أخذت بقرارات المجمع ، وبأوامر بولس لهم بعدم التمسك بالختان لان الختان ختان القلب وليس ختان القلفة[3] .

---

(١) سورة المائدة الآية ٧٥

(٢) موسوعة تاريخ الاقباط ج ١ ص ٢٧٤ .

(٣) يراجع المجمع الاورشليمى أول المجامع المسيحية المنعقد عام ٥٠ وكذلك عقائد الكنيسة القبطية .

الفصل الرابع عشر

الكنيسة وطقوسها فى الميزان

أولا : الكنيسة فى الميزان :

هل أنشأ المسيح عليه السلام الكنيسه ، وهل أمر أتباعه بتلك الطقوس ، وهل كان عيسى يصلى بصلاة ليس فيها ركوع ولا سجود ولا قنوت ، وهل يحى هو الذى عمد عيسى وهل التعميد الموجود بالكنيسة هو الذى أمر به المسيح ... الخ .

للإجابة على هذه التساؤلات : يقول : صاحب المسيحية نشأتها وتطورها ناقضا كل ذلك من أساسه : « إن المسيح لم يؤسس الكنيسة ولم يردها ولم « ينشئها وأنه لم يكن ليعمل فكره لحظة واحدة فى رسم خطوط ما نسميه « الكنيسة » وأنه لم يصنع من الحواريين « قساوسة » حيث أنه لم يكن فى حاجة إلى ذلك ولم يفكر الحواريون فى إنشاء الكنيسة ، إذ ظلوا على إخلاصهم للدين اليهودى — الموسوى — وداوموا بكل دقة على شعائره مؤمنين أيضاً بأن المستقبل لمملكة الله وليس لكنيسة ما » «

ويواصل شارل جنيبر قائلا : « والنصوص الإنجيلية لم تنسب قط إلى المسيح تعبيرا مثل : كنيستى » أو : كنيسة الآب » وما نسب إليه مما جاء فى إنجيل متى « وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى » [إنجيل متى ١٦/١٨ — ١٩]. لا يمكن الإعتماد على صحته وإن النصوص والأحداث فى تسلسها لتدل دلالة قاطعة لا تقبل الجدل على أن أسبقية بطرس التى يقول فى إنجيل متى أن عيسى قد صرح بها ، لم يكن لها أى حظ من الواقع ولم توجد قط» .

ويتابع شارل جنيبر الحديث عن نشأة الكنيسة فيقول : ويمكن القول

بأن فكرة الكنيسة نشأت عن إنتقال الأمل المسيحى من فلسطين إلى ربوع العالم اليونانى ووسط الإضطهادات التى لحقت بالأتباع وجدنا الأتباع يطلقون على أنفسهم فيما بينهم كلمة الأخوة، والصلاة الجماعيه، وطقوس المعرفة، وشعائر القلوب، والقديسيين . . . وحتى القرن الثانى الميلادى : لم تكن الكنيسة فى الواقع قد بلغت سوى طور الأخوة » بين المؤمنين المشتتين ولم تكن الكنيسة قد تطورت بعد فى تنظيم يبرز كيانها المادى » . ويرجع شارل جنيبر إنشاء الكنيسة إلى النظام الرومانى الذى كان سائدا فيقول :

« قد وجدت منذ زمن بعيد فى قسمى الإمبراطورية الرومانية اللاتينى والرومانى جماعات وإتحادات دينية أنشئت من أجــل غرض واحد : التعاون فى الخير أو الحث على التقوى، وسميت عند اليونان بـ «الأراق» أو «التياس، وعند الرومان بـ «الكوليجا» ... وكان المسيحيون على علم بهذا النظام فتأثروا به ونقلوه إلى المسيحية ثم يفسر شارل جنير الوظائف التى سادت الكنائس مبينا أنها أخذت النظم السابقة واللغات الشائعة : فكلمة : «قس» فى النظام الكنسى أصلها : بريستيروس — أبى شنج] وكلمة أسقف : أصلها أبيسكوبوس » أى مشرف . وكلمة شماس : أصلها : دياكونوس أى خادم ولذلك نلحظ أنه فى أول الأمر لم تكن هناك درجات للسلم الكنسى غير ذلك . ثم تطورت وترقت إلى درجات أخرى حسب الزمان والمكان .

يقول شارل جنيبر : ولما تمت المعالم الكنسية واتخذت مراسم الشعائر فيها مكانا ممتازا أضيف شيئاً فشيئاً ألوان جديدة من الوظائف الثانوية المتخصصة إلى هيئة رجال الإكايروس[1] .

---

(١) راجع المسيحية نشأتها وتطورها : الفصل الثامن تحت عنوان : تأسيس وتنظيم الكنيسة من ص ١٢٩ — ١٤٩

وتكفى شهادة واحد من القوم بأن المسيح عليه السلام لم ينشىء الكنيسة ولم يردها ولم يأت بأى نوع من أنواع الطقوس الكنيسة .

ثانياً : الصلوات الكنسية فى الميزان :

أما عن الصلاة :

فقد بين القرآن الكريم : أن المسيح عليه السلام : نطق فى المهد صبيا قائلا : وأوصانى بالصلاة[١] ، وهى أى الصلاة المعهودة التى يعرفها القوم من الأنبياء السابقين خاصة موسى عليه السلام : وهذه الصلاة كانت ذات ركوع وسجود وقنوت وليس أدل على ذلك من أن مريم أم المسيح عليه السلام كانت تؤدى هذه الصلاة فى بيت المقدس والجميع كان يعرف ذلك جيداً وقد شهد القوم وعلى رأسهم زكريا النبى بذلك لما دخل عليها المحراب وكانت تصلى الصلاة التى أمرها الله بها على لسان الملائكة قال تعالى : وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين[٢] » .

فقد كانت مريم أم المسيح تصلى بالصلاة التى جاءهم بها موسى عليه السلام وموسى عليه السلام كان قد أمر بها بنى إسرائيل وكانت هذه الصلاة ذات ركوع وسجود قال تعالى على لسان موسى لقومه « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين[٣] » وهذه الصلاة التى أمر

---

(١) سورة مريم (٣١)
(٢) سورة آل عمران [٤٢ ، ٤٣]
(٣) سورة البقرة (٤٣)

الله بها موسى عليه السلام هي الصلاة المعهودة التي أمر الله بها أنبياءه ورسله جميعاً حيث كان الجميع يؤدى الصلاة بركوع وسجود وقنوت لله رب العالمين قال تعالى لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام : « طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود » « سورة البقرة (١٢٥) »

والمسيح عليه السلام واحد من هؤلاء المصطفين الأخيار الذين أمرهم الله بالصلاة المعهودة ومن ثم فلا تخرج صلاة المسيح عن صلاة الرسل والأنبياء جميعاً . فقد كان المسيح يصلى بالصلاة التى كان عليها الأنبياء والرسل السابقين ، وكان يصلى بالصلاة المعهودة التى هى ذات ركوع وسجود وقنوت والتى كانت تصليها مريم أم المسيح كما أخبر القرآن الكريم . . ثم إن هذه الصلاة كانت تؤدى لله الواحد القهار لا للإله المكون مثلا من ثلاثة أقانيم الآب والإبن والروح القدس ، وهذا ماشهد به القرآن الكريم . فوسي عليه السلام يقول له ربه : « إنه لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى »[١] وقال موسي لبنى إسرائيل « اجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة »[٢] . . وقال الله لبنى إسرائيل « لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة »[٣] وعيسي عليه السلام أمر بنى إسرائيل قومه: أن يؤدوا عباداتهم لله رب العالمين وقد قال لهم كما أخبر القرآن الكريم : « يابني إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار »[٤] ويشهد القرآن الكريم بأن عيسي برىء كل البراءة من هذه الآلهة التي يتوجه إليها النصارى فى صلاتهم فالمسيح ما أمرهم بهذه الصلاة ولا أمرهم بالتوجه بالعبادة إلي غير الله ولكنه قال لهم ما أمره الله به « ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا

---

(١) سورة طه (١٤) . (٢) سورة يونس (٨٧) .

(٣) سورة المائدة (١٢) . (٤) سورة المائدة (٧٢) ، (١١٧) .

الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد »(١) .

ومن أجل ذلك حكم الله بكفر هؤلاء الذين يتوجهون بالعبادة إلى غير الله : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم »(٢) « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم »(٢) .

ثالثاً : التعميد فى الميزان :

وأما التعميد الذى جعلته الكنيسة سراً من أسرارها وطقساً من طقوسها فإن المسيح عليه السلام لم يأت به ولم يأمر حوارييه بهذا التعميد بل إن يوحنا لم يعمده على هذا النحو المعروف لدى النصارى ، والدليل على ذلك النصوص الواردة فى أناجيل القوم فقد جاء فى إنجيل مرقص حيث كان المسيح يمشى : « أقبل إليه رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ ، وقالوا له بأى سلطان تفعل هذا ، ومن أعطاك هذا السلطان حتى تفعل هذا فأجاب يسوع وقال لهم : وأنا أيضاً أسألكم كلمة واحدة أجيبونى فأقول لكم بأى سلطان أفعل هذا معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس . أجيبونى : ففكروا فى أنفسهم قائلين إن قلنا من السماء يقول : فلماذا لم تؤمنوا به ، وإن قلنا من الناس فخافوا الشعب لأن يوحنا كان عند الجميع أنه بالحقيقة نبى ، فأجابوا وقالوا ليسوع لا نعلم ، فأجاب يسوع وقال لهم ولا أنا أقول لكم بأى سلطان أفعل هذا » .

[إنجيل مرقص ح ٢٨/١١ إلخ الإصحاح]

(١ ، ٢) سورة المائدة (٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤) .

فالمسيح هنا يعترف بأن المعمودية ليست من عند الله عز وجل ولو كانت من الله لبينها ووضحها ، ولما سكت عنها ولأجاب القوم على سؤالهم فالنبي ما سمي نبياً إلا لأنه يخبر الناس بما أنبأه الله به مصداقاً لقوله تعالى « من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير » [سورة التحريم ٣]

أما أن يوحنا هو الذى عمد عيسى : فالنصوص الإنجيلية أيضاً تكذب هذا ففى إنجيل يوحنا يقول يوحنا « أنا أعمدكم بماء التوبة ، ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه هو سيعمدكم »[١] .

فهو نص صريح يبين أن يحيى ما عمد أحداً لا المسيح ولا أتباعه بل إن المسيح هو الذى سيعمد الناس لأن يحيى سيكون تابعاً لعيسى وليس العكس .

والذى يرجع إلى كتب التفسير يتبين له جلياً : أن يحيى وعيسى عليهما السلام كانا متزامنان أى فى زمن واحد يقول ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله تعالى « مصدقاً بكلمة من الله » (الآية ٣٩ من سورة آل عمران) كان يحيى وعيسى ابنى خالة وكانت أم يحيى تقول لمريم ساعة حملها « إن الذى فى بطنى يسجد للذى فى بطنك » فذلك تصديق له فى بطن أمه وهو يعنى أن يحيى أول من صدق بعيسى عليه السلام »[٢] .

والحق الذى يجب أن نؤمن به ونعتقد أن الكنيسة قد جاءت بكثير من عقائدها وطقوسها من أصحاب الديانات السابقة عليها وإذا كانت قد جاءت بعقيدة التثليث من أصحاب الديانات السابقة على النصرانية

---

(١) إنجيل متى (ح ٣ : ١١) .
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٣٦١

فإن التعميد قد ادخلته الكنيسة فى طقوسها حيث علم آباء الكنيسة هذا التعميد من أصحاب الملل الأخرى وهذا ما أكده مؤرخوا الكنيسة النصرانية :

يقول صاحب كتاب [تاريخ مرقص البشير] . جاء فى كتاب عبادة الآلهة فى الاسكندرية عن معمودية التوبة والتطهير من الخطايا بالغسل والرش ما يأتى :

١ — معمودية التوبة أو الغسل بالماء : أن أول الإختيارات الاستغفار الذى به ينتقى به النفس هو التطهير بالماء حيث يقود الكاهن الأكبر طالب الغفران متبوعا بموكب من المؤمنين إلى حمام موجود بجوار المعبد وهناك يغطس الطالب المذكور فى حوض مخصوص لهذا الغرض ثم يقوم الكاهن المرشد بتلاوة صلاة خاصة إلى الآلهة ثم يسكب الماء على كل جسم طالب الغفران .

٢ — التطهير برش الماء : ويكون بالاحتفال بتقديم القربان .. أمام مقصورة الآلهة وفى ساحة المعبد الموجود فيها المذابح المختلفة فيدور الكاهن حولها وهو يتلوا الصلاة المعتادة ، ويرش الماء المأخوذ من عين سحرية جارية بلا شك من النيل » .

٣ — تقديس الماء : إن الشخص الرئيس فى مشهد تقديس الماء الذى يستلفت النظر هو الكاهن أمام مقصورة الإله فى المعبد ، ولم يكن هذا الكاهن سوى صورة الإله نفسه »[1] .

والذى ينظر فى التعميد الذى كان موجودا فى المعتقدات المصرية القديمة تلك يجده بنصه وعينه هو الموجود فى الكنائس النصرانية الآن .

---

(١) تاريخ مرقص البشير — كامل صالح نخله ص ٨٥ ، ٨٦ بتصرف بسيط .

وصدق الله العظيم « يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون » [سورة التوبة ٣٠]

ومن ثم رد الله على هذه الطقوس وتلك العقائد الكنسية قال تعالى : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » [سوره البقرة ١٣٩]

يقول الإمام القرطبي : فيه مسألتان : الأولى قوله تعالى : صبغة الله قال الأخفش وغيره : دين الله : أى الزموا دين الله واتبعوه . والثانية أن النصارى ومن قبلهم اليهود يصبغون أولادهم بالنصرانية واليهودية وأن صبغة الله الإسلام »(١) .

وروى عن مجاهد والحسن وأبي العالية وقتادة: الصبغة : الدين وأصل ذلك أن النصاري كانوا إذا ولدلهم ولد فأتى عليه سبعة أيام غمسوه فى ماء لهم يقال له ماء المعمودية مصبغوه بذلك ليطهروه به . فاذا فعلوا ذلك قالوا : الآن صار نصرانيا حقا فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله : صبغة الله أى صبغة الله أحسن صبغة وهى الإسلام ، فسمى الدين صبغة استعارة ومجازا من حيث تظهر أعماله وسمتـــه على صاحبه كما يظهر أثر الصبغ فى الثوب »(٢) قاله كثير من المفسرين .

فقد أمرنا الله تعالى أن نرد على اليهود والنصارى بما تفضل به علينا من الايمان به عز وجل وبرسوله ﷺ فى قوله تعالى « كونوا هودا أو نصارى تهتدوا » بما أمرنا الله به فى قوله تعالى : « بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين قولوا آمنا بالله »(٣) .

(١،٢) الجامع لاحكام القرآن ص ٣٤ [تفسير سورة البقرة]

(٣) الفطرة ووظائفها فى الاسلام ص ٥٧ ، ٥٨

ثم اكد الآية السابقة بقوله تعالى « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » [سورة البقرة ١٣٨]

« ولما كانت الأديان متعددة قال تعالى « ومن أحسن من الله صبغة أى لا صبغة بمعنى لا دين ولا لون عليه بنو الإنسان أحسن من دين الله الذى بعث به سيدنا محمد ﷺ بعد بعثه الرسل السابقين ، فما جاء به رسول الله ﷺ أكمل وأحسن من كل دين جاء به الأنبياء السابقون . أما الأديان الوضعية التى وضعها البشر من عند أنفسهم سواء فى ذلك أهل الكتاب أو أهل الضلالة من المجوس أو الصائبة أو الجاهلية الأولى فهى ضلال وكفر صراح ، ولا مناسبة بينه وبين دين الله تعالى[1] .

وقوله تعالى : ونحن له عابدون » يعنى اننا جميعا نخصه بالعبادة و نفرده بها دون غيره بعد أن انكشف لعقولنا آياته العلية وحججه الجلية وبعد أن ظهر لنا بطلان سوى هذا الدين بالدليل العقلى والنقلى » .

وتلك الصبغة هى الملة والدين والفطرة التى فطر الله البشرية عليها : إنها الإسلام الدين الذى فطر الله البشرية عليه وأقامها عليه وبعث به الأنبياء والرسل من أول آدم عليه السلام إلى خاتمهم محمد ﷺ ومن ثم كان سياق الآيات من سورة البقرة « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا

---

(١) الفطرة ووظائفها فى الإسلام ص ٨٥،٥٧

يعملون ، وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » الآيات من سورة البقرة [١٣٠ — ١٣٩]

الخاتمـــة

بعد هذه الدراسة المقارنة فى النصرانية فإنه يتضح لنا جليا تلك الحقائق التالية :

١ — أن عيسى عليه السلام « ما كان بدعاً من الرسل » ولكنه كان كغيره من المصطفين الأخيار — إنسان بشر رسول ، وأنه ولد من مريم الإنسان التى كانت تأكل وتشرب وهو كذلك كان يأكل ويشرب وكل من يأكل ويشرب يستلزم أن يخـــرج الفضلات ولابد له من التبول والتبرز ، وعيسى عليه السلام وأمه مريم — كانا كذلك كما أخبر القرآن الكريم « كانا يأكلان الطعام » فحاشا لهما أن يكونا إلهين بل هما حادثين والحادث لابد له من محدث أوجده وهذا المحدث هو الله عز وجل لذا نفى الله عن مريم والمسيح صفة الألوهية وأوجب لهما الإنسانية والعبودية . قال تعالى : « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون » .

سورة المائدة [٧٥]

٢ — أن المسيح عليه السلام : كان آخر أنبيـــاء بنى إسرائيل ، وقد جاء إلى قومه بنى اسرائيل بكتاب هو الإنجيل ، وأن هذا الإنجيل كان هدى ونوراً وشرعاً لبنى اسرائيل وفيه بشر المسيح برسالة محمد ﷺ وذكر فيه اسم الرسول وصفاته وصفة الصحابة رضى الله عنهم وصفات أمة محمد ﷺ كما جاء ذكر ذلك فى سورة الصف وسورة الأعراف وسورة الفتح « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم . . . . الخ الآيات . . . . . » . سورة الفتح [٢٩]

٣ — أيد الله رسوله عيسى عليه السلام بمعجزات كثيرة من أهمها خلق عيسى نفسه من أم بلا أب وحمله وولادته وكلامه فى المهد ثم رفعه إلى السماء بخلاف ما فصله القرآن الكريم فى سورتى المائدة وآل عمران، وما كانت هذه المعجزات إلا لأن القـوم — أنكروا وجود الروح وما يتعلق عليها من البعث والحساب والجنه والنار فناسب أن يأتيهم رسول الله عيسى بتلك المعجزات حتى يؤمنوا بالروح وما يترتب عليها من البعث والحساب والجنة والنار، وكأنه يقول لهم يامن تنكرون وجود الروح هـذا طين على صورة طير فانفخوا فيه جميعاً : إنكم لا تستطيعون أن تجعلوه طيراً تدب فيه الحياة : إنه جماد لا يتحرك — ولكن عالى رسول الله فالله يأمرنى أن ينفخ فيه فتدب الحياة فيه بواسطة الروح التى لا يعرف كنه حقيقتها إلا الله عز وجل، وبواسطة هذه الروح كان وجودى يدون أب، وصدق الله العظيم «ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا».

سورة التحريم [١٢]

٤ — جاء عيسى عليه السلام يمشى على شريعة موسى عليه السلام ومن ثم دعا قومه بنى إسرائيل إلى التوحيد المطلق لله رب العالمين كما أخبر بذلك القرآن الكريم: «وقال المسيح يابنى إسرائيل اعبدو الله ربى وربكم».

سورة المائدة [٧٢]

أما غير التوحيد من الأبوة والبنوة لله والتثليث فلم يرد على لسان ابن مريم مطلقا كما قال عيسى عليه السلام «ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبد والله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد».

سورة المائدة [١١٧]

٥ — أن المسيح عليه السلام ، ماقتل وما صلب لأن عيسى عليه السلام جعله الله آية للناس قال تعالى : « ولنجعله آية للناس »[1] .

فلما كان وجوده إلى الحياة آية كذلك كانت نهاية رسالته على الأرض آية ومن ثم نجاه الله من من أيدى البشر فلا تستطيع يد أن تمتد إليه بسوء فقبل بعثته نجاه الله من يد الحكام الرومان الذين كانوا يتسلطون على بنى إسرائيل قال تعالى : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين »[2] .

وبعد أن انقضت مدة بعثته على الأرض جعل الله هذا اليوم الذى وفى فيه عيسى رسالته : سلاماً على عيسى عليه السلام ونجاه مما أراد القوم له من القتل والصلب قال تعالى : « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً »[3] .

فألقى الله شبه المسيح على إنسان آخر ساعة أن هم القوم بصلبه فصلبوه بدل عيسى عليه السلام ولذا لما أخذوا يبحثون عن عيسى وعن المصلوب اختلفوا لأنهم ما علموا يقيناً من هو المصلوب: أهو عيسى أم يهوذا وإذا كان عيسى؟ فأين يهوذا؟ وإذا كان يهوذا فأين عيسى؟ قال تعالى : وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم مريم رسول الله وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذى اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً .

سورة النساء [١٥٦ — ١٥٨]

---

(١) سورة مريم [٢١] .

(٢) سورة المؤمنون [٥٠] .

٦ — إنه بعد رفع المسيح — عليه السلام — : نزل بأصحابه وأتباعه مانزل من الإضطهادات والكوارث التى ألحقها الرومان واليهود بهم ومن ثم ما استطاع اتباع المسيح أن يستمروا فى الدعوة خاصة بعد أن ذهب عنهم المسيح من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هذه الاضطهادات كانت شديدة وقوية لم يستطع أتباع المسيح وهم قلة أن يقفوا أمامها ولكنهم تخفوا بأنفسهم وبالدعوة مما ترتب عليه ضياع دين المسيح وذلك بضياع الإنجيل الأصلى والذى فقد فى زمن تلك الاضطهادات والكوارث كما اعترف بذلك آباء الكنيسة بعد ذلك :

٧ — كان لتلك الإضطهادات أثرها على دين المسيح حيث سمحت تلك الاضطهادات لدخول كثير من الوثنيين وغيرهم فى المسيحية ومن هؤلاء شاؤول : بولس الذى دخل فى النصرانية لا حباً فيها ولكن ليفسدها وذلك بالتحريف والتغيير والتبديل .

كان بولس هو منشىء المسيحية ومؤسسها : حيث أنه أدخل الكثير من المبادىء والتعاليم والتشريعات والعقائد مما لم يكن فى رسالة عيسى — عليه السلام — فهو أول من ألغى شريعة الختان وأحل لحم الخنزير وشرب الخمر وذلك فى مجمع « أورشليم » الذى عقده سنة ٥٠ م وسن بذلك سنة جمع المجامع التى لم يعرفها المسيح فى حياته — تلك المجامع التى أصبحت بعد ذلك أداة هدم لدين المسيح فغيرته من التوحيد إلى التثليث .

كان بولس أول من قال : بالأبوة والبنوة والتثليث وغير ذلك مما أدخله فى دين عيسى لأنه كان شديد الترحال والتنقل ، وكان على علم بالديانات القديمة فنقل هذه العقائد إلى المسيحية .

فكان هو مؤسس النصرانية ، ومن ثم أطلق عليه آباء الكنيسة « رسول الكنيسة » .

١٠ — كان لبولس النصيب الأوفى مما سمى « بالعهد الجديد » وماذا

كان هذا العهد يتكون من [٢٧] إنجيلا ورسالة فإن لبولس وحده [١٤] رسالة أى أكثر من نصف العهد الجديد .

١١ — إن العهد الجديد الذى يعتقد به النصارى بجانب العهد القديم الذى يعتقد به اليهود — ماجاء به المسيح — عليه السلام — ، ولكنها أناجيل ورسائل : منسوبة إلى البشر ومن ثم خرجت على الناس يحمل كل إنجيل إسم مؤلفه . فهذا إنجيل متى . وذاك إنجيل مرقص ، وآخر إنجيل يوحنا ، وتلك رسائل بولس . إلخ .

أما المسيح فلم ينزل عليه إلا كتاب واحد هو الإنجيل المعرف بالألف واللام .

فإنجيله — عليه السلام — لاينتسب حتى إلى عيسى ، شأنه فى ذلك شأن الكتب المنزله من السماء ، فأى كتاب نزل من السماء لاينسب إلا إلى الله — عز وجل — :

ومن ثم لما حرف اليهود والنصارى ماجاءهم من عند الله ووضعوه فى كتاب أطلقوا عليه [الكتاب المقدس » نفى الله التقديس عن هذا الكتاب وغيره من الكتب الأخرى التى هى من وضع البشر وأثبت التقديس لكتاب واحد هو القرآن الكريم ، ومن ثم افتتح الله القرآن الكريم بقوله لرسوله — صلى الله عليه وسلم ولكل من يقرأ القرآن إلى يوم القيامة « الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين » (١)

١٢ — إن عقيدة التثليث التى يؤمن بها النصارى على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم فى العصر الحديث — تلك العقيدة لم يأت بها المسيح — عليه السلام — ولم يأمر بها أتباعه ولقد استمرت عقيدة التوحيد التى دعا عيسى قومه بنى إسرائيل إليها استمرت مايقرب من خمسة قرون . وكما قال مؤرخوا النصرانية ، لو لم تنعقد المجامع للبحث فى أمور العقيدة ،

---

(١) أول سورة البقرة .

ولو لم يكن هناك اضطهاد رومانى لسادت الآريوسية «عقيدة التوحيد وأصبحت النصرانية أسطورة منسية

١٣ — لقد تولدت عقيدة التثليث — من قرارات المجامع المسكونية المتعدده على فترات متعددة وأزمنة متغايرة فالمجمع المسكونى الأول «مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م» قرر ألوهية المسيح. والمجمع المسكونى الثانى «مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ م» قرر ألوهية الروح القدس، والمجمع المسكونى الثالث: مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١ م قرر أن الإله ثلاثة: الآب، والابن، والروح القدس، أحدية فى تثليث وتثليث فى أحدية» ومن ثم تبدلت الأمانة أو الدستور الإيمانى: ثلاث مرات لتوافق قرارات المجامع وما استقر عليه الرأى فى العقيدة. ثم كانت المجامع الأخرى التى غالت فى المسيح وأمه بسبب اختلافهم فى طبيعة المسيح هل للمسيح طبيعة واحدة أم طبيعتان وهل له مشيئة واحدة أم مشيئتان إلخ وهل هما متحدتان أم منفصلتان إلخ ومن ثم جاءت الآيات من سورة المائدة ترد على قرارات المجامع وعلى العقائد التى تولدت منها قال تعالى:

[لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة...»، «ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام...»، «قل ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل»

سورة المائدة الآيات «٧٢ — ٧٧»

١٤ — أن المسيح عليه السلام لم ينشىء الكنيسة ولم يردها ولم يأته بأى من طقوس العبادة جديد.

١٥ — إن عبادة الصليب واتخاذه شعاراً للنصرانية من التشريعات الجديدة التى لم يشرعها المسيح ولا حيواريوه لأن الصليب لم يكن معروفا زمن المسيح ولا فى زمن الحواريين.

(١٦— النصرانية)

فلم يعرف النصارى الصليب ولم يعظموه إلا حينما جاءت هيلانة أم قسطنطين فى أول القرن الرابع الميلادى بخشبة مصنوعة على هيئة صليب من فلسطين وجمعت النصارى حولها وقالت لهم : « هذا هو الصليب الذى صلب عليه المسيح فالتف حوله الناس بالتعظيم والتقديس وبدأ بذلك أول عبادة للصليب وظل الأمر كذلك حتى كانت الحروب الصليبية التى خاضها الغرب أمام المسلمين وأمر القائد الصليبي الجند أن يعلقوا الصليب على صدورهم وأن يضعوه فى قلوبهم قائلا لهم : بهذا الصليب تنتصرون ، ومن أجله تحاربون » ارفع الصليب شعاراً للنصارى فى الحرب أمام المسلمين ومن ثم نسبت هذه الحروب إلى الصليب فسميت بالحروب الصليبية وعليه قدس النصارى الصليب فلا تعرف النصرانية إلا بالصليب ، ولا يعرف النصارى إلا بالصليب .

١٦ — إن آباء الكنيسة ورجال اللاهوت لم يقف بهم الأمر عند تغيير العقيدة وتبديلها من التوحيد إلى التثليث بل شمل التبديل والتحريف أمور التشريع والأخلاق أيضا ، فبعد أن كان المسيح عليه السلام يصلى لله رب العالمين ويسجد له عز وجل ، وكانت صلاته وصلاة الحواريين ذات ركوع وسجود وقنوت لله كما قالت الملائكة لمريم أم المسيح « اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين[1] ، وذلك بعد أن تحقق فيها شرط الطهارة [إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ... إلخ .

خلت الصلاة الكنيسه من كل ذلك فأصبح التوجه فى الصلاة إلى من بيده الحل والحرمة وتكفير الذنوب والخطايا هذا الذى يجلس على كرسى

---

(١) سورة آل عمران (٤٣) .
(٢) سورة آل عمران (٤٢) .

الكنيسة من آباء الكنيسة خاصة — البابا ومن معه من رجال الاكليروس ثم زاد آباء الكنيسة التعظيم والتقديس والسجود للصليب والصور والتماثيل والأيقونات التى امتلأت بها الكنائس خاصة فى العصر الحديث، وخلت الصلاة من الركوع والسجود والطهارة وأصبحت الصلاة عبارة عن إشارات يرسمها المصلى على وجهه أو صدره وهو يقرأ بعض فقرات من الأناجيل مصلبا بها على وجهه وصدره ويوم القيامة يعلن المسيح عليه السلام براءته من كل هذه التشريعات إذ يقول لربه « ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد .

سورة المائدة [١١٧]

١٧ — أصبح البابا عند النصارى — خاصة الكاثوليك هو الذى يحل ويحرم لأنه معصوم من الخطأ ، وهو الذى يغفر الذنوب ويكفر السيئات ومن ثم أدخل فى التشريعات الكنسية ما يسمى بصكوك الغفران والعشاء الربانى فكل من يشترى صكا أو يأكل من العشاء فقد غفر له ذنبـــه ومحيت خطاياه بل إنه بأكله من العشاء الربانى أصبح ربا من الأرباب لأنه قد أكل جسد المسيح وشرب دمه ومن فعل ذلك حل فيه المسيح مرة واحدة ، وصدق الله العظيم : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون » « سورة التوبة ٣١ »

وهم بذلك صنعـــوا لهم دينا يتفق مع أهوائهم وشهواتهم وسوف ينبؤهم الله بما كانوا يصنعون كما أخبر بذلك رب العالمين ..

« ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبؤهم الله بما كانوا يصنعون » (سورة المائدة ١٤)

١٨ — وختاماً : فإن كل منصف حر التفكير والضمير والإرادة يستطيع بعد هذه الدراسة المقارنة والمتيقنة أن يرى الحق حقا فيتبعه ويدعو غيره إليه — فالحق أحق أن يتبع — ويرى الباطل باطلا فيجتنبه وينهى عنه .

وصـــدق الله العظيم « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » سورة الرعد [١٧]

وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا

[سورة الإسراء ٨١]

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

وصلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء والمرسلين — سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

د . محمد رجب الشتيوى
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين — القاهرة

أهم المراجع

وهى مرتبة حسب صحائف الكتاب

القرآن الكريم — كلام الله رب العالمين

١ — الكتاب المقدس — مجموع العهد القديم والجديد — ترجمة الكاثوليك سنة ١٩٦٨ م المطبعة الكاثوليكية بيروت .

٢ — الكتاب المقدس — مجموع العهد القديم والجديد طبعة البروتستانت بالقاهرة سنة ١٩٧٠ م

٣ — قاموس الكتاب المقدس — تأليف مجموعة من أساتذة اللاهوت صدر عن مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى ط الثانية سنة ١٩٧١ م .

٤ — محمد الرسالة والرسول — د . نظمى لوقا تقديم / د . كمال الدين حسين دار الكتب الحديثة سنة ١٩٥٩ م .

معجم مقاييس اللغة

٥ — معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم — الراغب الأصفهانى دار الكتب اللبنانى بيروت .

٦ — مختار الصحاح — محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى — الطبعة الأميرية بالقاهرة .

٧ — تفسير القرآن القرآن العظيم — للإمام الجليل الحافظ ابن كثير القرشى الدمشقى ط . عيسى البابى الحلبى وشركاه القاهرة .

٨ — السيرة النبوية لابن هشام — أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى ، الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٧١ م تقديم طه عبد الرؤف سعد .

٨ - الرد الجميل - للإمام أبى حامد الغزالى ، تحقيق ، عبد العزيز عبد الحق حلمى الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة ١٣٩٤ هـ .

٩ - مقارنة الأديان اليهودية - ا د. أحمد شلبى ، ط ٤ مكتبة النهضة المصرية .

١٠ - أسباب النزول - للإمام جـلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ .

١١ - أسباب نزول القرآن - للإمام على بن أحمد الواحدى النيسابورى ، تحقيق السيد أحمد صقر ط ١ سنة ١٩٨٩ م .

١٢ - تاريخ الجدل - للإمام محمد أبو زهرة - دار الفكر العربى سنة ١٩٣٤ م .

١٣ - الفصل فى الملل والأهواء والنحل - للإمام أبي محمد بن على بن أحمد بن حزم الظاهرى ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

١٤ - لسان العرب - العلامة ابن منظور المصرى ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على بن منظور - ط : دار المعارف بمصر

١٥ - الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان - د. محمد عبد الله دراز .

١٦ - ياأهل الكتاب تعالوا : أ . د . رءوف شلبي ط ١ سنة ١٣٩٤ مكتبة الأزهر .

١٧ - الإسلام والإيمان - للإمام عبد الحليم محمود .

١٨ - تفسير المنار - السيد محمد رشيد رضا - الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٢ م .

١٩ - الأديان فى القرآن - د . محمود بن الشريف .

٢٠ — معالم تاريخ الإنسانية — ﻫ. ج ويلز ترجمة عبد العزيز توفيق ط ٣ سنة ١٩٧٤ م.

٢١ — محاضرات فى النصرانية — للإمام محمد أبو زهرة — دار الفكر العربى سنة ١٩٧٢ م.

٢٢ — الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح — للإمام بن تيمية الخرافى سنة ١٩٦٤ م مطبعة المدنى القاهرة.

٢٣ — تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم — د. محمد عزة دروزة.

٢٤ — المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل — د. عبد الكريم الخطيب — دار الكتب الحديثة سنة ١٣٨٥ ﻫ.

٢٥ — المسيحية نشأتها وتطورها — شارل جنيبير ترجم د. عبد الحليم محمود المكتبة المصرية بيروت بدون تاريخ.

٢٦ — الله ذاته ونوع وحدانيته — عوض سمعان، دار الجليل للطباعة والنشر القاهرة سنة ١٩٧٤ م.

٢٧ — الله ثالوث وحدانيته ووحدانية ثالوثه — عوض سمعان — دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية — القاهره سنة ١٩٧٦ م.

٢٨ — المسيح والتثليث — د. محمد وصفى — المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٥٥ ﻫ.

٢٩ — أديان العالم — حبيب سعيد — دار الجيل للطباعة والنشر.

٣٠ — الله واحد أم ثالوث — محمد مجدى مرجان — دار النهضة العربية.

٣١ — اليهود فى القرآن — عفيف طبارة — دار العلم للملايين ط ٦ سنة ١٩٧٨ م.

٣٢ - مقارنة الأديان - المسيحية - د. أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية ط سنة ١٩٧٧ م .

٣٣ - عقائدنا : بحوث مقارنة بصورة الحوار بين القرآن والتوراة الأنجيل - د. محمد الصادق ط ١ سنة ١٩٧٢ م .

٣٤ - إظهار الحق - للعلامة الشيخ رحمة الله الهندى - المطبعة العلمية سنة ١٣١٥ هـ .

٣٥ - المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الأنجيل - لأبى الفضل المالكى السعودى سنه ١٣٢٢ هـ مطبعة التمدن بمصر .

٣٦ - صحيح مسلم بشرح النووى - للإمام النووى ، دار إحياء التراث العربى بيروت ط ٣ سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٣٧ - قصة الحضارة - ول ديورانت - لجنة التأليف والترجمة والنشر فى جامعة الدول العربية .

٣٨ - فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية - جورج شحاته قنواتى ولويس غردبه - دار العلم للملايين سنة ١٩٦٧ م .

٣٩ - موسوعة تاريخ الأقباط - زكى شنوده - مطابع البلاغ بالقاهرة ط ٢ سنة ١٩٦٨ م .

٤٠ - موجز تاريخ العالم - هـ . ج ويلز . ترجمة سعيد عبد العزيز توفيق - مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٨ م .

٤١ - قصة الإضطهاد الدينى فى المسيحية والإسلام - د. توفيق الطويل - دار الفكر العربى سنة ١٩٤٧ م .

٤٢ - دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة - موريس بوكاى ط ٤ . دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٧ م .

٤٣ — المدخل إلى الكتاب المقدس — حبيب سعد — نشر المكتبة الأسقفة بالقاهرة .

٤٤ — الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام — د. على عبد الواحد وافى — دار نهضة مصر للطبع والنشر — القاهرة سنة ١٩٧١ .

٤٥ — الفارق بين المخلوق والخالق — العلامة عبد الرحمن الباجه جى زاده مطابع البيان التجارية سنة ١٩٨٧ م ١٤٠٧ هـ .

٤٦ — الوحى المحمدى — السيد محمد رشيد رضا — ط ٥ سنة ١٩٥٥ م — ١٣٧٥ هـ .

٤٧ — رسالة فى اللاهوت والسياسة — سبينوزا ترجمة وتقديم — حسن حنفى — الهيئة المصرية العامة سنة ١٩٧١ م .

٤٨ — المقارنات العلمية والكتابية بين الكتب السماوية — د . محمد الصادق الطهرانى سنة ١٣٨٨ هـ ط أولى سنة ١٣٨٨هـ جبل عامل : لبنان .

٤٩ — نظرات فى القرآن — الشيخ / محمد الغزالى .

٥٠ — الإنجيل والصليب — القس عبد الأحد داود — العراقى ترجمة مسلم عراقى سنة ١٣٥١ هـ .

٥١ — الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل — الأنبا يؤانس — أسقف الغربية سنة ١٩٧٧ م .

٥٢ — الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة — عبد القادر شيبة الحمد مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٣٨٧ هـ .

٥٣ — أديان الهند الكبرى — د. أحمد شلبى .

٥٤ — علم اللاهوت — القمص ميخائيل مينا — مطبعة النصر بمصر ط ٦ سنة ١٩٧٦ م .

٥٥ — الوصايا العشر فى العصر الحديث — القس حبيب سعد — مطبعة النيل المسيحية للكنيسة الأسقفية .

٥٦ — إختلافات فى تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة فى المسيحية — لواء أحمد عبد الوهاب مكتبة وهبه — القاهرة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .

٥٧ — بحوث فى علم الأديان المقارنة — د . محمد شامه — مطابع المدنى بمصر .

٥٨ — رواد الفكر المسيحى — ا.د. كرافت ترجمة عزرا مرجان دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية .

٥٨ — صلب المسيح وآراء الفلاسفة الغنوسطيين — عوض سمعان المطبعة الفنية الحديثة سنة ١٩٧١ م .

٥٩ — الأديان فى كفة الميزان — محمد فؤاد الهاشمى — دار الحرية سنة ١٩٨٦ م .

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة
٣ — قصة دخوله فى المسيحية وسببها	٨٦
٤ — برنابا تقدم بولس للوعظ	٨٧
٥ — مبادىء بولس وتعاليمه التى حرف بها دين عيسى عليه السلام	٨٨
٦ — بولس والنظر فى شريعة الختان	٩٠
٧ — بولس وإنشاء المجامع	٩٣
٨ — السبب الذى من أجله ألغى بولس شريعة الختان	٩٤
٩ — بولس يشترك مع بطرس فى حل لحم الخنزير	٩٥
من أين جاء بولس بتلك العقائد	٩٧
خلاصة واستنتاج	١٠٠
الفصل السابع : الإضطهادات الرومانية وأثرها فى النصرانية	١٠٤
(ا) إضطهاد بيلاطس	١٠٤
(ب) إضطهاد نيرون	١٠٤
(ج) إضطهاد دوقتياتوس	١٠٤
(د) « ثراجان	١٠٥
(ه) « ديسيوس	١٠٥
(و) « دقلديانوس	١٠٦
(ز) عصر التسامح	١٠٦
أثر الإضطهادات	١٠٦
(ا) ضياع الإنجيل الأصلى	١٠٧
(ب) فقدان السند	١٠٧
(ج) تعدد الأناجيل	١٠٩

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة